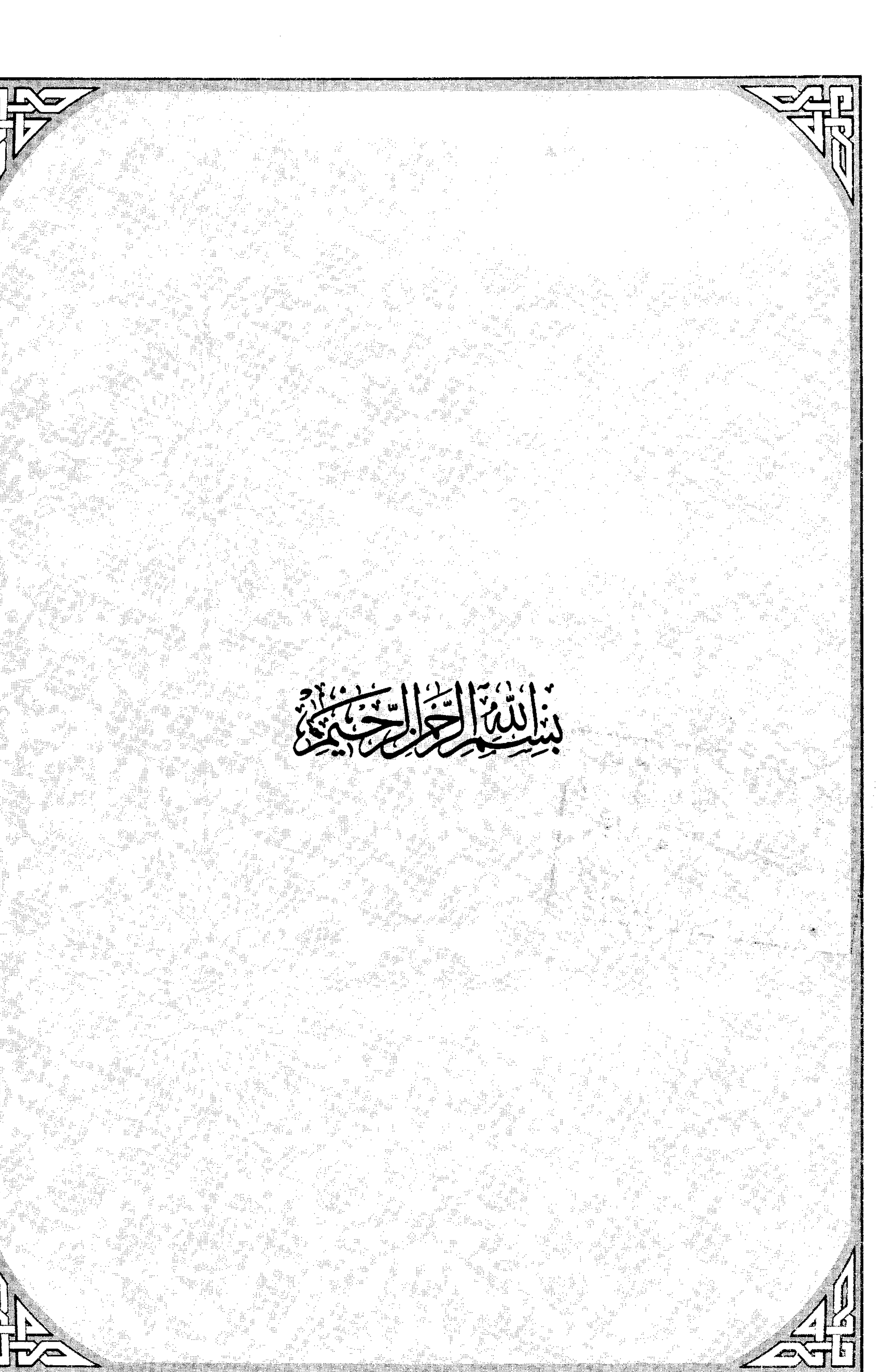
دراسات حول المدينة المنورة
(١٠)

ديوان عمر بن ابراهيم البري

من شعراء المدينة في مطلع القرن الرابع عشر

تحقيق وتقديم
الدكتور محمد العيد الخطراوي

مكتبة دار التراث
المدينة المنورة - ص.ب ١٦٤٧


بسم الله الرحمن الرحيم

ديوان

عمر بن ابراهيم البرّي

من شعراء المدينة في مطلع القرن الرابع عشر

الطبعة الأولى
١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

أسرة الشاعر:

ينتسب شاعرنا إلى آل البري، وهم من الأسر الكبيرة التي جمعت في المدينة بين العراقة في النسب والعراقة في العلم.

أما من حيث النسب فقد أشار الأنصاري[1] إلى أن نسب هذه الأسرة حسبما ذكره له بعض أفرادها، يرجع إلى محمد بن الحنفية رضي الله عنه، استوطن رجالها الأوائل قرية فُرِّيانة (بضم الفاء وتشديد الراء مكسورة) بتونس، وهي الآن تنطق بكسر الفاء وسكون الراء.

وأول من سكن منهم المدينة الشيخ أحمد المغربي المالكي، وذلك في حدود سنة ٩٠٠ هـ وكان عالماً فاضلاً متبحراً في الفقه المالكي، ولذلك أسند له فيها قضاء المالكية، حيث كان في المدينة لذلك العهد قاض خاص لكل مذهب من المذاهب الأربعة، وكانت وفاته بها سنة ٩٧٠ هـ بعد أن بلغ عمره المائة.

ولكنني حصلت في الآونة الأخيرة من أحد أفراد هذه الأسرة وهو الأستاذ أمين محمد البري على قُرميّة[2] خاصة بنسب هذه الأسرة تؤكد

---

(١) تحفة المحبين والأصحاب ـ عبد الرحمن بن عبد الكريم الأنصاري ص ٩١، تحقيق العروسي المطوي ـ ط ١ تونس ١٣٩٠ هـ.

(٢) قرمية: شجرة نسب.

أن جدهم المهاجر إلى المدينة هو الشيخ عبد البر البري المالكي المغربي، وذلك سنة ستمائة واثنتين وسبعين من الهجرة. وهذا نصها:

هذه قرمية تتضمن نسب السادة الخطباء البريين المجاورين لسيد الخلق أجمعين، المتصل نسبهم إلى سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه، آمين. حررها الهمام الأمجد، الكامل الأوحد، الخطيب صالح البري بن المرحوم الخطيب محمد بن المرحوم الخطيب إبراهيم بن المرحوم الخطيب أحمد بن المرحوم الخطيب محمد بن العالم العلامة، مدرس الحرمين الشريفين، مفتي بلدة طه وياسين ﷺ، الخطيب إبراهيم البرّي الحنفي، بن الخطيب عبد الله بن الخطيب أحمد الحنفي بن الخطيب عبد الله بن أبي السرور بن الخطيب أبي اللطف بن الخطيب عبد الله بن الخطيب يحيى البري ابن المرحوم الشيخ الفاضل، الكامل العالم العلامة الشيخ عبد البر البري المالكي المغربي التونسي، المهاجر لقبر[1] سيد الخلق أجمعين، جاء من تونس إلى المدينة المنورة سنة ٦٧٢ ستمائة واثنتين وسبعين من الهجرة النبوية.

وهذا الشيخ عبد البر: ابن علي بن محمد بن عبيد الله بن صالح بن سالم بن عمر بن أحمد بن حماد بن ناصر بن نصار بن ثابت بن حماد بن قاسم بن عباد بن محمد بن عبد الله بن عمر الشهير بعباد بن معمر بن حماد الأكبر بن يحيى بن عثمان بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن إبراهيم بن محمد (ابن الحنفية) بن الإمام علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه ورضي عنه وعن كل الصحابة أجمعين،

---

(١) هكذا في الأصل، والهجرة إنما تكون إلى المدينة لا إلى قبر الرسول ﷺ.

قيمتي

بسم الله الرحمن الرحيم

على الله توكلنا هو مولينا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم

هذه شجرة تتضمن نسب السادة الخطباء البدريين المجاورين لسيد الخلق أجمعين اتصال نسبهم
إلى سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه آمين حررها الإمام الأمجد الكامل الأوحد الخطيب
صالح الدين بن المرحوم الخطيب محمد بن المرحوم الخطيب [illegible] بن المرحوم الخطيب أحمد بن المرحوم الخطيب محمد
ابن العالم العلامة مدرس الحرم النبوي الشريف مفتي [illegible] صلى الله عليه وسلم الخطيب إبراهيم
البدري الحنفي ابن الخطيب أحمد بن الخطيب عبد الله بن الخطيب أحمد الحنفي بن الخطيب عبد الله بن بدر الدين
ابن الخطيب أبي اللطف بن الخطيب عبد الله بن الخطيب يحيى الدين بن المرحوم الشيخ الفاضل الكامل العالم
المغفور له الشيخ عبد البر البدري المالكي المغربي التونسي الحاج [illegible] الحامد [illegible]
من تونس إلى المدينة المنورة سنة ٦٧٢ ستمائة واثنين وسبعين من الهجرة النبوية وهذا نسب [illegible]
عبد البر بن [illegible] بن محمد بن عبيد الله بن صالح بن سالم ابن عمر بن أحمد بن حماد بن ناصر بن نصار بن ثابت
ابن حماد بن قاسم بن عباد بن محمود بن عبد الله بن عز الدين [illegible] بن عمر بن حماد الأكبر بن يحيى بن عثمان
ابن عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن الحنفية بن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه
ورضي عنه وعن كل الصحابة أجمعين آمين اهـ نقلت هذه من نسخة منقولة من نسخة
الأصل في اليوم التاسع عشر من شهر رمضان المبارك سنة خمس عشر وثلثمائة وألف من الهجرة
النبوية بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام. يقول كاتبه الفقير إلى رحمة
ربه [illegible] محمد عمر بن الشيخ الفاضل الكامل إبراهيم بن الفاضل عبد القادر بن العلامة الأوحد الفاضل
ومفتي المدينة المنورة [illegible] الشيخ عمر [illegible] بن العلامة الإمام الشيخ إبراهيم [illegible] نائب الإمام [illegible] بالمدينة
المنورة بن محمد [illegible] المدني الحنفي [illegible] الجميع والمسلمين أجمعين [illegible]
من الصورة [illegible] في اليوم [illegible]

اللهم اغفر لكاتبه ولقارئه وسامعه
والمسلمين أجمعين

[illegible] النسبة الجليلة أبنائه محمد أمين [illegible]
[illegible] الخطيب [illegible] محمد [illegible] والد الخطاب صالح الدين [illegible] حمزة ابنه [illegible] صالح [illegible]
وصالح [illegible] المذكور وعز الدين محمد [illegible] المذكور [illegible] الله [illegible]
[illegible] عز الدين المذكور ابنه [illegible]

آمين. انتهى. نقلت هذه من نسخة منقولة من قرمية الأصل، في اليوم التاسع عشر من شهر رمضان المبارك سنة خمس عشرة وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام. يقول كاتبها الفقير إلى رحمة ربه القدير محمد عمر بن الشيخ الفاضل المكرم إبراهيم بن الفاضل عبد القادر بن العلامة الأديب المفضال مفتي المدينة المنورة الشيخ عمر البري بن العلامة الإمام الشيخ إبراهيم البري نائب القاضي بالمدينة المنورة بن محمد البري المدني الحنفي، عامل الله الجميع والمسلمين جميعاً بلطفه الخفي، وكان نسخي لها من الصورة المشروحة في اليوم الموافق سلخ جمادى الأولى لسنة إحدى وأربعين وثلاثمائة وألف. اللهم اغفر لكاتبها وقارئها وسامعها والمسلمين أجمعين.

وفي آخر هذا الصك كتب بشكل منفصل في أسلوب تحشية، ما يلي:

الكلام على الخطيب المرحوم محمد البري والد الخطيب صالح البري المحرر لهذه النسبة الجليلة، أبناؤه محمد أمين البري وصالح البري المذكور وعمر البري. محمد أمين البري المذكور ابنه حمزة، ابنه عباس. صالح لم يعقب سوى بنت ماتت بعده. عمر البري المذكور ابنه معتوق البري. أدام الله نسلهم إلى يوم الدين، آمين.

ومكتوب في حاشية الصك بخط دقيق مغاير:

سجلت صحة شرعية ثبوت كون عبد الرؤوف بن عارف البري هو من العرب الهاشميين ومن أولاد محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب.

فعلى مقتضى هذه القرمية تكون أسرة آل البري استقرت في المدينة المنورة منذ أكثر من سبعة قرون وبعد سقوط بغداد على يد التتر المغول بست عشرة سنة. وعلى قول الأنصاري يكونون قد نيّفوا فيها على خمسة قرون. وفي كلتا الحالتين تثبت لهم عراقة ثالثة في هذا البلد، تتمثل في بعد العهد وأصالة الجذور.

وأما العراقة العلمية فإن كتب التواريخ تحدثنا عن عدد كبير من رجالات هذه الأسرة، الذين أقبلوا على مدارسة العلم وتدريسه بالمسجد النبوي، مما جعل الكثيرين منهم يتولون المناصب العلمية والوظيفية بالمدينة، كالإمامة والقضاء والإفتاء وغيرها، ومن هؤلاء[1]:

١ - عبد القادر بن القاضي أحمد البري، وقد تولى مثل والده قضاء المالكية.

٢ - علي بن عبد القادر البري. وتولى تدريس المالكية من وقف السلطان مراد خان.

٣ - عبد البر بن القاضي أحمد البري. وكان عالماً فاضلاً، اختاره أهل المدينة في مهمة لهم لدى الدولة العلية، فأرسلوه رسولاً عنهم إلى إسلامبول، فتوفي في طريقه إليها بالشام سنة ٩٨٧ هـ وفيه انحصر نسب آل البري الحاليين.

٤ - محمد بن عبد البر البري، تمذهب بالمذهب الحنفي، وتولى الإمامة في المسجد النبوي والخطابة فيه بالنيابة سنة ٩٩٢ هـ ثم بالأصالة سنة ٩٩٤ هـ، وكان يكنى بأبي اللطف.

---

(١) انظر تحفة المحبين.

٥ ـ أحمد بن عبد البر البري. وتولى منصب أمين بيت المال.

٦ ـ أحمد بن عبد الله بن أبي اللطف محمد. كان أحد أعيان العلماء الأحناف بالمدينة، تولى الإمامة والخطابة والتدريس بالمسجد النبوي، وكان إلى جانب ذلك أديباً شاعراً عالماً بالأخبار، ولد سنة ١٠١٠ هـ ودرس على علماء المدينة ثم رحل إلى مكة ودرس على جمع من علمائها وحصل منهم على إجازات تشهد بعلمه وفضله، ومن مشائخه فيها: العلامة عبد الملك العصامي، والشيخ عبد الرحمن بن عيسى المرشدي.

ولما وصل القاضي تاج الدين المالكي المكي للمدينة سنة ١٠٤٥ هـ ومدح أهلها بهذه الأبيات وهي:

يا ساكني طيبةَ فخراً فقد　　طابت فروع منكمُ والأصولْ
وآية الأنصار فيكم سرتْ　　كأنما المقصود منها الشمول
تُصْفون محض الود من جاءكم　　فما عسى مادحكمْ أن يقول
ولْيَهْنكم ما قد خُصِصتم به　　فيالها خصيصة لا تزول
جاورتُم المختار خيرَ الورى　　وفزتمُ في سوحه بالحلول

أجابه صاحبنا أحمد البري فقال:

أعظِمْ بأهل الركن من سادة　　في مفرق العلياء جرُّوا الذيولْ
جيران بيت الله قدرهمُ　　تحار في درك مداه العقول
بمكة حلُّوا فحلَّوْا بها　　جيد المعالي حِلْيةً لا تزول
مَنْ مثلهمْ والفضل حق لهمْ　　ومنهمُ التاج إمام النقول
رئيسُ هذا العصر مِنْ جلّة　　سماذعٍ، غُرٍّ كرامٍ، فحول
أكرِمْ به إذ قال من أجلنا:　　طابت فروع منكمُ والأصول

وآيــة الأنصــار فيكم ســرت. لكنني بــالإذن مـنكـم أقــول:
يــا نخبـةَ الأنصــار منكم لنــا حتى شهدتم وصفكم لا يحول
وأنـتـمُ جيــران ذاك الـحـمـى والآن أنتم في جـوار الـرسـول
جمعـتمُ فـضـلاً إلى فـضلكـمْ فسُدْتمُ الناس، وحقَّ المقول
فــالله رب العـرش سبحــانــه يـوليكمُ الحسنى وحسنَ القبـول
حتى تُـوافـوا القصـد في نعمـة تترى، وعمر في سـرور يطول
ودولــة الأفضــال تسمــو بكـمْ وتـزدهي طـوراً، وطـوراً تصول
مــا غـردت ورقــاء في دوحــة غنّا، وغنّت حين طـاب الدخول

وأورد الشيخ أحمد إبراهيم السمان[1] مخمِّساً لشاعـر من آل البري عبّر عنه (بشيخنا)، لعله صاحبنا هذا فقال: من شعر الأفندي خطيب المسجد النبوي الشريف وإمامه: الشيخ أحمد بن السيد عبد الله البري المدني، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته:

يــا خليليّ خـلِّيــاني، ورُوحــاً واشهدا الدمع في الجفون صريحا
قلت للعـاذل المعـذّب روحــاً: دع جفوني، يحق لي أن تبوحا
لم تدع لي الذنوبُ قلبا صحيحا

زاد همّي، وهمّتي في انتقاصي ويرى القلبُ هولَ يوم القصاص
ويح نفسي، ما حيلتي في خلاصي؟ أخلقتْ بهجتي أكفُّ المعـاصي
ونعاني المشيبُ نـعـيـاً فصيحا

مَنْ مغيثي من فَـرْط غمٍّ وكربٍ وقصــورٍ في حفظ بيتٍ لـربٍّ
حـرتُ والله، أدركـوني بـطَـبٍّ كلما قلت: قد برى جرحُ قلبي
عاد قلبي من الذنوب جريحـا

(١) نماذج وألوان من تراث أدبائنا وشعرائنا في المدينة المنورة ـ جمع أحمد إبراهيم السمان ـ ص ٢٧، الطبعة الأولى ـ سنة ١٤٠٤ هـ.

يـا إلـهي، امنُنْ علـيّ بجَـدٍّ وأمـانٍ من هـول عَـرْضٍ ألـدِّ
ونعيمٍ ألقـاه في بـطن لحـدٍ إنـمـا الفـوز والـنعيم لـعبـدٍ
جاء في الحشر آمنا مستريحا

وتوفي سنة ١٠٩٢ هـ ودفن بالبقيع فرثاه كثير من الشعراء، منهم تلميذه أحمد بن إبراهيم الخياري، فإنه رثاه بقصيدة طويلة أرخ فيها وفاته على طريقة القدماء بقوله: (مات الخطيب) منها:

فـجـأ الأنـام جـمـيـعَـهـمْ خـطب ألـمّ بـهـم عـجـيـبْ
ومـصـيـبـة قـد أوجـبـت لـلطفـل فـيـهـا أن يـشـيـب
ورَزيّـة عـظـمـت بـدا ر الـمصـطفى طـه الحبيبْ
فُـقِـد الإمـامُ الـحـافظ الـ ـعـلاّمـة الـشهـم الـخـطيـب
فـأجـبـتـهـم مـتـأوّهـاً بـلـسـان مـحـزون كئـيـب:
زِلْ أوّلَ الأعـداد مـن تـاريـخـه لـتكـن مـصـيـب
واسـمـع فقـد وافـى لـنـا تـاريخه: مـات الخـطيب[1]

٧ ـ إبراهيم بن أحمد البري، المولود سنة ١٠٥٠ هـ كان عالماً فاضلاً، وتولى نيابة القضاء سنة ١١٠٢ هـ، كما تـولى إفتاء الحنفية سنة ١١٠٤ هـ.

٨ ـ محمد بن إبراهيم بن أحمد البري، الحنفي، المولود سنة ١٠٨٠ هـ، أخذ العلم عن والده المتقدم الشيخ إبراهيم، وعن مُلّا إبراهيم بن حسن الكوراني، والسيد محمد بن عبد الرسول البرزنجي، وغيرهم من العلماء الذين كانت حلقاتهم تـزحم المسجد النبوي في عهده، كان من وجوه آل البري علماً

(١) خلاصة الأثر ١: ٢٣٠.

وصلاحاً، ذا هيبة ووقار، وتولى الإمامة بالمسجد النبوي وصار شيخ الخطباء فيه مدة طويلة ثم تنحى عنها وتفرغ للتدريس، وقام بجمع فتاوى والده، وكانت وفاته سنة ١١٥٧ هـ[١].

٩ - يحيى بن إبراهيم بن أحمد البري (١٠٨٥ - ١١٣٨ هـ) تولى الخطابة، وكان أديباً صاحب مكارم، أنشأ داراً كبيرة جعلها منتدى لأصحابه من أهل العلم والفضل والأدب، وقد أرخ عمارتها شيخه أحمد أفندي المدرس بقوله: (بناء مجد شاده يحيى الخطيب)[٢].

١٠ - عبد الله بن إبراهيم البري، الحنفي، ولد سنة ١٠٨٣ هـ، ودرس على مجموعة من الشيوخ منهم والده، ويوسف أفندي الشرواني، والجمال عبد الله بن سالم البصري، والشيخ محمد أبو الطاهر بن إبراهيم الكوراني، وأبو الطيب السندي. ونبغ في الخطابة بالحرم الشريف وتميز فيها حتى كان لا يطلق الخطيب في وقته إلا عليه. وكتب كثيراً من الكتب بخطه، منها: حاشية شيخه أبي الطيب السندي على «الدر المختار»، وشرح التسهيل لابن عقيل، والفتوى الغياثية وغيرها. . ومات سنة ١١٧٥ هـ ودفن بالبقيع[٣].

١١ - عبد الله بن يحيى بن إبراهيم البري. كان عالماً فاضلاً متفوقاً،

---

(١) سلك الدرر ٤: ١٦ وفي التحفة ولادته سنة ١٠٨٣ هـ، وهي في الحقيقة سنة ولادة أخيه عبد الله الآتي في رقم (١٠).

(٢) تحفة المحبين ص ٩٥، وسلك الدرر ١: ١٤٨.

(٣) سلك الدرر ٣: ٨٢.

أخذ العلم في الغالب عن والده يحيى وعميه محمد وعبد الله وغيرهم من الشيوخ، وكان يتعاطى نظم الشعر، ومن ذلك قوله:

ما عذّب قلبي وما أثار به النارْ إلاك يا من يفوق ضوء الأقمار
كم أسهد طرفي لذا تزايد وجدي بالسقم فحسبي من المحبة أكدار
يا مالك قلبي ومن تحكم فيه رفقاً بمحب سوى جمالك ما اختار
أواه إلى كم أبيت منك بقلب في الناس وحق الهوى تلهب بالنار
لو شمت غرامي لجدت لي بمرامي يا برء سقامي ولم تزدني أضرار
من لي بغزال إذا بدا كهلال قد صاد فؤادي ولم يُنلني أوطار
دع عنك عذابي ولا تمل لبعادي يا كلّ مرادي، ويا نزيهة أبصار
ناهيك بأني إذا أطلت صدودي سلسلت دموعي خدودي أنهار

وهذا الوزن من بحر السلسلة، ووزنه: (فعْلن فعِلن فعو فعِلاتن) كما ذكره السيد كبريت والسيوطي ورشيد الدين الأسواني في شرح مقامته (الحصيبية)[1].

وفي مطلع العهد السعودي الزاهر التحق كثير منهم بالوظائف الحكومية مثل كتابة العدل والتدريس في المسجد النبوي، ويسهم أبناؤهم وأحفادهم اليوم في العمل بالجامعات والخارجية والصحة وفي كل شأن من شؤون الحياة العامة والخاصة، ولا تزال أسرتهم تعد من أكبر الأسر بالمدينة.

* * *

(١) حلية البشر ٢: ١٠١٩.

هذا الديوان:

قصائد هذا الديوان لم ينشر منها في حياة صاحبها إلا الأقل من القليل، وذلك في جريدة (المدينة) قبل أن تنتقل إدارتها ومطبعتها إلى جدة، ولذلك يمكننا أن نعتبر تلك القصائد المنشورة ـ على قلتها ـ نهائية الصيغة، أي أن صاحبها حين هيأها للنشر وضعها في الشكل النهائي الذي ارتضاه لها من نفسه، وهي بالتالي على هذا النحو صالحة لأن يعتمد عليها الباحث في الحكم على مستواه الفني والشعري على وجه من الوجوه، لكن القصائد التي لم تنشر ـ وهي الأكثر كما قلنا ـ لا تستطيع في اعتقادنا أن تبلغ هذه الدرجة في تمثيله، وإن لم تخل من دلالات أكيدة في رسم معالم شخصيته الشعرية، ذلك أن المجموع الذي بين أيدينا، والذي اعتمدت عليه في صنع الديوان، هو بخط ابنه الأكبر عبد الكريم ـ كما أفاد حفيد الشاعر[1]، وعبد الكريم ـ رحمه الله ـ كان رجلاً محدود الثقافة، لا علاقة له بالشعر، دفعه وفاؤه لوالده إلى جمع قصائده المبعثرة وضمها في مجموع مقروء، دون أي التزام زمني أو موضوعي، ودون تفريق بين غث وسمين، وقد تكون بعض الألفاظ سقطت منه في أثناء

(١) هو عبد المجيد عبد الكريم عمر بري.

التبييض، أو لم يستطع قراءتها فترك مكانها بياضاً، أو استبدل بها غيرها، مما جعل بعض الأبيات مضطربة الأوزان، لأننا من خلال تواريخ القصائد نستبعد أن يكون ذلك الاضطراب من الشاعر، لكونها ليست في مرحلة بدايته الشعرية.

وعلى كل حال، لم تكن رحلتي مع الديوان يسيرة سهلة، بل على العكس تماماً كان فيها كثير من العنت والجهد، ولولا شيء من صبر وجلد، ثم إيمان مني واقتناع بوجوب خدمة هذا البلد المبارك ـ المدينة المنورة ـ في كل ما يتصل بتراثه التاريخي والأدبي والحضاري، ومن ثم الإسهام في إثراء الحركة الأدبية في مملكتنا الحبيبة بعامة، لما استطعت صنعه وإخراجه إلى الوجود.

بدأ ذلك الجهد منذ سنوات عديدة، متمثلاً في الجري وراء أبنائه وأحفاده للحصول على الديوان، فقد كانوا يعتزون به إلى درجة الضن، ولولا أنهم كانوا في يوم من الأيام من تلاميذي لما مكنوني من نسخه والعمل فيه، لأن نسخته يتيمة يخشون عليها الضياع، ولأن فيه روائح والدهم الشاعر الكبير، فأنا أشكر لهم هذه الثقة الكريمة، وأرجو أن أكون أحسنت تقديم شعره إلى جمهور القارئين.

ويمكن أن ألخص عملي في الديوان فيما يلي:

١ ـ قمت بكتابة نسخة من الديوان بخط يدي، كنت أقف فيها عند كل كلمة أو بيت متحققاً متثبتاً، وما تعذر عليّ من ذلك حاولت أن أصل به إلى أقرب صورة راجحة.

٢ ـ صحيح أنني لم أرو الديوان عن صاحبه مشافهة، ولم أقم بجمعه

من بطون الكتب والمجلات، أو من شفاه الرجال، بل كان وصوله لي وِجادة، ولكنني أدّعي مع ذلك أنني صانعه بوجه آخر، لأنني قمت بإزالة الكلَف عن وجهه، وتنقيته من كل ما يشينه من أخطاء نحوية أو صرفية أو عروضية، وأعطيت لنفسي الحق من أجل تحقيق هذا الغرض في تغيير بعض الكلمات وإقامة بعض الأوزان، وما استعصى عليّ من الأبيات في ذلك، ولم يكن للتمسك به كبير فائدة ـ وهو قليل على كل حال ـ أجزت لنفسي حذفه، ولم أعتبر ذلك مخالفاً للأمانة العلمية أو أصول التحقيق، لاستبعاد نسبة تلك الأخطاء إلى الشاعر، فقد كان معروفاً بين أقرانه بالإلمام الجيد بالنحو والصرف والعروض، بل ودرّس هذه العلوم، وله فيها تلاميذ، فرجحت أن تكون من كتّاب شعره ورواته.

ولست بدعاً في إجراء مثل هذه التغييرات اليسيرة التي هي بمثابة ترميم القطعة الأثرية لتحتفظ بجمالها وروائها، أو تعزيز مخطوطة هرمة لتُقرأ، وتستعين على عوادي الأيام، وقد فعل ذلك قبلي أبو تمام في اختياراته لديوان الحماسة. يقول أحمد أمين في تصدير طبعته لشرح الحماسة بالاشتراك مع عبد السلام هارون: ففي الحق أن اختيار أبي تمام كان اختياراً موفقاً، لأن جامعه شاعر ممتاز، مكّنه شعره من أن يختار أحسن ما تقع عليه عينه، وما تسمعه أذنه، وهو إلى جانب ذلك شاعر كبير من شعراء المعاني، فكان هذا أيضاً محور اختياره، ولذلك فقد يقرأ القصيدة الطويلة كلها، فيعجبه منها معنى أو معنيان، فيختارهما من بين القصيدة الطويلة. وإذا لم يكن بينهما رابط ربط بينهما، وإذا

كانت هناك كلمة نابية غيّرها بخير منها، فكان مختاراً ومنقّحاً في وقت واحد[1].

ويقول المرزوقي في مقدمة شرحه للحماسة: وجمع ما يوافق نظْمَهُ ويخالفه، لأن ضروبَ الاختيار لم تَخفَ عليه، وطرق الإحسان والاستحسان لم تستتر عنه، حتى إنك تراه ينتهي إلى البيت الجيِّد فيه لفظة تَشينه، فيجبرُ نقيصتَه من عنده، ويبدِّل الكلمة بأختها في نقده، وهذا يَبين لمن رجع إلى دواوينهم، فقابل ما في اختياره بها[2].

وقال عبد السلام هارون في مقدمة التحقيق أيضاً: وهذه التهمة تهمة أبي تمام بتغيير النصوص التي اختارها، والتي يدعمها المرزوقي في أثناء شرحه، بما يظهرها ويقوّيها، كان جديراً بها أن تنزل بقيمة الحماسة، باعتبارها نصوصاً يستشهد بها في علوم اللغة والعربية، ولكنا نجد العلماء مجمعين على تزكية أبي تمام في الحماسة، وعلى تزكية الحماسة ونصوصها، بل يعدون صنيعه في الحماسة داعية إلى الوثوق بشعر أبي تمام نفسه والاستشهاد بشعره[3].

على أنني أبقيت من تلك الأخطاء ما اعتقدت صدوره منه، ووقوعه فيه. ثم قسمت قصائد الديوان إلى مجموعات أربع رتبتها على النحو التالي:

---

(١) مقدمة تحقيق ديوان الحماسة ص ٣.
(٢) مقدمة الشرح ص ١٣ ـ ١٤.
(٣) مقدمة التحقيق ص ٩.

أ ـ وجدانيات وإخوانيات:

وهي تجمع ما قاله في المناسبات الإخوانية المختلفة، كمناسبات الزواج والحفلات العادية، وما نظمه في مدح مشائخه وبعض أطبائه وأصدقائه، كما يضم ما كتبه تعبيراً عن أحاسيسه حول بعض المعاني والمواقف المختلفة. وبلغ مجموع ذلك سبعاً وخمسين قطعة بين قصيدة ومقطوعة.

ب ـ تاريخيـــات:

بدأتها بقصيدة مدح بها الرسول ﷺ، ثم بمقطوعة ودع بها العهد العثماني بالحجاز، ومجموعة من القصائد التي تعامل بها مع العهد الهاشمي، ثم قصائد متنوعة امتدح بها جماعة من أمراء الهنود وبعض الوجهاء الذين كانوا يزورون المدينة المنورة، أو يجتمع بهم في مواسم الحج المختلفة، وأكثرهم كانوا من ذوي اليسار ومن أصحاب الفضل والجدوى عليه، وهكذا بلغت هذه المجموعة أربعاً وعشرين قصيدة، ومقطوعة واحدة.

جـ ـ غـزليـــات:

وأول ما يلحظ في هذه المجموعة أن أغلبها كان من الغزل الصناعي، الذي يقصد منه إلى التفنن وإظهار البراعة وإثبات القدرة الشعرية، وفي مقدمة بعضها ذكر أنه نظم القصيدة بناء على طلب أحد لداته من أفراد أسرته، ولكن هذا لم يكن يمنعه من تمثل التجربة وتقمّص شخصية العاشق الحقيقي. والملحوظة الثانية أن بعض هذا الغزل لم يزد عن كونه تشطيراً أو تخميساً لأبيات بعض الشعراء القدامى، دفعه إليه استحسانه لشعرهم

وإعجابه بهم، وتمثل هذه الغزليات في شعره ثلاثاً وستين قطعة ما بين قصيدة ومقطوعة.

د ـ سعوديات:

وهي عبارة عن ست وثلاثين قصيدة، ومقطوعة واحدة، وقد شملت مدحه لجلالة المغفور له الملك عبد العزيز، ثم الملك سعود في أثناء ولايته للعهد، وفي أيام حكمه الأولى، وكذلك مدحه لأصحاب السمو: الأمير محمد بن عبد العزيز، والأمير منصور بن عبد العزيز، والأمير طلال بن عبد العزيز، والملك فيصل حين كان نائباً عامّاً على الحجاز، وشملت أيضاً مدحه لرجال آخرين كانوا ذوي شأن في حياة الشاعر الخاصة، وذوي مكانة عامة في الحكم أو الحياة السياسية في الدولة.

٣ ـ تعمدت حذف بعض القصائد والمقطوعات، وذلك لاضطراب أوزانها أو لتفكك عباراتها، أو لكونها غزلاً لا يمكن التحايل لنشره، لدخوله في باب الأسرار الشخصية الخاصة جداً، ولا ضير البتة على الشعر والشاعر إن نحن حذفنا تلك القصائد من هذا الديوان وإلى الأبد، فإنه لا يليق بنا أن نسيء إلى الأموات أو أن نتعرض لكشف العورات، كما لا يجدر بنا أن ننقل عن الناس ما لا ينبغي أن ينقل، أو نقول عنهم ما لا يقال.

ملامح من الحياة العلمية والثقافية في عصر صاحب الديوان

ولد شاعرنا الشيخ عمر بن إبراهيم البرّي سنة ١٣٠٩ هـ، وتوفي سنة ١٣٧٨ هـ، ومعنى هذا أنه عاش تسعة وستين عاماً، وأنه شاعر مخضرم بين ثلاثة عهود تعاقبت على حكم الحجاز، هي: آخر العهد العثماني الذي انتهى بسنة ١٣٣٤ هـ، وكل العهد الهاشمي الذي انتهى في المدينة بـ ١٩ جمادى الأولى سنة ١٣٤٤ هـ، والعهد السعودي الذي امتدت به الحياة فيه ٣٤ عاماً.

وعلى الرغم مما ساد هذه الفترة من اضطراب في الأمن ونزوع إلى الفتنة، وازدراء من الأتراك وبخاصة من الاتحاديين، لكل شعوب الدولة العثمانية من غير الأتراك، في أسلوب عنصري بغيض، رافقته حملة منظمة للتتريك، بالرغم من كل ذلك فإن المدينة دخلتها بعض عناصر التحديث من وسائل الحضارة، كالبرق والهاتف وسكة الحديد، ونعمت بقدر من العلم والثقافة كان يمكن أن يؤتي ثماره لو لقي جهوداً كافية من التعهد والرعاية، ولو لم تقف في طريقه كثير من المعوقات والمثبطات.

وكانت ركائز العلم والثقافة في ذلك العهد قائمة على:

أ ـ الكتاتيب:

كانت الكتاتيب هي أول جهة دراسية يتجه إليها الأطفال، فما أن يبلغوا سنّ الخامسة حتى يلتحقوا بها، ليتعلموا فيها القراءة والكتابة، فإذا أتقنوهما شرعوا في حفظ القرآن الكريم، وذلك بوساطة الألواح، التي كان يتم طلاؤها بالمدر الأبيض بعد غسلها بالماء، لتصبح بعد جفافها صالحة للكتابة عليها. وعندما تتقدم بهم السنّ قليلاً ويقوون على حفظ نصيب طيب من القرآن، يضاف إليهم بعض المعلومات الدينية الضرورية مما يتصل بالعبادات والعقائد.

وكان آخر المسجد النبوي يعج بمجموعة من هذه الكتاتيب، بعضها أرضي، وبعضها في الدور الثاني، ولم يكن يقل عدد الطلاب في الكتاب الواحد عن خمسين طالباً، ولا يخرج الطالب من كتّابه إلا بعد أن يكرمه الله بحفظ القرآن الكريم كله، أو حفظ أجزاء عديدة منه. وجرت العادة عندهم إذا حفظ الطالب القرآن كله أن يحتفي به أهله احتفاءً عظيماً، ويقيموا له حفلاً كبيراً يجمع الأقارب والجيران وجميعْ زملاء ابنهم في الكتّاب، حيث يلبسون أجمل ثيابهم ويخرجون من الكتّاب في مجموعات رشيقة، وهم ينشدون القصائد التقليدية، حتى يصلوا إلى منزل صاحب الختم[1]. وبالطبع كان ينال الشيخ صاحب الكتّاب بهذه المناسبة، الكثير من التكريم.

ومن الكتاتيب الرئيسية المعروفة:

١ ـ كتّاب الشيخ إبراهيم الطرودي، الذي لا يزال ذكره وذكر عريفه

---

(١) صور وذكريات عن المدينة المنورة ـ ص ١٤ للسيد عثمان حافظ ط ١ سنة ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م.

محمد بن سالم حديث الكبار من أهل المدينة.

٢ ـ كتّاب الشيخ إبراهيم فقيه، والد الشيخ جعفر فقيه الذي كان مديراً لمكتبة المسجد النبوي في أول عهد الملك فيصل رحمه الله.

٣ ـ كتّاب الشيخ عبده أبو خضير.

٤ ـ كتّاب الشيخ الكُتامي.

ولم يكن المسجد النبوي وحده مكاناً للكتاتيب، بل كان بكل مسجد من مساجد المدينة الأخرى كتّاب أو أكثر، تقوم بنفس المهمة، وتهيىء لأبناء طيبة الفرصة لحفظ كتاب الله وتفصيح ألسنتهم بلغة القرآن.

ب ـ المـــدارس:

عرف الحجاز المدارس النظامية منذ مطلع القرن الرابع عشر الهجري، وأواخر القرن التاسع عشر الميلادي[1]، من صناعية وزراعية ودور معلمين، ومن مدارس ابتدائية وإعدادية، ويذكر ساطع الحصري أنها بلغت ثمانياً وسبعين مدرسة حكومية وأهلية كانت مقسمة على أكبر المدن الحجازية: مكة، والمدينة، وجدة، والطائف[2].

وكانت المدرسة الرشدية ـ كما يذكر السيد عثمان حافظ[3] ـ هي أول مدرسة بالمدينة، سميت بذلك نسبة إلى والي الحجاز رشدي

---

(١) يحدد عثمان حافظ سنة البدء بـ ١٣١٠ هـ، بينما يرجح الفوزان في كتابه: (إقليم الحجاز ص ٢٨١) أنها سنة ١٣٠١ هـ.

(٢) حولية الثقافة العربية ـ السنة الأولى ـ ص ٣.

(٣) صور وذكريات ص ١٦٦.

بـك، وكانت بمستـوى المرحلة المتـوسـطة. وبلغ عـدد المـدارس التحضيرية في العهد العثماني أربعاً، وعدد المدارس الابتدائية ثلاثاً، في المدينة وأطرافها، كما كان يوجد بها مدرستان ليليتان لمحو الأمية.

وفي حوالي عام ١٣١٨ هـ تمّ تأسيس المدرسة الإعدادية، وهي في مستوى المدارس الثانوية، وكانت ذات خمسة فصول، ثم أضيف إليها فصل سادس باسم: (إحضاري فصلي جامعي) وهـو بمستوى السنة التوجيهية. وكان مبنى هذه المدرسة بالباب المجيدي في شمال شرقي المسجد النبوي، وقد أزيل في التوسعة السعودية للمسجد عام ١٣٧٥ هـ.

وكانت الحكومة العثمانية تطلب كـل عام أربعـة من خريجي المدرسة الإعـدادية لابتعـاثهم إلى استانبـول أو دمشق أو القدس، لاستكمال دراستهم العالية. ومع ذلك فقد كان الإقبال على المدارس من الأهالي في العهد العثماني بصفة عامة ضعيفاً في أول الأمر، وذلك لشيوع فكرة حولها، مفادها أن المتخرجين منها سيكون مصيرهم التوجيه إلى العسكرية، فلما تلاشت هذه الفكرة كثـر الإقبال على المدارس وامتلأت فصولها بالطلّاب، وقد كان خريجوها النواة الأولى للحركة التعليمية الحديثة بالمدينة.

وفي حـوالي سنـة ١٣٢٧ هـ أنشـأ الأتـراك داراً للمعلمين، وكـان مقرها: (الساحة)، ومهمتها تزويد المدارس الابتـدائية والتحضيـرية بالمدرسين، ولذلك فإن طلابهـا يكونـون عادة من المتخـرجين من المدرسة الإعدادية(١).

---

(١) المرجع السابق ص ١٦٧.

أما لغة الدراسة في هذه المدارس، فقد كانت في المرحلة الابتدائية والتحضيرية، هي اللغة التركية، بينما كانت المدرسة الإعدادية ودار المعلمين تجمع بين اللغتين: العربية والتركية.

ولتشجيع الالتحاق بدار المعلمين كانت الحكومة العثمانية تدفع للطالب فيها مكافأة شهرية قدرها ثلاثة ريالات مجيدية.

وكانت النية ـ فيما يبدو ـ متجهة إلى تطوير هذه الحركة التعليمية، ولذلك أنشئت مديرية عامة للمعارف مربوطة بنظارة المعارف باستانبول، وتقرر إنشاء جامعة إسلامية تحمل اسم: (صلاح الدين الأيوبي)، يلتحق بها المتخرجون من المدرسة الإعدادية، ممن لا يريدون الالتحاق بدار المعلمين، ويرغبون في مواصلة دراستهم العالية، وشرعت السلطات بالفعل في حوالي عام ١٣٣٢ هـ ببنائها وفق مواصفات وضعها مهندسون متخصصون، وتمّ تشييد الطابق السفلي منها بالحجارة السوداء المنحوتة، وأسهم ذوو الفضل واليسار في العالم الإسلامي في دعم المشروع، إلا أن الحرب العالمية حالت دون إتمامها، فتوقف العمل فيها سنة ١٣٣٤ هـ وأهمِل المبنى إلى أن أظلّ العهد السعودي المبارك، حيث أقيم عليه طابق ثان، وأصبح أول ثانوية بالمدينة هي ثانوية طيبة. وحقق هذا العهد حلم العالم الإسلامي في إنشاء جامعة إسلامية بمدينة رسول الله ﷺ، فكانت (الجامعة الإسلامية) التي نشاهد مبانيها الضخمة الشاهقة في العقيق.

وإذا كانت الظروف لم تساعد على استكمال إنشاء جامعة في المدينة آنذاك، فإن ذلك لم يمنع ذوي الطموح من أبناء المدينة من مواصلة تعليمهم الجامعي، فقد خرج بعضهم في بعثات إلى استانبول

ودمشق والقدس، وتكبدوا المشاق من أجل التحصيل العلمي، وقدمت لهم الحكومة بعض المساعدات التي تخفف عنهم جزءاً من التكاليف، كتخفيض تذاكر السفر في القطار، وغير ذلك من التسهيلات.

ومن هؤلاء المبتعثين إلى جامعة صلاح الدين بالقدس:

الشيخ محمد المغيربي فتيح، والشيخ عمر قازاني، والشيخ عبد القادر عبد الجواد، والشيخ سليمان حماد، والشيخ كامل حواري، والشيخ حسن قباني، والشيخ منتظر طرابزوني، والشيخ عمر توفيق، والشيخ حسن عنبر خان.

وممن ابتعث إلى استانبول: رفاقت علي، وقد تخرج طبيباً، وعاد إلى المدينة ومارس الطب فيها، وكان شاعراً مرموقاً. وكذلك السيد جميل أحمد.

وقد كان لهؤلاء المبتعثين وزملائهم المتخرجين من المدارس الإعدادية ودار المعلمين الفضل الأكبر ـ كما أشرنا قبل قليل ـ في مسيرة التعليم التي آتت أكلها في العهد السعودي، فكان منهم الأساتذة والمديرون وأصحاب القيادات.

وأما في العهد الهاشمي، فقد تأخر التعليم بعض التأخر، بدعوى الحماسة للعربية والإخلاص لعلوم الشريعة، ومع ذلك فقد تمّ في عام ١٣٣٨ هـ افتتاح أربع مدارس تحضيرية، كل مدرسة بفصلين، وهي:

١ ـ المدرسة الفيصلية، وكان مديرها السيد حسين طه.

٢ ـ المدرسة العبدلية، وكان مديرها السيد أحمد صقر.

٣ ـ المدرسة الزيدية، وكان مديرها السيد ماجد عشقي.
٤ ـ المدرسة العلوية، وكان مديرها الشيخ يس كردي.

ثم أسست المدرسة الراقية عام ١٣٤٠ هـ، وتولى إدارتها السيد حسين طه، وهي مرحلة بعد التحضيرية.

ومع تأكيدنا على أهمية دور تلك المدارس التي تمّ إنشاؤها في أواخر العهد العثماني وفي العهد الهاشمي، فإن أهل المدينة خشوا على أولادهم من التتريك، وخافوا عليهم من اتجاه الاتحاديين العلماني، فتسابقوا في إنشاء مجموعة من المدارس الأهلية التي توفر لأبنائهم الدراسة الإسلامية وتحفظ لهم لسانهم العربي، ومن أهم تلك المدارس:

١ ـ المدرسة الجليلة، وكان مديرها عمر لطفي أفندي.
٢ ـ مدرسة بشير آغا، وكان مديرها عمر زاهد، وأخوه أحمد زاهد.
٣ ـ مدرسة الشفاء، وكان مديرها علي أفندي.
٤ ـ المدرسة الإحسانية، وكان مديرها عثمان أفندي اا جاللي.
٥ ـ مدرسة ثروت أفندي، وكان مديرها أحمد أفندي.

ثم أسست بعد ذلك:

١ ـ مدرسة الحديث.
٢ ـ مدرسة النجاح.

وأخيراً أنشئت مدرسة العلوم الشرعية، التي كان لخريجيها شأن كبير في الحركة الأدبية بعد ذلك، أسسها الشيخ أحمد الفيض أبادي في أواخر حكم الأشراف سنة ١٣٤١ هـ، لتقوم بدور مدارس الفلاح في جدة ومكة.

جـ ـ المسجـد النبـوي:

كان هذا المسجد المبارك في مطلع القرن الرابع عشر الهجري كما هو حاله في جميع العصور، مراداً لطلاب العلم، ومثابة للعلماء، تدرّس فيه العلوم الدينية، والعربية، والتاريخ، والتراجم، والرياضيات، والمنطق، والفلسفة، والفرائض، ولا تكاد تنقطع فيه حلقات الدرس طوال النهار وأجزاء كثيرة من الليل، بالإضافة إلى تعدد تلك الحلقات في الوقت الواحد والعلْم الواحد، ويقوم الطالب باختيار العلم الذي يأنس في نفسه الاستعداد لدراسته، وحلقة الشيخ الذي يحس الاستفادة منه ويطيب له الدراسة على يديه، وهو حرّ أيضاً في عدد المواد التي يدرسها، وكلما أتقن علماً على يد شيخ منحه إجازة تشهد بإتقانه، وقد تكون الإجازة قاصرة على كتاب من أمهات الكتب لا تتعداه إلى غيره، كما قد تكون مصحوبة بسند الشيخ.

وهو بهذه الصورة يطبق نظاماً تعليمياً من أرقى الأنظمة التعليمية المعاصرة، التي تدعي لنفسها الابتكار، ويزيد عليها في عدة أمور، منها أن المدرس لا يُكتفَى فيه بحيازته على وثيقة دراسية فقط، بل لا بد أن يجتاز مقابلة علمية يجريها له كبار علماء المسجد، ويزيد عليها أيضاً في أن الهيمنة الإدارية تكاد تكون مفقودة على الطالب والمدرّس، وأن المدرسين والطلاب كانوا كلهم من جميع البلاد الإسلامية، وأنه لم يكن يُدفع للمدرسين في الغالب أي راتب أو مكافأة، بل هو الاحتساب وحب العلم وأهله.

ومن أشهر الشيوخ الذين أكرمهم الله بالتدريس في المسجد:

الشيخ محمد الطيب الأنصاري ـ الشيخ إبراهيم برّي ـ الشيخ

أحمد بُساطي ـ الشيخ حمزة بساطي ـ الشيخ محمد صادق الجزائري ـ الشيخ عبد الباقي الأيوبي ـ الشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي ـ الشيخ محمد الخضر الشنقيطي ـ الشيخ حسن الشاعر (والد وزير الإعلام الحالي: معالي الأستاذ علي حسن الشاعر) ـ الشيخ حميدة الطيب الجزائري ـ الشيخ إبراهيم الكوراني ـ الشيخ عمر حمدان ـ الشيخ عبد الحق رفاقت علي.

وممن سعدوا بالتدريس فيه في العهد السعودي غير من تقدم:

الشيخ صالح التونسي (والد مدير الأمن العام السابق محمد الطيب، ومعالي الأستاذ عبد الرحمن مدير عام مدارس الثغر، والأستاذ مكي) ـ الشيخ عمر بن إبراهيم برّي (شاعرنا هذا) ـ ابن عمه الشيخ ماجد برّي (والد تلميذنا وأخينا الدكتور عدنان برّي) ـ الشيخ عبد الرحمن الإفريقي ـ الشيخ محمد علي التركي ـ الشيخ عبد القادر شلبي ـ الشيخ محمود شويل ـ الشيخ ألفا هاشم ـ الشيخ حسين أحمد ـ الشيخ محمد الزغيبي ـ الشيخ محمد العربي المغربي ـ الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي ـ الشيخ محمد المختار الشنقيطي ـ الشيخ محمد الحافظ أبو موسى ـ الشيخ عطية سالم ـ الشيخ محمد العايش الجزائري ـ الشيخ أبو بكر جابر الجزائري ـ الشيخ عمر محمد فلّاتة ـ الشيخ محمد ثاني ـ الشيخ أبو بكر التنبكتي ـ الشيخ عمار بلَزعر السُّوفي الجزائري ـ الشيخ أمين طرابلسي ـ الشيخ صالح الطرابلسي، وغيرهم.

ويلاحظ أن الدراسة في المسجد النبوي بعد الحرب العالمية أخذت في عمومها الطابع الوعظي، واتجهت إلى العامة أكثر من

اتجاهها إلى الخاصة، ولم تعد تمنح الإجازات، وذلك بسبب انتشار المدارس الابتدائية، ثم المتوسطة والثانوية، ثم الجامعية.

د ـ المكتبات:

لقد زخرت المدينة بمجموعة من المكتبات القيمة، التي كانت تضم بين جنباتها أمهات المخطوطات، ولعل أهم تلك المكتبات وأقدمها جميعاً: مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة[1]، التي أنشأها صاحبها سنة ١٢٧٠ هـ، ثم المكتبة المحمودية التي أسسها السلطان محمود العثماني سنة ١٢٧٢ هـ.

وهناك مكتبات عامة أخرى كانت تابعة للمدارس التي تحدثنا عنها قبل قليل، كمكتبة مدرسة الشفاء، ومكتبة مدرسة قرّه باش، وغيرهما.

وبجانب ذلك كانت توجد مكتبات خاصة قائمة في بيوت العلماء، كمكتبة آل هاشم، ومكتبة آل الصافي، ومكتبة آل البساطي، ومكتبة آل البرزنجي، ومكتبة آل البري.

وعماد كل هذه المكتبات إنما هو الكتب المخطوطة، إذ لم تكن الكتب المطبوعة قد انتشرت في هذه البلاد في مطلع القرن الرابع عشر الهجري بالقدر الكافي، إلا ما كان يصل بقلة من بعض المطبوعات الحجرية من الهند، أو بعض المطبوعات الأقل من جهات أخرى.

---

(١) انظر: مقدمة تحقيقنا لكتاب (شهي النغم في ترجمة شيخ الإسلام عارف الحكم ـ للألوسي).

وكان للمكتبات والكتاب المطبوع موعد بعد ذلك في العهد السعودي، وازدهاره أيما ازدهار.

هـ ـ المطابع والصحف:

أسس بعض الأهالي في سنة ١٣٢٨ هـ برئاسة محمد مأمون الأرزنْجاني، أول مطبعة في المدينة، وهي (مطبعة المدينة) كما ذكر البتنوني، الذي زار المدينة سنة ١٩١٠ م، وهي التي أسهمت في طبع بعض المؤلفات لسكّان المدينة، إضافة إلى جريدة المدينة.

وصدر بالمدينة في العهد التركي ثلاث جرائد هي:

١ ـ **المدينة**: أصدرها الأديب المدني محمد مأمون الأرزنجاني في ١٩٠٩/١/١٦ م باللغة التركية والعربية، وكان يطبعها بمطبعة (البالوزة) بالمدينة، وصدر منها ثمانية أعداد، ثم انقطعت، تحدث عنها البتنوني في رحلته إلى المدينة عام ١٩١٠ م، ومما كان ينشر فيها بعض القصائد الشعرية التي كان يكتبها صاحبها ومدير تحريرها الأرزنجاني، ومن ذلك القصيدة الترحيبية التي قالها بمناسبة زيارة الجناب العالي المصري للمدينة عام ١٩١٠ م ومطلعها:

البدر في أفق العليِّ قد طلعا وكوكب السعد في إسعاده طلعا

٢ ـ **الرقيب**: وكانت خطية، أصدرها الأديبان: إبراهيم خطاب، وأبو بكر دغستاني في يناير عام ١٩٠٩ م، وذلك قبل وصول المطبعة للمدينة.

٣ ـ **الحجاز**: وهي غير جريدة (حجاز) التي كانت تصدر بمكة، وكان صدورها بعد ثورة الحسين بمكة وسيطرته على الجريدة الرسمية،

ولذلك اتخذ منها الأتراك في المدينة الجريدة الرسمية الناطقة باسمهم، وكتبوا عليها: (جريدة سياسية أدبية اقتصادية اجتماعية)، وجلبت لها آلة الطباعة من سوريا، واتسعت الحكومة في نشرها حتى غدت يومية، وأحضرت لها محرراً من سوريا، هو الأديب: (محمد مصطفى النعساني) الحلبي، الذي حوّل الجريدة إلى جريدة عربية عامة، تنشر أي موضوع يرسل إليها، شريطة أن يسهم في إضرام الثورة ضد الابتزاز والظلم الذي جلبه أحمد جمال باشا في الشام، وأعوانه من الأتراك في المدينة المنورة، عندما تنكرت القيادة السياسية في آخر العهد التركي، وتعتبر هذه الجريدة من أجود الوثائق لمن يريد دراسة الأوضاع السياسية والاجتماعية وما آل إليه الوضع في المدينة المنورة قبل خروج الأتراك منها، وقد صدر منها ١٠٥ أعداد، وآخر ما صدر منها في ١/٦/١٢٣٥ هـ[١].

أما في العهد السعودي[٢] فقد ظهر فيها أول ما ظهر مجلة المنهل لصاحبها الأستاذ عبد القدوس الأنصاري، وذلك في شهر ذي الحجة عام ١٣٥٥ هـ، وبعد ثلاثة أعداد منها انتقل بها صاحبها إلى مكة عام ١٣٥٦ هـ، ثم إلى جدة، ولا تزال.

وأول جريدة هي جريدة (المدينة) لصاحبيها: عثمان حافظ، وعلي حافظ، وقد صدر أول عدد منها في ٢٦/١/١٣٥٦ هـ، وكانت أسبوعية، ومن أبرز من اشتركوا في الكتابة فيها والإشراف عليها: السيد أمين مدني، ومحمد حسين زيدان، وضياء الدين رجب، ولكنها

(١) إقليم الحجاز ٣٠٣ - ٣٠٤.
(٢) المرجع السابق ص ٣٥٧.

انتقلت أيضاً إلى جدة منذ العدد (١١٤٦) المؤرخ في ١٣٨٢/٧/٢٧ هـ.

و ـ الأندية العلمية والأدبية:

يقول السيد عثمان حافظ في هذا الصدد، وهو يتحدث عن أواخر العهد التركي والعهد الهاشمي:

كانت بيوت الأدباء والعلماء منتديات للأدب والثقافة، ومن هذه المنتديات:

أ ـ ندوة الشيخ عبد الجليل برّادة، وهو من شيوخ الأدب والعلم، ومن الشعراء المجيدين، وكانت ندوته تعقد في بستانه (الأبّارية) في موضع فندق التيسير الآن.

ب ـ ندوة السيد أنور عشقي، وهو من الشعراء والأدباء البارزين أيضاً، وكانت ندوته تعقد في بستانه (العِشْقية)، في سفح جبل سلع، شمال ثنية الوداع، وفي هذا البستان يقول صاحبه أنور عشقي:

وروضة ما رضيت عنها   بملك كسرى ولا بقيصر
وكيف وهي المنى و(عشقي)   بها، وزهر الربيع (أنور)[1]

كذلك كانت تعقد الندوات في منازل الأدباء والعلماء الآتية أسماؤهم:

١ ـ منزل الشيخ عبد القادر بري.
٢ ـ منزل السيد أحمد الصافي.
٣ ـ منزل السيد عبد القادر هاشم.

---

(١) عشقي: اسم ابنه الأكبر. أنور: اسمه هو.

٤ ـ منزل السيد عبد الجليل مدني، وأخويه: عبد العزيز، وزين العابدين.

وقد ساد في هذه المجالس التشطير والتخميس والتشجير، ومن ذلك قول الشاعر:

مــن لــي بــظبــي أهــيــف ... خُــتــم الــجــمــال بــه وتَــمْ
فــي فــيــه مــاء حــيــاتــنــا ... والــمــوت فــي جــفــنــيــه ثَــمْ
إن قــلت: صلنــي، قــال لي: ... مــن رام وصــلاً مــات غــمْ

فقد شطرها أكثر من سبعين شاعراً.

وكذلك البيتان:

ظــبــي جــاوَى قــد ســبــانــي ... وجــهــه الــبــاهــي الأنــيــس
ثــغــره كــنــز الــلآلــي ... ريــقــه (أنــقــرْ مَــنــيــس)[1]

ومن شعراء المدينة في هذا العهد: الشاعر عبد الجليل برّادة، الذي عرف بتمكنه في اللغة والأدب، وبإحسانه اللغتين: التركية والفارسية أيضاً، كما عرف بكثرة رحلاته إلى مختلف البلاد، الأمر الذي هيأ له المشاركات الكثيرة، وشقق أمامه فنون القول، ووصله بالعديد من أدباء عصره، ومن أشهر قصائده رائيته التي كتبها حينما تم انتصار الدولة العثمانية على اليونان، وذلك في سنة ١٣١٣ هـ، والتي مطلعها[2]:

كذا فليكن ما يحرز المجد والفخر ... كذا فليكن ما يجمع الفتح والنصر

---

(١) الأنقر منيس: هو شراب الورد، أو الليمون، أو المهلبيات مع الحلويات والخبز.
(٢) حلية البشر ٢ : ٧٨١.

كذا فليكن ما يبلغ السؤل والمنى كذا فليكن ما يدرك الثأر والوتر

وفيها يقول عن الأعداء:

سمعنا بأن الجبن فيهم سجية ولما التقينا صدّق الخبرَ الخُبْرُ
لقد تركوا الأوطان والأهل عنوة وأجلاهمُ القتل المبرّح والأسر
وما وقفوا في مأقِطِ الحرب لحظة ولا ثبتوا، كَلّا، ولكنهمْ فرُّوا

والشاعر إبراهيم الأسكوبي المتوفى سنة **١٣٣٢** هـ الذي قال عنه الأستاذ العامودي: إنه (على رأس شعرائنا الحجازيين في أواخر العصر العثماني)[1]، وقد اشتهر بقصيدته السياسية: (يا آل عثمان):

يا آل عثمان.. فالمغرور من غُرّا بأهل أوربّةٍ، أو عهدهم طرا
أتأمنون لموتورين ديدنهمْ ألّا يروا منكمُ فوق الثرى حرّا

إلى أن يقول:

لا تحسبوا أنهمْ ناسون ما فعلت أسلافكمْ بهمُ في سالفٍ مَرّا
هي التي أنتمُ فيها منازلهمْ غصبتموهمْ عليها فاعلموا قهرا

ويختمها بقوله:

لو ألف عام طلبتمْ علم أوربة وحالُكمْ هكذا لم تبلغوا العُشْرا
نصيحة حثها النصر المبين لكمْ عسَى عسَى بعدها أن تنفع الذكرى

أما في العهد السعودي وبعد **١٣٥٠** هـ بالذات، فقد أسس بالمدينة ناديان أدبيان هما:

---

(١) من تاريخنا للعامودي ص ٢٢٥ ط ثانية.

١ ـ نادي الحفل الأدبي:

ومن أعضائه: عبد القدوس الأنصاري ـ السيد أحمد خياري ـ أحمد رضا حوحو.

٢ ـ نادي جماعة المحاضرات:

ومن أعضائه: عبد الحق نقشبندي ـ محمد عمر توفيق ـ علي حافظ ـ عثمان حافظ ـ عبد الحميد عنبر ـ ماجد عشقي.

وكانت ندواتهما تعقد أسبوعياً، فمساء الجمعة للحفل، ويوم الثلاثاء للجماعة[1].

ولو ذهبنا نعد الشعراء والأدباء الذين برزوا في العهد السعودي وزاملوا شاعرنا البرّي، أو قامت بينه وبينهم علاقة، لطال بنا الحديث.

ومن هؤلاء الشعراء الشيخ محمد العُمريّ (المتوفى سنة ١٣٦٥ هـ)، والشيخ عمر كردي الكوراني الذي تولى قضاء المدينة لعدة سنوات، وأخوه عبد الحفيظ كردي الذي كان في وقت من الأوقات نائباً لقاضي المدينة أيضاً، وضياء الدين رجب، وأحمد العربي، وعبيد مدني، وعبد الحق نقشبندي، ومحمد سعيد دفتر دار، وغيرهم.

وبعـد:

فلعله يحق لنا بعد هذا العرض السريع للحياة الثقافية التي كانت تعيشها المدينة في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري، أن نسأل عن موقع شاعرنا البري من هذه المعالم

---

(١) صور وذكريات ١٠٨ ـ ١٠٩.

والأحداث، وأن نسأل عن مدى شاعريته بين أقرانه؟.

ينحدر شاعرنا ـ كما رأينا ـ من بيت أدب وعلم، فمنهم المفتي والقاضي، والمدرّس والإمام والخطيب، والشاعر والأديب، وكان والده الشيخ إبراهيم أحد علماء المدينة الأجلاء، وإذا التفتنا إلى نسبه من جهة أمه ألفينا جده لأمه هو الشاعر إبراهيم الأسكوبي، وابن خالته هو الشاعر محمد سعيد دفتر دار.

هذا وقد أدركنا من علماء آل البري وشعرائهم: الشيخ عبد العزيز بن عبد القادر بري، الذي كان رئيساً لكتابة عدل المدينة في عهد جلالة الملك سعود بن عبد العزيز رحمه الله، كما كان لكل من شاعرنا (عمر بري) وابن عمه الشيخ ماجد بري، حلقة درس بالمسجد النبوي.

وبالإضافة إلى ذلك كان شاعرنا يقوم في القسم العالي بمدرسة العلوم الشرعية بتدريس مختلف علوم العربية والشريعة، من نحو وصرف وأدب وعروض وبلاغة، وفقه وفرائض، وغيرها، ولهذا فإننا نعتقد أن خط سير دراسته منذ نشأته، لم يكن على صلة بالمدارس الحكومية التي سبق أن أشرنا إلى قيامها في أواخر العهد العثماني، وإنما كان ملتصقاً بالثقافة العربية في البيت والكتّاب وحلقات الدرس بالمسجد، ومن أساتذته البارزين في المسجد: الشيخ الطيب التونسي، والشيخ الطيب الأنصاري، وكلاهما من العلماء الكبار المشهورين بالعلم والفضل.

ويبدو أنه وأمثاله ممن سلكوا هذا الخط الدراسي، كانوا بذلك يعبرون عن كراهيتهم لأسلوب التتريك الذي نهجه العثمانيون، ويظهر سخطه هذا بالفعل في الأبيات التالية التي كتبها حين بدأ الترك في

الجلاء من المدينة وهو بالشام سنة ١٣٣٧ هـ:

يـا مـعـشـر الإسـلام هـا كُمْ عبـرةً أضحت مُبِينـهْ
وتـمـعّـنـوا دُرَر الـحـديـ ـث، لأنهـا دُرر ثـمـيـنـه
أو مـا تـروا بـالـذل عـيـ ـن الترك قد أضحت سخينه
ولـمـحـوهـم أرِّخ: (جـزاً لشقـائـهم آذُوا الـمـديـنـه)

ويظهر موقفه منهم أيضاً في مناصرته للثورة العربية وامتداحه لزعيمها الشريف الحسين بن علي، وابنه الشريف علي بن الحسين، ولكنه حين أحس أن تلك الثورة لم تحقق الآمال العربية التي كانت معقودة عليها، ولم تتناغم مع أحلامه، عاد فقلب لزعمائها ظهر المجن، وعلقت عيناه ببطل آخر تتجسم فيه القيم والسمات المطلوبة، وتتحقق على يديه كل الطموحات التي كان يرجوها للحجاز والجزيرة العربية كلها، فكان جلالة المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود.

وتأتي لشعره بعامة فيما عدا غزلياته، أهمية كبيرة، من حيث كونه تسجيلاً لأحداث، أو تأريخاً لأعلام وحكّام، وبخاصة أن قصائده إما مؤرخة في آخرها بحساب الجُمّل، وإما مسبوقة بالتاريخ العادي. ولعل هذا من أبرز الأسباب التي دعتني إلى تحقيق هذا الديوان وإخراجه.

أما من حيث المستوى الفني لشعره، فإنه إن كان متفوقاً فيه على زميله الشاعر عبد الحق نقشبندي ـ مثلاً ـ إلى حد كبير، ومساوياً لعمر كردي وأخيه عبد الحفيظ، فإنه لم يستطع مجاراة شاعر كضياء الدين رجب، ولا مضاهاة ابن خالته محمد سعيد دفتر دار، اللذين امتد بهما العمر بعده بكثير، وما ذلك إلا لأنه غلبت عليه روح العالم،

فقلصت في داخله بعض قدرات الإبداع، وصبغت شعره ببعض العبارات والأخيلة العلمية، وجعلته يعتمد في شعره على تقليد القدماء صورة وعبارة وأسلوباً في جميع أغراض شعره، فهو يشطر ويخمّس، ويطرّز ويشجّر، ويؤرخ بحساب الجمّل، وينهي القصيدة بنفس شطرة المطلع، ويحاجي ويلغز، ويتصيد المحسن البديعي إلى درجة التكلف أحياناً، وهو يبالغ إذا تغزل أو مدح أو استرفد أو هجا.

ولا غرابة في ظهور المسحة العلمية في شعره، فكذلك كان أكثر الشعراء من الفقهاء والعلماء، يقول ابن خلدون: (وما ذلك إلا لما يسبق إلى محفوظهم ويمتلىء به من القوانين العلمية والعبارات الفقهية الخارجة عن أسلوب البلاغة والنازلة عن الطبقة، لأن العبارات عن القوانين والعلوم لا حظّ بها في البلاغة.

فإذا سبق ذلك المحفوظ إلى الفكر وكثر وتلوّنت به النفس، جاءت الملَكة الناشئة عنه في غاية القصور، وانحرفت عباراته عن أساليب العرب في كلامهم، وهكذا نجد شعر الفقهاء والنحاة والمتكلمين[1].

روي أن أحد الأدباء سمع مطلع قصيدة ابن النحوي الذي يقول:

لم أدرِ حين وقفت بالأطلال ... ما الفرق بين جديدها والبالي

فقال السامع على البديهة: هذا شعر فقيه. فقيل له: ومن أين عرفت؟ قال: من قوله: (ما الفرق)، إذ هي من كلام الفقهاء، وليست من أساليب كلام العرب.

---

(١) المقدمة ص ٥٧٩ ـ المكتبة التجارية بمصر.

وقد كنا نعتقد أن يكون لأسفاره الكثيرة إلى مختلف أقطار العروبة والإسلام، أثرٌ على موضوعات شعره وتوجيهه إلى شيء من التجديد، فقد تردد كثيراً على مختلف مدن الهند والشام، وسافر إلى تونس واستقر بها عدة سنوات، واختلط بعلمائها وأدبائها، كأمير شعرائها الشاذلي خزندار، ولكنه مع ذلك كله ظل في شعره مقلداً إلى أبعد حدود التقليد، ولم يستطع أن يفيد من الحركات الأدبية التجديدية التي سرت روحها في العالم العربي، وبخاصة في مصر والشام، بين الحربين العالميتين، والتي تأثر بها زميلاه: ضياء الدين رجب، والدفتر دار، وأصبحت مزية ومذهباً لتلاميذه ومن في طبقتهم، كمحمد هاشم رشيد، وحسن مصطفى صيرفي، وعبد السلام هاشم حافظ، ومحمد العيد الخطراوي، وليس لذلك من سبب في تصوري غير هذا التكوين العلمي الذي أشرنا إليه، وهذا الوفاء للقديم بكل مظاهره، فقد أدركناه رحمه الله محافظاً عليه حتى في ملبسه، بحيث لم يترك العمّة وما كان يصحبها من زيّ كان يعرف به العلماء بالحجاز في مطلع القرن الرابع عشر.

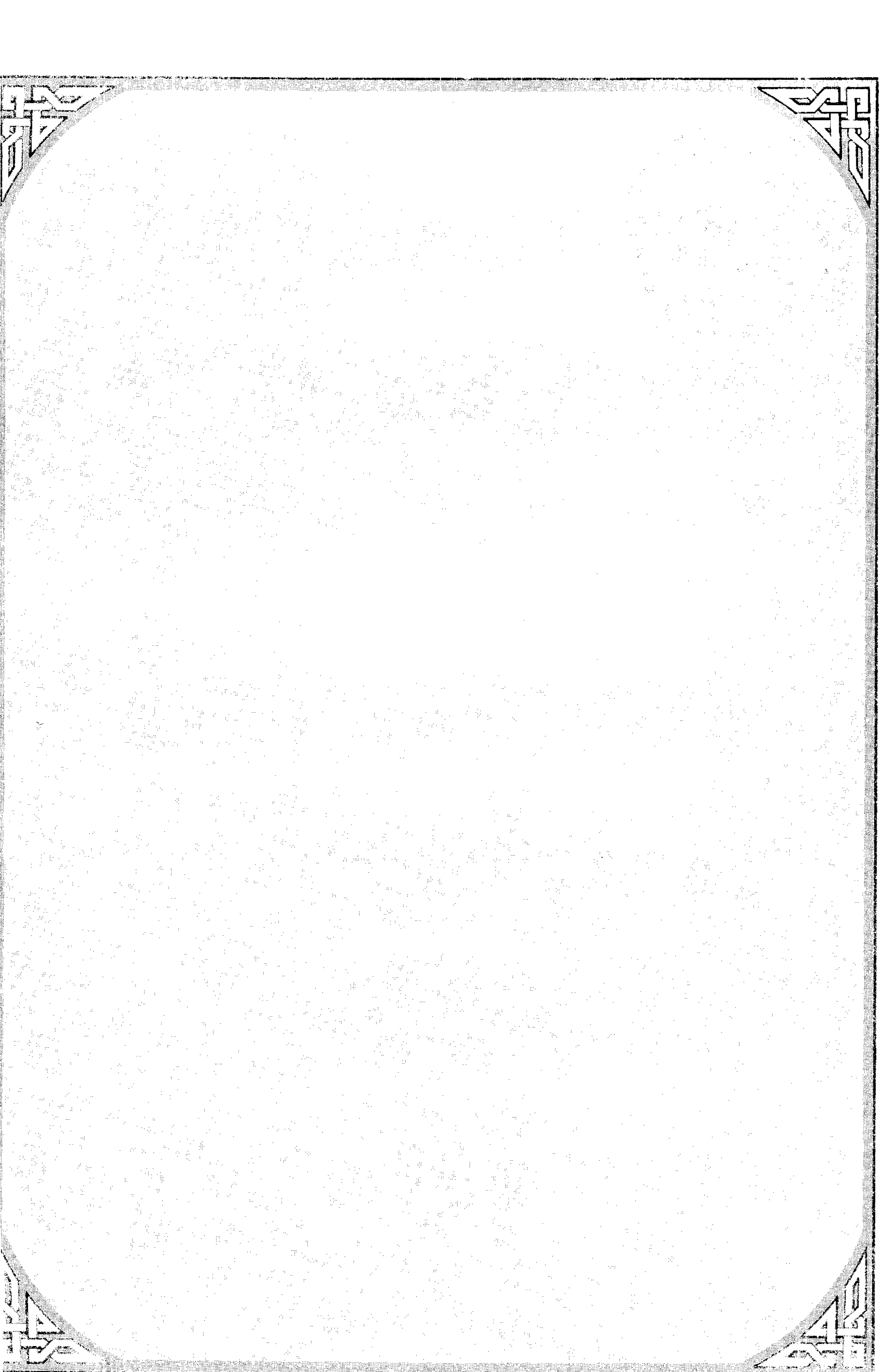
ومع هذه الروح العلمية التي كانت تحكم شعر البري، والنهج التقليدي الذي يسيطر عليه، فإنه كان شاعراً عاش أحداث عصره واحتك بكبرائه ورجالاته، وسجل كل أولئك في شعر مقروء، إن فاته التصوير والتحليق في آفاق الخيال المجنح، فإنه لم تفته السجاحة والرجاحة، ولم يخذله فيه العقل والحكمة، ولم يخل من بعض النبضات الشاعرية التي تدل على الموهبة، ولا من الصدق الذي هو أساس كل عمل أدبي أصيل.

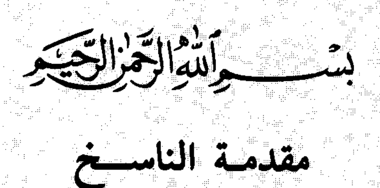
د. محمد العيد الخطراوي



ديــوان
عمـر بن إبراهيـم البـري
من شعراء المدينة في مطلع القرن الرابع عشر

تقـديـم وتحقيـق
الدكتـور محمـد العيـد الخـطـراوي





مقدمة الناسخ

الحمد لله رب العالمين، ثم الصلاة (والسلام)[1] على أشرف المرسلين، القائل: «إن من البيان لسحراً، وإن من الشعر لحكمة»، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

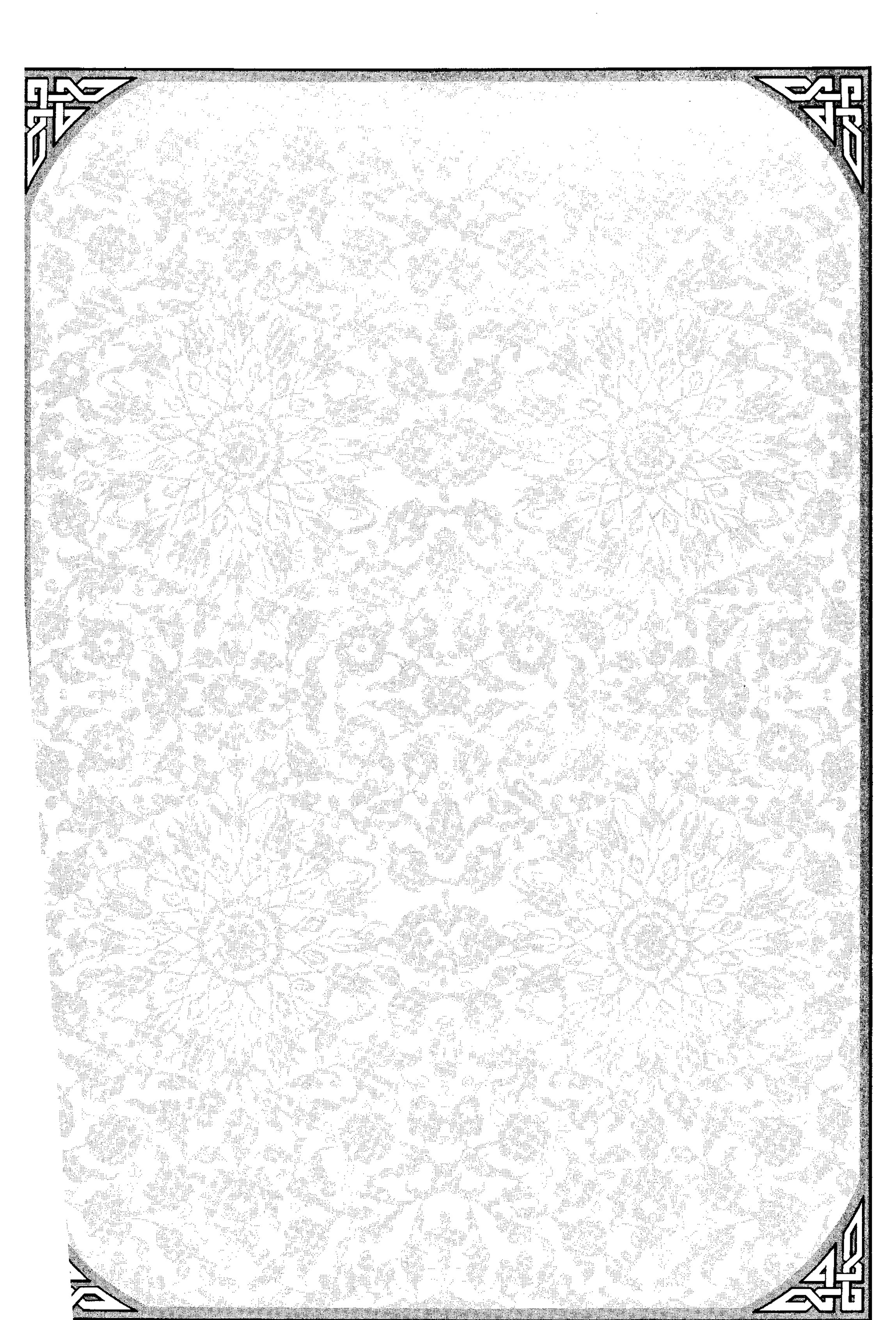
أما بعد:

فإن هذا الكتاب مجموع قصائد شاعر المدينة الكبير، وأحد علمائها الشهير، الشيخ عمر بن المرحوم الشيخ الفاضل العالم العلامة، والحبر والبحر الفهامة، إبراهيم بن عبد القادر بن عمر البري المدني، غفر الله لهم، آمين.

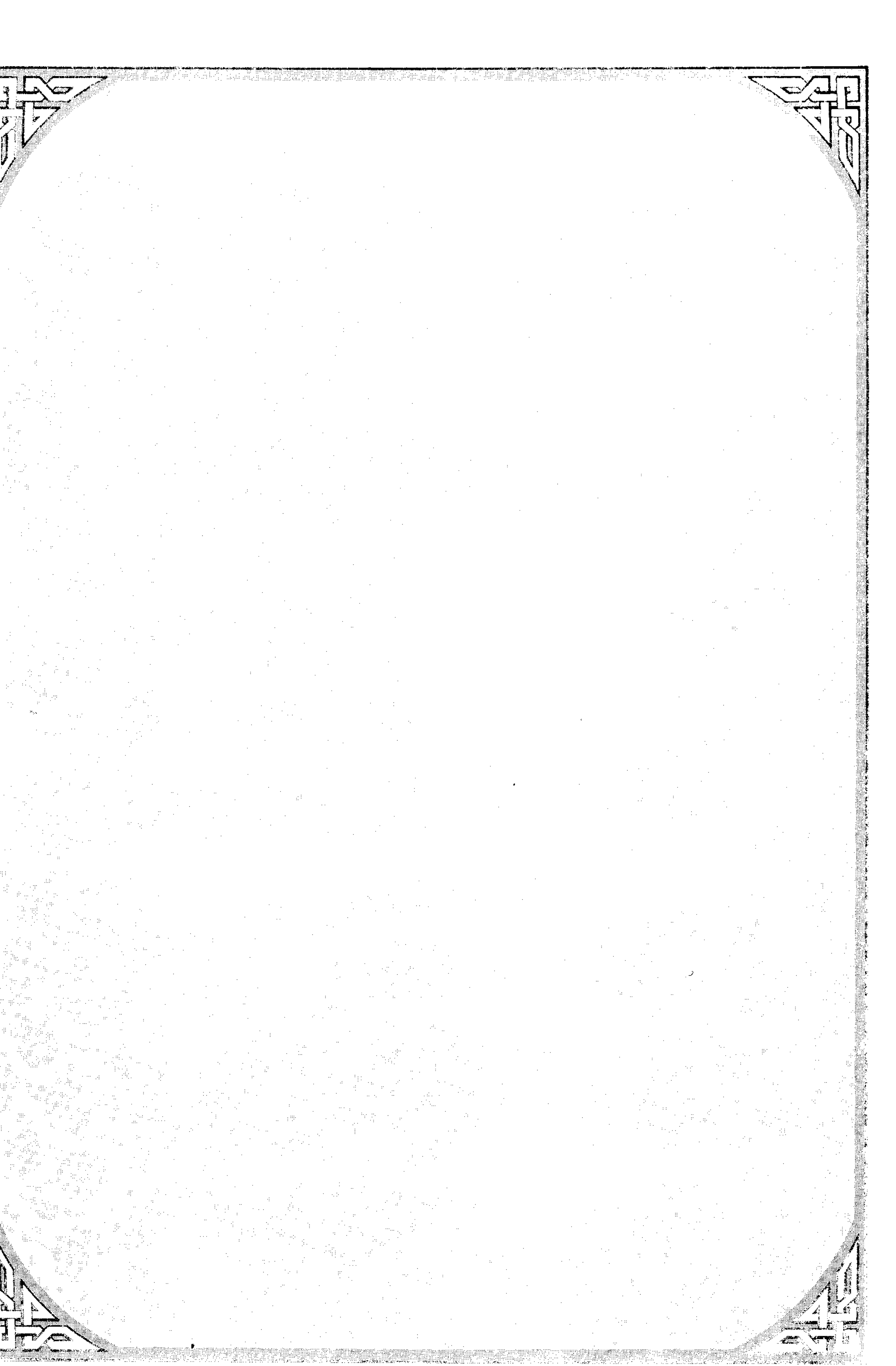
(عبد الكريم عمر برّي)[1]

---

(١) ما بين القوسين ليس في الأصل.



وجدانيات وإخوانيات



\- ١ -

يا أيها البر الذي لاحت برؤيته النعيمْ
كل الوجوه استبشرت مذ لُحتَ يا عبد الكريم[١]

\- ٢ -

وقال:

أكلَّف معْ زماني أن يراني على حال التجنُّب والسكوت
ولو أوليتُه جزء اقتدار لقال لنفسه في الحين: موتي

\- ٣ -

وقال:

ومالي والصحاب ولي فؤاد يرجّح أن يُرَى دوماً فريدا؟
بعيدَ الظل مِنْ نادي أناسٍ تحقّقهم لإبليسٍ جنودا

(١) يبدو أن هذين البيتين في ولده عبد الكريم.

فلا للدين ينقادون خوفاً ولا الدنيا تُسرُّ بهم وجودا
فكن منهم على حذر دواماً فلستَ بواجدٍ خلّاً حميدا

- ٤ -

وقال:

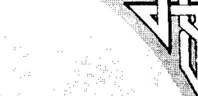
لئن أمسيتُ منفرداً وحيداً ما له ثان
سأسترفد آدابي فهي من خير أعواني
وأغدو ثانيَ الكتـ ـب أنيسان صفيان
طوالَ الليل تسعدني أراعيها وترعاني
تحدِّث بالذي أهوى وما يطرد أحزاني
تشكّي لي سرائرها وأرفدها بكتماني
تحكِّمني على رأيي فكتْبي هيَ سلطاني
فطوراً أنا في لهو وطوراً وسط بستان
وطوراً في مسافات أروح كمثل نشوان
وطوراً أقطع الدنيا أراها بين أعياني
وطوراً أنا في عُرْب وأخرى بين عجمان
وطوراً أنا في نجد أنيساً بين خلان
وأطواراً تهاميّ أراني بين سكان
وأطواراً عراقيٌّ وأطواراً خراساني
وطوراً أنا في وعظ يقيم سماعُه شاني
وطوراً أنا في فقه وفي طاعة ديّان
وأحياناً أنادِمُ مثـ ـل كسرى أنوشروان
وأحياناً أرى بقرا ط جنبي وسط إيواني

وأحيـانـاً بني العـبـا   س نـدمـانـي، ومـروان
وأحيـانـاً بنـي حـمـدا   ن ألـقـاهـم بـإحـسـان
وأحيـانـاً أرى سيبـويـ   ـه ينحـو نحـو سلطاني
وأحـيـانـاً أرى الـطائيّ   والـكـنـديّ نـدمـانـي
وأحـيـانـاً نـواسـيٌّ   وحيـنـاً أنـا هَـمْـذاني
فـإن شئـت فـقسٌّ بـعـ   ـضُ خـلاّنـي وإخـوانـي
وإن شئـت فـسـحـبـا   نُ وأكـثـم لـي خليـلان
كـأنـي في الـورى مـلك   لِيَ الأقصى مـع الـداني
فـعَـبَّـاد وهـارون   وسـيـف مـا لـه ثـان
ومـأمـون بـنـي الـعـبـا   س، والمـدعُـو بخـاقـان
وسـيـفُ إبـن ذي يـزن   كـذا المُسْمَى بنعمـان
أراهـمْ في مـلاطـفـتـي   مـدى الأيـام إخـوانـي

* * *

لـذلـك لا أجـدّ الـدهـ   ـرَ في صحبـة إنسـان
سـوى كـتْـبـي وآدابـي   مـا دام الـجـديـدان

* * *



— ٥ —

وقال:

رمزُ المسرة في الحسان جميعُه إن الجوانح في الغرام تُطيعه
والأنس يوجد في النسيب، ونظمُه يَشريه سمعي في الورى ويبيعه
والسّكْر أن تصطاد معنى رائقاً تحظى بأنك في الأنام تذيعه
وأرى الربيع لدى البديع زهوره إن البديع لدى الأديب ربيعه
نغمات (معبد) في استماعي منشداً يَروي القريض مرتّلاً ويذيعه

* * *

— ٦ —

وقال بديهة في ١٣٦٩/٧/١٧ هـ:

ومن العجائب أنني مهما أرى شخصاً يسائلني عن الأخبار
أزورّ منه لأنني لم أحتكم خبراً صحيحاً مطفئاً لأواري
وأراه في تَسآله متقلقاً فكأنه في حيرة أو نار
ما لي وللأخبار؟ إن سماعها يصم النفوس بذلّة وصغار
ماذا أجيب السائلين وهذه الد نيا تسير على شفير هار
يا سائلي، عني إليك! فإنني في الناس محسوب من الأحجار
متلملم في حجْر داري، صامت تحت القضاء وحِكْمة الأقدار
واللهُ يختم لي بخير شامل في زمرة الصلحاء والأخيار

* * *

وله أيضاً:

أصلح فسادك أيها الإنسان وتوقَّ نفسك، إنها ثعبان
أرغم حسودك بالصلاح لأنه في فعله متربص شيطان
واكبح فؤادك إذ يثور ببغضة فالخُسْر كل الخُسر حين تدان
كم من غضوب ضيّع الآراب في نزوات غيظ، ثم ظل يهان

* * *

عادات سادات البلاد كأهلها ساداتُ عاداتٍ، لها السلطان
ومن السعادة في حظوظك أن تُرَى في حد قدرك واقفاً تزدان
فُحْش الإضاعةِ في الإذاعة فاربطَنْ هذا اللسانَ، فللأنام لسان
فمرامُ عصرِك جلْبُ عصرِك فاحذَرنْ لا يشغلنّك بالكلام مكان
لا يرمينّك في غيابة جُبِّه ما في الزمان ـ إذا نظرت ـ مصان
لا تشتغل إلا بذاتك واقمعن لذّاتِها، فلِنبْشها بركان

* * *

نعم الشفيع إلى عدوك عقلُه بئس الرجاء، وفي الصديق لِعان
وافطن ففطنةُ صاحبٍ هي فتنةٌ يسعى بها في هضمك الفتّان
واحلم فمِنْجته تكون كمِحْنة لا يستقلُّ بحملها إنسان
والفكر رائد كلِّ عقل صالح وأنا الضمين بأن ذاك ضمان

* * *

إن الخلاف خلافُ شر كلّه فارفضه، إن البُعْد عنه أمان
فالمرء يهدم بالمراء مروءةً ما بعد هذا في الخراب كيان

من حصّن الأطرافَ طولَ زمـانه ... قد حسّن الأوصافَ فهْي حَصان

* * *

أوْفَى وأحصنُ من حصونك سنّةٌ ... يـرضى بهـا المعقـول والإيمـان

فأصِخْ لسنّة خير من وطىء الثرى ... إن الـركـون لهـا هـو الإيقـان

والسلمَ صاحِبْه يـدُمْ لك حـظُّه ... فلكـل يـوم في الـزمـان طعـان

* * *

ليكن قرينُك من يَزينك صحبـةً ... والبشر نور في الصحـاب مُزان

واخبر بنفسك لا بسمعك إن ترد ... خـلًّا، ودع خبـراً يقـول فـلان

ما كل خاطرِ وهْمٍ بـالٍ عاطـرٌ ... أبـداً، ولا كل الـدواب حِصان

* * *

ورضاك عنك دليلُ خلْفٍ ظاهرٍ ... فرِضـاً بنفسـك دائمـاً خُسـران

ولـربمـا أغنت مـداراةُ الـورى ... عـمَّن تبـاريـه، وذاك عَيـان

وإذا تبقّى مـا اصطنعت ذخيـرة ... لا تـأس عمـا فـات يـا إنسـان

* * *

لا يُجمَع المطْلُ الذميم مع الندى ... وأصـخ لحكمي، إنـه ميـزان

فـلربّ ردٍّ هـائـل خيـر لنـا ... من كـل وعـد حـائـلٍ يختـان

وإذا طلوعُ للعقـوق بـدا فقـل ... هـذا أُفولٌ، للحقـوق هـوان

إن الندامة في الورى معْ حـدّة ... فـرسـا رهـانٍ، والـرشيـدُ مُعـان

والجـود مشتـرك بكـل شجـاعـة ... في رأس مالك، إن تلك عِنان

١٢/ ٥/ ١٣٦٩ هـ

* * *

- ٨ -

وقال في سفرته إلى ألبانيا سنة ١٣٤٥ هـ:

أسف الفؤادُ وحقه يتأسف ... ويظل في نادي الحجا يتلهف

فارقتُ طابة مكرها أبغي الغنى ... والله يعلم أنني متأسف

ما كان في أملي بأن الناس قد ... ألفوا النفاق، وصار فيهم يوصف

يتحاسدون على النقير كأنهم ... يتحاسدون على جِنان تُقْطف

ويحطّمون نفوسهم عند الذي ... يسوى ولا يسوى بحالٍ يؤنف

ما حالُ من حالت به أيامه ... عن عهدها، والناس فيه زحّف

في كل ناد لا ترى إلا أسى ... ووجوه شر بالوقاحة تُعرَف

من ناقصٍ قبحت نتائج فعله ... أو ساقط في كل جمع يزحف

ومن المحال بأن ترى متأدباً ... بكلامه الحلو الجنى يتلطّف

(وإذا تكون كريهة أدْعَى لها ... وإذا يحاس الحيس يدعى) الشَّفْسف

هي سفرة سفرتْ بها الأيام عن ... مكروه عصر جَورُه لا ينزف

يا قوم، إن الدين أصبح في الورى ... فرداً غريباً، قلبه يُتخطّف

والناس مالوا نحو أوروبا، هوى ... منهم، وكفراً ظاهراً يتكشّف

أما ديارُ الروم فهْي بأسرها ... مرتدة إلا القليل يُخوّف

* * *

- ٩ -

وقال يحث تلاميذ مدرسة العلوم الشرعية سنة ١٣٦٦ هـ:

العلم أولى بأن يُلفَى لكم أرباً ... جدّوا وكونوا له في عصركم نخبا
شيدوا منازله، أحيُوا مشاعله ... واسقوا أزاهره، واستثمروا الرتبا
واستطلعوا كلَّ بدر من مشارقه ... بالجد والكد كيما تدركوا العجبا
كونوا كأبنائه طوعاً لخدمته ... حتى يكون لكم في العالمين أبا
وأظهروا كلَّ غال في محبته ... أعطوا اللّجين وبثّوا بعده الذهبا
إن الجسوم بلا علم يجمّلها ... ليست بحساسة ضرْباً ولا ضَرِبا[1]
فآلة المجدِ علم بعده عمل ... هو القُوى والعلى، من حازه غلبا
والعلم أغير من أن يرتضي أبداً ... إخاء أخرق يهوى اللهو واللعبا
فكم رأينا على الغبراء من رجل ... بصدق جدّ أجدَّ الصدق لا الكذبا
دوًى له الكون حتى قال قائلنا: ... هذا هو السحر من أفعاله اقتربا
تجسمت منه أوهام فأبرزها ... بالعلم شخصاً يراه الناس قد غضبا
في الجو، في البحر، لاشيءُ يعارضه ... إلا ومارسه بالعلم فانقلبا
أقام مجداً على الجوزاء بنْيته ... بمعهد للعلى، مستحضراً كتبا
فيه أسود فنون لا يقابلها ... أسُود غاب تبث العلم والأدبا
تبث ما ترك الإحسان مرتهناً ... لدى التلاميذ مشغوفاً بهم طربا
تبث ما أبرز الإتقان منتسبا ... لكل شيء لديهم فارتضُوا التعبا
حازوا به راحة دامت بكدّهمو ... صنعاً نراه لصنع الجن قد نسبا
يا قوم إنكمُ في عصر ملتفت ... إلى المعارف يهوى منكم الطلبا
في عصر أسمح من أعطاكم أمدا ... لتُنبعوا من بحور العلم ما نضبا

(١) الضرب ـ بالتحريك: العسل.

تستنفـذوا كل نجم من منـاجمه حتى يكــوّن منكم قـادةً نُجبـا

فأدرِكوا فرصة كـانت لمجدكمـو عنقاءَ مغرِب، فانقادت به عجبا

(عبـد العـزيـز) أعـزّ الله دولتَـه تمثّـل العزَ بين النـاس مـرتهبـا

مليـكُ عـدل وأمنٍ ثم عــارفـةٍ تسدى، وحظٍّ، لمن ناواه قد غلبا

فالله يوليـه ما يـرضيه من أمـل نعَمْ، ويُبقيـه دومـاً للعلى نسبـا

ثم الصلاة على المختار ما تُليتْ: العلم أولى بأن يُلفَى لكم أربا

* * *

- ١٠ -

وقال:

بالذوق يطلب رأي من لم يحضرِ للحاذق السباق وقت المخبر
أعديمَه، خفِّفْ عليك فما النهى مجنونة حتى تفوز بمحضر
ما سُمِّي الإنسان إنساناً بلا معنى، وهل عذر لمن لم يعذر؟
هي زلة النسيان لا توهي قوى فضل، ولا تولي حجاً للمنكر
والناس معلومون عند ذوي النهى في وزن جهد مُقلّهم والمكثر
قل للنقيد نقدت لكن لا تُرى أسداً، ولا تغدو الفتى في المحضر
ما زاد نقدُك فوق قدرك غايةً بل للرياء وريْتَ زنْداً لم يَرِ
ليقال: هذا عالمٌ بالنحو في قومٍ مناقبُ فضلهم لم تحصر
ويرى ضعاف الناس أنك عارف ويجوز جهلك في العديد الأكثر
وتظل تسحب ذيلَ تيهك عامداً رغم الأنوف، وأنفِ كلّ مخيّر
أتعبتَ نفسك بالفضول وقُدتَها جهلاً إلى درْك الحضيض المسعر
لا سَهْمُ حظك في العلى بمسدّد أبداً، ولا أنّا بجهلك نمتري
أذكرتني قول الحريريِّ الذي قامت أدلة فضله للمبصر
: (قد أوعب التكوينُ كل مكوَّن مذ أحكم التقديرُ كلّ مقدّر
فلو ابتغيت بكل جهدٍ نيْلَ ما سبق القضاءُ بمنعه، لم تقدر)

* * *

- ١١ -

وقال:

أبدأ بتونسَ في الأنام تعلّقي ... ولَلَهجتي فيهم تُبين تشوّقي
بلد المعارف والعوارف والنهى ... والذوق، كلٌّ في المجادة يلتقي
في مصر منها مشبه في ذوقها ... ولحسْنِها بعضٌ تراه بجلّق
وتكاد تشرك طابةً في لهجةٍ ... وفصاحة تسبي العقول بمنطق
صورٌ كأمثال اللجين وضمنها ... خلُقٌ كما الذهبِ المصفّى، مُرتق
ووراء ذاك فطانةٌ ولباقةٌ ... كالعشق في قلبِ المحب المشفق
ولها ـ وليس لها نظير عندما ... يبدو الربيع: صباحةٌ بتأنق
جو يسيل من النضارة صفوُه ... فيزيل أقذار الزمان، وينتقي
يهديك نشراً زهرُها فتخاله ... أخلاقَ أهليها الكرام السّبَّق
فترى بها الغبراء كالخضراء من ... خضراء معنى لطْفِها المتذوق

* * *

ـ ١٢ ـ

وقال مشطراً بيتاً:

(ما إن ندمت على سكوتي مرةً) أبـداً لأني بـالسكـوت أدارى
فـلذا تـراني مـعلنـاً تـفضيـلَه (ولقد ندمتُ على الكلام مرارا)

* * *

ـ ١٣ ـ

وقال مضمناً له أيضاً:

يا لائمي في الصمت ما بين الورى ويـرى الصوامت كلَّها أحجـارا
إن كان فيه نقيصـةٌ تدنيـك من جَدثِ الخمول، وكان عندك عارا
فـالصمت خير من شـرارة كلمة تعطيك في العقْبَى لجسمك نارا
(ما إن ندمت على سكوتي مرة ولقد ندمت على الكلام مرارا)

* * *

ـ ١٤ ـ

ثم ضمن هذا البيت زميله الشاعر محمد سعيد دفتر دار فقال:

قالوا ألفتَ الصمت، قلت: لأنني بستـاره من جـاهـل أتـوارى
أضحى السكوت فضيلة محمودة والقـول أصبـح للشـرور مثـارا
قالوا: تكلم، قلت: لست بقائل، يـا قـوم كيـف أكلّم الأحجـارا؟
إني تـركت القـول حتى ينجلي وضَـحُ الحقيقـة للعيـان جهـارا
(ما إن ندمت على سكوتي مرةً ولقد ندمت على الكلام مرارا)

* * *

- ١٥ -

وقال مشطراً بيتاً لبشار بن برد:

(أعمى يقود بصيراً لا أبا لكمُ) إن المهالك إعجاباً تناديه
يا خاليَ الفكر من رشد يُزيّنه (قد ضل من كانت العميان تَهديه)

وشطره مرة أخرى فقال:

(أعمى يقود بصيراً لا أبا لكمُ) وكل من قاده أعمى سيرديه
إن كان أعمى يقود المبصرين إذن (قد ضل من كانت العميان تهديه)

* * *

وقال بديهة بعنوان:

سلـوى وضجـر

غيري بأسرار الغرام يبوح ... يغدو بشكواه، نعَمْ ويروح
ويظل يرتجل النسيبَ تهتّكاً ... والدمع منه دائماً مسفوح
ينمى إلى مجنون ليلى في الهوى ... ويئن من نار الجوى ويصيح
فكأنه المجنون إلا أنه ... إن لاح وجه القُرص فهو صحيح
وتراه نشوان الفؤاد إذا أتت ... من جانب القِدْر المتبّل ريح
وإذا تنضّدت الموائد مادَ مِنْ ... طرب تقول: بها أبوه ذريح
يشكو السقام من الغرام تولُّها ... (وأبو مُعاذ) جسمه الممسوح
ويقول: كدتُ أطير سقماً في الورى ... يا زيد، إن أباك فيك يلوح
قابلت منه متيماً لكنه ... نحو المطابخ جسمه مطروح
ويقول: ما لي والغرام بغادة ... وهي (الكنافة) سرُّه المفضوح
يشدو ويلهج بالصدود لأنه ... من بُعْد أطباق الدجاج جريح
أمسى قتيلَ الهجر من (شكشوكة) ... ويلاه حُكْم الجوع منه قبيح
يا قيسُ قلبُك بالحسان (مشبّك) ... (والفولُ) قالوا: للشجي مريح
أمسى المخبّل (بالقلايا) مغرماً ... (باللفت) يلزم قِدْره ويفوح
خذها مثقفة القوافي إن تُرِد ... طبّاً لدائك، إنها تشريح

* * *

- ١٧ -

وقال مضمناً بيتين لبشار بن برد:

قلت للخِلِّ إذ يزاول مني فعلَ ما لا يليق بالأمجاد
ويريني العيوب غير عيوب ويريني الفساد غير فساد
ويْكَ أين السلامُ دنيا وأخرى إن تكن أنت مالكاً لقيادي؟
ويْك أين الحياء والخوفُ يا هذا وكيف الخلاص يوم التنادي؟
أنت إن كنت غائب الرشد إني لم يغب في الأمور أصلاً رشادي
(ولقد أصرف الفؤاد عن الشيْءِ حياءاً وحبُّه في السواد)
أمسكُ النفس بالعفاف وأمسي ذاكراً في غد حديث الأعادي

* * *

- ١٨ -

أنشد الشيخ محمد دفتر دار بيتاً مفرداً وهو:

شكوت إلى المهيمن ما ألاقي ... أموراً لا يفسرها الأريب

فذيله شاعرنا فقال:

ويدركها وليس له لسان ... مخافة أن يصادف ما يريب
ويسكت ليس عن عيّ ولكن ... وراء بيانه للفتك ذيب
زمانك بين أزمان البرايا ... صبي أرعنٌ شرِه غضوب
وبنو الناس مما فيه خير ... وجُلّهمُ إلى البلوى قريب
فما يحلو به إلا سفاه ... ولا تصفو به إلا العيوب
وأكيس ما يروق به دنيء ... عديم الصدق في الدنيا كذوب
وأحسن ما ترى فيه ممات ... فليس إلى الحياة به نصيب

* * *

- ١٩ -

وله مضمناً بيتاً لبعض الفضلاء:

وكم أنشدت في الخلوات وحدي ... وحسن الظن لي ملجأ عجيب
(عسى الكربُ الذي أمسيت فيه ... يكون وراءه فرج قريب)

* * *

- ٢٠ -

ومن تشطيراته:

(إن للخلّاق لطفا) ليس يدركه التّصَوّر
وهو بالحكمة أدرى (قبل أن يبلي يدبّر)

* * *

- ٢١ -

وله أيضاً مشطراً:

(إذا المرء كانت له فكرة) وجالت على نفسه نظرة
وراعى بها حادثات الزمان (ففي كل شيء له عبرة)

* * *

- ٢٢ -

وله مشطراً:

(إذا لم تكن للصبح عين صحيحة) يضل بأدنى شبهة ويحيّر
إذا كان هذا دأبه الدهر أعوجاً (فلا غرو أن يرتاب والصبح مسفر)

* * *

- ٢٣ -

وله على البديهة:

وأبغضُ كل خلق الله عندي غبيٌّ يستطيل بكل مهل
ولو أني تساعدني الأماني نقشتُ مثاله في وسط نعل

* * *

- ٢٤ -

وله في الحكمة على البديهة:

إذا شئت السلامة من زمان فلا تحفل به في كل أمر
وغادرْه كأنك لست فيه وأنت به على ما ظل يجري
وكن فيه كطير مستفز بغير بلاده في غير وكر

* * *

- ٢٥ -

وله تخميس بيتين لبعض الشعراء:

كن بالخليل رفيقاً سليمَ صدرٍ شفوقا
وكن محباً صدوقاً (لا تحسدنّ صديقا
على تزايد نِعْمه)
ولا تقولَنْ بودّي أراه مثليَ مُكْدِ
عديمَ حلْي ونقدٍ (فإن ذلك عندي
سقوطُ نفس وهِمّه)

* * *

– ٢٦ –

وله تخميس بيتين لبعض الفضلاء، على البديهة، وذلك في بستان (قويم برّي) في ١٣٤٤/١٠/٩ هـ:

يا مريدَ الصدِّ عن سبْل الردى هاك قولاً مرغماً أنْفَ العدى

لا تُضِع عمراً بلا معنى سدى (كن إذا ما حاد عن حدّ الهدى

أشعريَّ الطبع، شيطان البشر)

مؤمناً حقاً بلا ريب ولا شبهة ترديك عن سبل العلا

خاضعاً للدين من بين الملا (شافعيَّ الشرع، سني الحِلى

حنبليَّ العَقْد، صوفيَّ السير)

* * *

– ٢٧ –

وله أيضاً تخميس بيتين لأبي العلاء المعري:

وقوم لئام غدا مقتهمْ حُليًا تحلَّى بها وقتُهمْ

يموتون غيظاً بأن سدتهم (تعاطَوْا مكاني وقد فُتّهم

فما أدركوا غيرَ لمح البصر)

قرود يُقرّ بِهم نعتُهم بِشبه ابن آدم إنْ جئتهم

يعيبون قولي وما عبتهم (وقد نبحوني وما هجتهم

كما نبح الكلبُ ضوء القمر)

* * *

- ٢٨ -

وله تشطير بيتين لبعض الفضلاء:

(إذا كان عون الله للمرء خادماً) فكل امرىء يأتيك منه وداده
إذا كان ملحوظاً بعين عنايةٍ (تهيّأ له من كل صعب مراده)
(إذا لم يكن عون من الله للفتى) تحاماه حتى في الليالي رقاده
وإن رام أمراً باجتهاد وحيلة (فأول ما يَجْني عليه اجتهاده)

* * *

- ٢٩ -

وله تضمين بيت لبعض الفضلاء:

مدينة خير الرسل أعظم مَفْخرا من الغير إلا مكة عند من قَرَنْ
تسامى بها الإحسان والحسن، إنها كريمة أهلٍ إن نظرتَ مع السَّكن
همُ ورثوا الأنصار في أصل مجدهم بهم يُدْرَك المعروفُ من غير ما ثَمَن
(ولا عيب فيهم غير أن ضيوفهم تلامُ بنسيان الأحبة والوطَنْ)

* * *

- ٣٠ -

وله تخميس بيتين لبعض الفضلاء في ١٣/١٢/١٣٣٩ هـ:

يا أيها الرجل الـذي لبس العنا وبـدا بفخٍّ الـزهد يلتمس الغنى
لا تُظهِرَنْ ما لا تذوق له جنى (ازهد إذا الدنيـا أنالتـك المنى
فهناك زهدك من شروط الدِّينِ)
أين العـقـارات التـي مُلِّكتهـا وخـزائنُ الذهب التي أحـرزتهـا
حتى تعف عن التي قد حُزتَها؟ (فالزهدُ في الدنيا إذا ما رمتها
فأبَتْ عليك، كعفّةِ العنِّينِ)

* * *

- ٣١ -

وقال:

مِنَ اللواحظِ فاهرَبْ أيها الرجلُ فكم كمثلك أرباب الهوى قُتِلوا
وإن رأيتَ جمـالاً راق منـظره واستجلب الأُنْس، فاحذر، إنه أجل
فالحسن مَلْك تَهابُ الأُسْد صولته طبعـاً وتنقاد في قـانونـه الـدّول

* * *

- ٣٢ -

وقال:

إذا فكّـرتُ في نفسي وحـالي وذلـي بعـد عـزِّي والـحيـاةِ
تصـوّرتُ المصائب نُصْب عيني وشـاقـتْـني الـمـروءةُ لـلوفـاة

* * *

- ٣٣ -

وقال:

يا أيهذا السَّرِيْ ذو الفضل والحسب ومعدن الجود من جرثومة[1] النُّجُب
لا تحسبنَّ هروبي عنك منقصةً في حرمة الود، أو في حرمة الأدب
لكن هربت لأيد[2] منك لي سبقت والضَّغْط بالبرِّ من داعية الهَرَبِ
فاصفح جناية تقصيري بخدمتكمْ واعذر محبًا ولا تخجلْه بالعتَب

* * *

(١) الجرثومة: الأصل.

(٢) أيد: الصواب أياد.

- ٣٤ -

وقال:

فكِّرْ وإن كانت لـديك شجاعة | فالرأي إن رمتَ الأمور هو السنا
إن البصيـر بكـل أمـرٍ فـائـز | لم تلق ذا فكـر تعـوَّق أو دنـا
أقْـدِم بعـزم صـادق متيقـظاً | للخطب، إن جللاً ترى أو هَيِّنا
واصبر، ففي الصبر المفاخرُ كلُّها | مرجوة، واصمُتْ تراحُ من العنا
والحزم كل الحزم في كتم الأسى | وإذا فعلتَ بعكسـه تلْقَى الوَنَى

* * *

- ٣٥ -

وقال راثياً:

العلم يـبكـي شجْـوَهُ وينـوح | والدمع في خـد الزمـان سَفُوح
لِمَ لا، وقد فُقِد الذي بوجـوده | شخص الجهالة في الورى مذبوح؟

* * *

- ٣٦ -

وقال مجيباً شاعر تونس الكبير الشاذلي خزندار:

يا شاذلي، يا فتى الآداب، يا قمرُ ... يا شمسَ فضلٍ لها في فكرنا أثر
ما زلت ألْحظ فيك الشعرَ مُنْحصِراً ... حتى توحّدتَ يرنو نحوك البشر
يا خزندارَ المعاني، ما لمفتخرٍ ... بالشعر بعدك حظ، أوّله خطَر
إذا أخذت طريقاً أنت قاصده ... أعطاك نطقُك، لا يبقى ولا يذر
الجدّ في الجدّ تُنشيه وتبعثُه ... عقودَ فخر بها الإحسانُ يفتخر
فأهلُ طابةَ طرًّا فيك ذو ولَهٍ ... كلٌّ بشعرك مفتون ومنتظِر
وإن أردت مزاحاً في مداعبة ... تقاطر اللطف كالسلسال ينحدر
فلا تسل عن أخيك (البرِّي) إن له ... على تنائيك شوقٌ زادَ يستعر
فأهل تونس أنسٌ حين أذكرهمْ ... وعندهم مُنْيتي والقلبُ والفكر
أتت قصيدتك الغرّاءُ يحملها ... (محمدالشلبي)السامي البَها، النَّضِرُ
فكان موقعها عندي وقد تُلِيتْ ... كمثل مُجدبةٍ وافَى بها المطر
وقمت فوراً بما وكُّلْتني فرِحاً ... وحسْنُ ظنك عند الله معتبَر
ثم الصلاة على المختار ما تُلِيت: ... يا شاذلي، يا فتى الآداب، يا قمرُ

* * *

وقال يمدح شيخه الشيخ محمد الطيب التنبكتي الأنصاري:

صدعت بسيف سنائها الإظلاما   شمسٌ تخيّرت القلوبَ مقاما
سفرت بأسفار العلوم وجمّعتْ   ما كان للأسفار فيه مراما
وسطَتْ أشعّتُها على ما دقّ عن   فَهْم الورى، فاستظهرته لزاما
وتبسمت عن ناصع الدرّ الذي   ترك الكواكبَ تبتغيه غراما
وجلت كؤوسَ القول من صوب النهى   فسقت به الأفهام منه مُداما
وتقلّد المعقول والمنقول من   إشراق بهجتها البهيِّ وساما
أمعيدَ مَفْخر مالكٍ ومقامه   مامات مالكُ إن بقيت دواما
لا سيما في طابة في طَرْزه،   في زهده، أبداً يُرَى قوّاما
يا أحمدَ الفضلاء، بل يا أروع النُّـ   ـبلاء، بل يا من يشحذ الأفهاما
أنا قاصرٌ عن دَرْك ما قد حزته   هيهات أحجمني السنا إقداما
تطريز مثلي للذي قد صغته   لا يستقل بما حويتَ مقاما
لا يطرق الحسبان أني قلته   كيما يكون لدى الورى مستاما
فلأنْتَ أنور من ذُكا يا شمسنا   ولأنت أعلى في الأنام مقاما
لكنني قد رمت تبريكي به   ومن المهَيْمن أرتجي الإكراما
فلئن بسطت يد القبول لدرّه   فلقد نشرتَ لرفعتي أعلاما
وأريتني مأوى السها، وغمرتني   من سحب فضلك ما يكون سجاما
وبقاء مثلك للشريعة والورى   نور، فدم كهف العلوم دواما
ثم الصلاة على النبيّ وآله   والصحب ما أفشى الأنام سلاما
وافى بتكميل السلام مؤرخ   يبدي بهي المسك فيه ختاما

٢٦ + ٢٧ + ١٥١ + ٩٥ + ١٠٤٢ = ١٣٤١ هـ.

* * *

ومدحه بقصيدة أخرى فقال:

نشْرُ الشذى عن خَتْمِها المتمسّك ... يقضي بحَجِّي[1] ربْعَ ذاك المنسك
كيما أشاهد من سنى أنواره ... ما يستميل به عقولَ النُّسّك
لله شمس معارف كشفت لنا ... عن أصل فضل في مناقبه زكي
وأرى محاسن أوجهٍ ما حقّها ... إلا الغرام بها ولمّا تترك
إنّي بها ما عشتُ حلفُ صبابةٍ ... للانقياد بها بحسن تمسُّك
وأرى من الرشد الخضوع لحكمها ... وأرى إذاعة سرها لم يفرك
وأرى التسامي في هواها مذهبي ... وأرى التفنُّنَ في حلاها مسلكي
وأرى التسلّي عن مثال جمالها ... إثماً، وصبري ساعةً لم يُمْلَك
يا فارساً أردى الجهالةَ بعدما ... كشرتْ لنا عن نابها في المعرك
أينعْتَ من صوب العلوم ربوعنا ... ولطفت في شحذ الفهوم الهُلّك

* * *

يا أحمدُ أحييتَ سنّة أحمد ... ونشطت في إظهارها لم (توعك)
وغدوتَ مالِكَ في العلوم جميعها ... وقطعتَ مِقْول كلّ طائشَ مُلْبك
يا مرشد الأفكار بعد جموحها ... إثر العماية في الطريق الحالك
ومقوِّم المعوج من آرائنا ... وطبيب أدواء القلوب الحُسّك
لبّاك تقريضي يطوف بكعبة الإ ... حسان فيما قلته في المَنْسك
ويقوم بالمفروض فيه لأنه ... هو في رضاك موحّد لم يشرك
لا زلت دوماً للعلوم تبثها ... تعلو السماك بفضل رأي أَسْمَك

---

(١) حجي: قصدي وزيارتي.

ثم الصلاة مع السلام على الذي بسناه أنقذنا هـدى من مهلك
والآل والصحب الكـرام تعمّهمْ من نشـرها بمُصنْـدلٍ وممسَّـك
ما لاح نجم في السماء، وما بدا نورٌ على هام الربَى في مسلك

* * *

وقال يمدحه أيضاً:

أفشت سعاد حديثيَ المتكتِّما　　يوم النوى، وأحالت الدمع دِما
أفبعد ما ذهب الغرام بجِدّتي　　أخشى الرقيبَ بحالنا أن يعلما
هو ما يراه، وكان أمراً مُبْرَماً　　كشف الرحيلُ غطاءه كي يُعلما
ساروا بسالبة النهى مرغومةً　　لولا الحيا لمنعتُ أن تتقدّما
لا بوركت تلك المطايا إنها　　سارت على مُهَج، ورضّت أعظما
فلترضني زُهْر النجوم مسامراً　　من بعدها، حتى الصباح منادما
قد عاد يوحشني الزمان تعبُّساً　　من بعد ما آنستُ منه تبسّما

* * *

علّامة العلماء واللّجّ الذي　　ترك البحور جداولاً إن أقدما
الصائب الرأي المنير بصبره　　الثاقب الفهم، الفصيح تكلُّما
ما سار في ذا العصر في سبل الهدى　　كمثال أحمد للرشاد مقوّما
يا ابن النُّهى، وأخا الهدى، وأبا التُّقى　　بوركت من شرف أضاء فعمَّما
أنا لا أشك بأن من ينمى إلى　　خدمات هذا الفضل كان مكرَّما
أما العلوم فإنها يا حرْزَها　　لولاك ضاعت وانزوت أن تُعْلما
فاسلم فإنك شمس كلِّ فضيلة　　ووسيلة للخير تغدو دائما

* * *

يا أيها القطب العليُّ مقامه　　السائر الصيت المكرَّم حيثما
هذي بضاعةُ مرتجي الدعوات من　　تلك الشمائل إذ رأت أن تنعما
هي إن تكن مزجاة في عين الورى　　فكثير إخلاصي سيعليها السما
ورضاك عنها خير ما كسبت يدي　　فاشمل بحلمك عيْبَها المتوهَّما

مهما تكن فالقصد منها أنني أحظى بأنوار الدعاء إذا سما

هي جدول من بحر شيخي مَنْ سُمِي بمحمّد ذاك الذي يُرْوي الظما

هاتيك نسبتي التي أزهو بها بعلائكم، والفضل ينسب كيفما

ثم الصلاة مع السلام على الذي بهداه سُدْنا في الأنام تكرُّما

والآل والصحب الكرام ومن قفا آثارهم يرجو السلامة دائما

* * *

وقال مهنئاً الحكيم عبد القادر نيس:

أهـلًا بنسـل أفـاضـلِ الأنصـار — الـطِّبُّ عبـد القـادر الأنصـاري
لـك في الفحول مـزية معلومـة — منسـوبـة لمـدينـةِ المختـار
حِكَم من الله الكـريم حـويتَهـا — وبلغت فيهـا مجـدَ كـلِّ فخـار
كن كيف شئت فإن قدرك معتلٍ — فوق السماك، ولستُ فيه أواري
مـا أنت إلا نخبـة من سـادة — شـادوا بنا الإسـلام في الأفكار
عيدُ الحجيج مع الزيـارة واللقا — في طـابة، وسمـاعُكم أشعاري
بسمتْ بذا الدنيا فنلتَ كمالَهـا — والعفـو في الأخرى من الأوزار
دانَ الثناءُ لعِظْم قدرك فاستمع — درًّا يهجِّـن حسـن كـل دراري
أنتَ الحكيـم بـطبـه وبعـقله — والمجـدُ فيـك مكمِّـلُ المقـدار
لك في نفوس أولي الفضائل والنهى — تقـديـرُ فضـل مثـلُ بـدْر سـارٍ
قادتْك لـلإسعاد نفسـك وارتوت — من مـاء طابـة، فالسعـود مُجارٍ
أنعِمْ بمسجـدها وروضتهـا التي — هي جنـة في أصـدق الأخبـار
عالجْ همومَك بـالدعـاء بها، وزر — خيـر الخلائق، إن سعـدك وارٍ
راح الكمال يخصُّ ذاتك قائلاً: — أهـلًا بنسـل أفـاضـلِ الأنصـار

* * *

وقال مادحاً الدكتور سعيد بك مصطفى، مدير صحة المدينة سابقاً، ونشرتها جريدة المدينة بعددها (٨) في ١٣٥٦/٣/١٧ هـ:

أمـا الثنـاء فـإنـه بـك أليق   في مثل طبك يا (سعيد) يحقّق
لك في اصطناع العالمين صنائع   أبـداً بفعلك في الـورى تتـألق
(بقْـراط) عصرِك حكمـةً وتفنُّناً   فكأنـه من فيـك دومـاً ينـطق
لك (جسّةٌ) في نبض كل ممزق   بيد الضنى، ترفو السقام وترتق
لك مقْول يغني المريض عن الدَّوا   فكـأنـه بـرء عليـه يُخنـدِق
طـوراً بـأصنـاف العـلاج وتـارةً   بالجود، فالإحسان منك محقّق
وتسـوس كـلَّ مصـرَّع ومخبَّـل   أبداً، ويعطيك القيادَ (الأحمق)
وتشـارك المسقـومَ في أسقـامِـه   ويـرنّ قلب منك حقـاً مشفق
كيف التشكُّـر بعدمـا أخـرستني   بمحاسنٍ قد ضاق فيها المنطق
يكفيـك مني أن أُشيـد بشيمـة   وخـلائق من طب فعلك تعبق
فـاسلم دوامـاً للمكـارم والعلى   ولعـارفيـك فكلّهمْ بـك مُحدِق
ما قال شادي الدوح فيك مردِّداً:   أمـا الثنـاء فـإنـه بـك أليق

* * *

وقال مادحاً الدكتور محمد علي الشواف مدير صحة المدينة:

الفضل أولَى أن يكون مقدّراً ... ويكون في نظر التمدّن أزهرا
أولَى الورى بالمدح من يسعى لما ... فيه صلاح الجسم إن سقمٌ عرا
أمر تدور عليه غاياتُ النهى ... وبه يُرَى العمرانُ غضًّا مثمرا
(أمحمد الشوّاف) إنك للورى ... بقْراط، صار الحظ منك الأشهرا
وتزيد بالأخلاق والتلطيف ما ... جئتَ العليل، نرى لبشرك مظهرا
فكأنك الإحسان جاء مجسّماً ... في رأفة كادت لنا أن تقطرا
كم من عليل موتُه كحياته ... لولا الأُساة لعاش عيشاً أكدرا
قسمان هذا العلم: علْمُ تطبّب ... وديانةٍ تُهْدي السعادةَ للورى
هذا لإصلاحِ النفوس وصقْلِها ... والطبُّ للأجسام جاء معمِّرا
والروح أجدر أن تكون سليمة ... ولِذاك كان الشأن فيها أكبرا
يا قوم إني للشُّفوق لَعاشقٌ ... لا سيما إن كان شهماً أخيرا
أنا لا أرى (الشوّافَ) إلا نعمة ... ريضت لطابة فضلها لن يُكْفرا
في كل يوم للمسامع حكمةٌ ... عنه تقال، وبالتشكّر تشترى
إن العيون جميعَها شوّافة ... بعد العِشا، (شوّافَها) بين الورى
يأتيه جمع بالسقام مكسَّرٌ ... في بيته فُقِدتْ لذاذاتُ الكرى
في الحال ينعتُه بجمْعٍ سالمٍ ... بغرائب الإسعاف لن يتأخّرا

* * *

وقال مطرِّزاً، تقديراً وتهنئة للشيخ محمد رفيع الدهلوي:

مرحباً مرحباً وأهلاً وسهلاً   بمحمدْ رفيعٍ المفضالِ
حزت من ربك العفْو والغفـ   ـران فانعم وكن حميد خصال
مثلت نفسك الكريمة إذ زر   ت نبيَّ الهدى بأسعد حال
دنت لله إذ أتيتَ لحجٍّ   منه ترجو مواقف الإقبال
روِّح الروحَ وسط روضةِ خَيْـ   ـرِ الخلقِ واجْنِ السماحَ بالأفضال
فزتَ بالمسجد الشريف فأدِّ الفـ   ـرضَ فيه موفّقاً للكمال
يا سعيداً حزتَ السعادة فاهنأ   ستنال المنى وكل سؤال
عش عزيزاً ففضلُ ربِّك دوماً   لك قد حفَّ بالرضى والجمال

* * *

وقال مطرّزاً ومهنئاً الشيخ محمد سعيد:

أبـداً ثناؤك بـالـرضـا يتقـرّر وعيلك منه من المجـادة منـظر
شيء خصصت به وكنت موفّقـاً فاسلمْ فسعدُك في المجامع أكبر
يا زائرَ المختـار، أبشِرْ بـالمنى ولـك السلامـة مـا بقيتَ تقـدَّر
ما كل من نـال السعادة حـائزاً فضل الصلاة بمسجد هو أشهر
حقِّق بــه معنى الثـواب فـإنـه بـالألف محسـوبٌ وذاك مقـرّر
ما أحسن الدنيا إذا اقترنت بما فيـه الـديـانـة لا تـزال تكـرّر!
الدين والدنيا هما الحظ الـذي يرجوه صافي العقل حين يفكـر
سلِّمْ على المختـار، أدِّ تحيـةً كيمـا تحـوز جـوابـه يـا أفخـر
عفـو الإلّه بحجـك المبرور مَـرْ جوٌّ، وأنت بحسن ظنك تؤجـر
دُمْ هكـذا والحال ينشـد دائماً: أبـداً ثنـاؤك بـالـرضى يتقـرّر

* * *

- ٤٥ -

وقال مطرّزاً، تهنئةً وتقديراً للمحترم: متين أحمد:

مدْحُ اللسانِ على مثالك يـطْلَق	وعليـه فيك من السمـاحة رونق
تـأتيـك أزهـارُ الثناء كـأنهـا	زهر الخمائل، أو كشمسٍ تُشرق
يـا قـادماً نحـو المـدينـة زائـراً	متـواضعاً، والحـال منهـا ينـطق
نـادتـك طـابـةٌ فـرحـة وتـودُّداً	اهنـأْ فـإنّـك في الأجـور مـوفّق
أدِّ الصلاة بمسجد المختار كي	تَحْـظَى بألفٍ، فـالثـوابُ محقّق
حز فرصة الدعوات، إن كنت الفتى	في روضـة المختار عفـو يخفق
ما أنت حين تزور أشرف مرسل	إلا سـعيـدٌ شـأْوُه لا يُـلحَـق
دم هكذا في كل عام حاججاً	أو زائراً، والسعد حولك يحدق

* * *

وقال مادحاً ومهنئاً فضيلة الشيخ زكريا التّانوي، بمطرز:

الشيخ في الكون مثل الشمس في النور ... وأصله في البَها من أصل إكسير
لـه التجلة دوماً والكمـال، ومن ... حاز الفضائل يمشي في صفا النور
شيـخ يرحب في إقبـالـه طـربـا ... جـوُّ المدينـة عن تعبيـر تقـديـر
يقول: أهلاً لمن قد زار مسجدها ... مـع الرسـول بشوق منـه منظور
خالٍ من الغش، بالإخلاص متصف ... بلا رياء، بعيـدٌ من أذى الزور
زرتَ النبيَّ وهذا الفوز أجمعـه ... فاظفر بحـج مع الإقبال، مبرور
كن شاكراً ربَّك الوهاب في نعم ... كيمـا يراك بسعيٍ فيـه مشكـور
رح سالماً ظافراً بالعفو مكتسياً ... بحسن ظن يقي من كل محذور
يا عالماً طالمـا سارت فضـائلُه ... سيـر السحاب بمغمـور ومعمور
أتـاك مـدحيَ والتقـديـر بـاعثـه ... فارجع بثوب الثنا في شخص مأجور
إن المعارف في الأكوان صورتها ... مطبوعـة فيك مـعْ رأيٍ وتدبيـر
لك البشارة في العقبى وعـاجلة ... أنت الجـديـر بـإسعـاد وتبشيـر
تـلألأ الدر من نـظمي لأن لـه ... برصف مدحك ضوء غير منكور
إن السعيد سعيد حيث كان ولا ... مثـل السعيد سعيـد غير منفـور
نعم المديح لمن بالعلم متصف ... بـه يـزان بحظ فيـه مـوفـور
وجـه المفاخر بـالإقبـال متجـه ... لـوجـه مثلك في خيـر وتيسيـر
يا حسن بدئي وختمي ما أخاطبكم: ... الشيخ في الكون مثل الشمس في النور

* * *

- ٤٧ -

وكتب في صدر كتاب للشيخ أحمد باعشن:

يا أحمد الخيرات مثلك ماجد يضحي بمدرجة الثناء قليلا
يقضي السماح على سلاسة جوده ويكون هذا الرأي منه نبيلا
أخجلتني بالبر إذ طوّقتني مننا دعتني لليسار نزيلا
وتركتني رهن الدعاء بروضة بعلوٍّ قدرك دائماً مشغولا
وردتْ عطيتك الكريمة، إنها آسٍ يعالج للشفاء عليلا
فالله يعطيك الثواب مع الرضى فضلًا يكون على الدوام منيلا
فاقبل تحية شاكر لصنيعكم واعلم بكونك للسماح خليلا

* * *

- ٤٨ -

وله مديح في الشيخ أحمد البُساطي علي البديهة:

سألت الناس عن شهم مجلٍّ بأثواب الصلاح على الصراط
فقالوا: ذاك أحمدكم سماحاً ونعني شيخَكم ذاك البُساطي

* * *

- ٤٩ -

وقال مطرزاً مادحاً أحد أصدقائه في أسلوب غزل:

أنا في الهوى عبد الحسين ... ملّكتُه رقّي بعين
لا حظّ - عذّالي..! - به ... عندي سوى خفّيْ حنين
سلّمته لمّا بدا ... قلبي بكلتا الراحتين
يا لائمي أنت القبيح ... فلِمْ ملامك في حسين؟
دعني فعقرب صدغه ... يُردي القلوب بأسودين
حكّمته في مهجتي ... فأذاقها ثكْل الحسين
سبحان مزهر خدّه الز ... اهي الأسيل بوردتين
يلهو ويلعب بالعقول ... بمقلة وبحاجبين
نادمته فإذا الرقى ... أوهت قواي بكلْمتين
اللحظ والألفاظ، ما ... سُلِب الرشادُ بغير ذين
لا صبر لي عن حسنه ... حتى ولا بدقيقتين
صبري سفاهٌ في الهوى ... من يشتري أثراً بعين
رحماك يا من قد غدا ... وتراً لشفع النيّرين
أنا ليس لي جسم يطيق ... الهجر يا روحي وعيني
فقت الحسان محاسناً ... واجمع إليك الحسنيين

* * *

وقال مطرزاً[١] ومادحاً الشيخ عباس قطان، على سبيل المداعبة:

أنا في ودادك دائماً مفتون ... أهذي بحبك، والجنونُ فنون
لا أعذل العشاق في دعواهمُ ... لكنْ عذيرٌ في الهوى وأمين
شاءت بك الأيام أنك سيدي ... شيء خصصتُ به وذاك ثمين
يا أيها الودّ الصراح، ومهجتي ... يا إلف أهل ظرفه المأمون
خل السماحة من تراه لدى الورى ... خيراته، ملء الزمان تكون
عبست ليَ الدنيا فلما جاءها ... (عبّاس) وافى بشْرُها المخزون
بالله أُقسِم أن مثلك في الورى ... بادي الوجاهة، بالعلاء قمين
إنّ ابن يوسف من سلالة معشر ... أمُّوا المعالي، والكمالُ خدين
سبحان مورِثُهم ودادَ معاشر ... ساموا الكواكب، والرشادُ يعين
قل فيهم ما شئت إن علاهمُ ... قد قرّرته ألسنٌ وعيون
طِيبٌ وأخلاق ولطفُ مجالسٍ ... طابت لديها للصحاب فنون
أنا شاكر، أنا شاعر بعلاكمُ ... أنا قائل: إني لكم مرهون
نمّقتُ بالتطريز اسم بهائكم ... نعَماً أغيظ بها العدى وأهين

* * *

---

(١) يلاحظ أن التطريز شمل الصدور والأعجاز.

وقال معاتباً السيد جواد صراف بن السيد راضي، بمشجّر:

أسفي عليك ومن يودّك يأسف ... ويفرّ بدءاً قبلما يتعرّف
لَصفاكَ مثل الروض طاب نسيمه ... لكن جنيّ الجمْر منه يقطف
ساقيتَني ملء الزمان أخوّةً ... حتى ثملت، وبانَ فيك تصوّف
يا ويل: أهلاً، في الوداد ومرحباً، ... هي أصلُ قولٍ للعقول يزخرَف
دعني فما جمر الغضا بأحرَّ من ... إعراض خلّ ظالم لا ينصف
جُبلت على نبذ الوفاء طباعُه ... حتى السلام يبين منه تكلُّف
وتراه لو ضايقته في مسلك ... يبدي التغافلَ ريثما يتحرّف
أتلو السلوَّ على ملامح وجهه ... فأعد نفسي جاهلاً لا أعرِف
داريته طِبْق الصفاء فلم أجد ... لي من لِقاه جانباً يتلطف
صبراً فإرشاد التجارب في الورى ... سيريه مني صاحباً لا يقذف
رأوْه بل كادوه حين تحاملوا ... في حط قدري عنده، بل أجحفوا
أتراهمُ أغروه، بل غرّوه كي ... يُخْلوه من خلّ عليه يعْطف
فلأشمخنَّ بأنف آبٍ في الهوى ... عن مشرب فيه أذِلّ وأكسف
بلواي أنّي لا أزال على النوى ... من ذكر هَجْريه أذوب وأنحف
نعْمَ التصاحب في زمانك ضحكة ... هذا إذا وُجد الصفيّ المُسْعف
أما الوفاء فما لَهُ في عصرنا ... إلا رسومٌ ذكْرها يستلطف
لولا ممالحةٌ بُليت بحفظها ... لحسبت نفسي سالياً لا آنف
سقمي سجايا كاللجين رُزقتها ... لله شكري، لا تزال تشرّف
يَهدي إلى حفظ العهود تفكّري ... ويذاد عنه عاذلٌ ومزيّف
دم كيف شئت على صدودك ساخطاً ... أو راضياً، لا بدّ يوماً تعرف
(رجبُ) سماعي إن تكن يا عاذلي ... (شعبانَ)، فالدنيا شهورٌ تَرْدف

أنا ذلك الجلد الصبور لأنني أدري بأن الصبر خير يخلف
ضاع الوداد بربع صدّكُم سُدىً لكنه قد ضاء مني يشرُف
يهديكمُ مني أعزّ تحية هي بين أهل الذوق حقاً: قرقف

* * *

- ٥٢ -

وقال يشكر الشيخ داود وصفي، بمطرز:

إليك أسوق الشكر وهو لزام ... فذا الدر محشوًّا عليك: تؤام
شكرتك فعلاً بالقريض مخلِّداً ... لمأثرة بالجاه منك تقام
كفتك على رغم الحسود شهادتي ... بأنك فردٌ، في الكمال تمام
رقت بي أيادٍ منك أكرمَ منزلٍ ... له بين أعلام النجوم مقام
وأدنَتْ ليَ المقصود من مدح مالك ... له الكون دارٌ والزمان غلام
لك الله قيّدت القلوب محبّة ... وأطلقت شكري، وهو فيك دوام
شملتَ بحسن الخُلْق شملي ولم أزل ... بلا منتهى منها يسير سلام
يمين لقد أصبحت ملجأ قاصد ... وباب جميل ما عليه لزام
خُلِقتَ زماماً للمكارم والعلى ... فلا انبتَّ منها ما بقيتَ زمام
دعَوْتك بداود الوفاء تطابقا ... لمعنى به يوفيك منه ذمام
أصدْقاً وحلماً أم صفاء سجية ... تراءيْتَ حسناً، والحسود يضام
وماكان ـ والمعروف يجزى ـ سوى البَها ... يصاغ له في الجيد منك نظام
دراريَّ هذا الأفق أجدر لو علَت ... يداي، وليت الزُّهر منه ترام
وكيف التّواني عن أداء فريضة ... يحرَّم تركي عندها ويذام
صدقت فأبديت الصنيع متمماً ... وأنت مع الإحسان فيه تُرام
فلا زال طوقاً يزدري الدر عقده ... فجيدي له دون الأنام حَمام
يفوح له نَدّ الوداد، وإنه ... لَمِسكٌ يراعى للجميل ختام

* * *

وقال مادحاً إسماعيل حفظي رئيس ديوان إمارة المدينة:

بالصدق، بالعهد، بالآداب، بالحكَمِ — والظرف واللطف، والإحسان والكرم
أم بالحجى والعلى، والكَيْس والشِّيم — أم بالصفا والوفا، والرعْي للذمم
أَبِينُ وصفك (ياسماعيل) ممتدحاً — وأنت أشهر من نار على علم
لم يجدب الربع من ودّي وأنت به — يا من شمائله في صحبتي، ديَمي
بمن أقيسك في الأتراب محتكماً — بمثل ما حزت من فخر ومن همم
كيف الوصول إلى وجدان ذي ثقة — من بعد ما قد قضى التجريب بالعدم
قد عز ذلك في عصر نعيش به — وأنت زينته، طود من الشيم
فمن رأى لك قِرْناً بين أظهرنا — في مثل مجدك لم يبعد من اللمم
وأنت (أحنفنا) حِلْماً، (سموْأُلُنا) — وفاً، (إياس) لنا في سرعة الفهَم
وما تفرّستَ في الجلّى لمعضلة — إلا استبنت الخفا في مبهم الظلم
كأن رأيك مشكاة منوّرة — تجلو دجى ظلمات الجهل بالحكَم
فحق مثلك أن أملا بمنظره — عيني، ومنطقه سمعي، ولم أُلَم

* * *

وقال مؤرخاً زواج محمود بن عباس قطّان على بنت عاكف (أفندي)[1] سنة ١٣٥٧ هـ:

محمـودُ ألقطان أنعِمْ زاهيـاً ... فبك الهنا أبدى لنا أفنانه
حاربت شيطان الفواتن والهوى ... لما اقترنْتَ، مزايلاً سلطانه
وملكتَ شطر الدين صوناً فاتق الشّـ ... ـطر الأخير، ولا تُزِل إمكانه
ولك السلامة والكرامة دائماً ... والبختُ فيه مثبت أركانه
دم مسعَداً فأبوك أفخر مَنْ سما ... متملكاً مجداً أعزَّ زمانه
أمسى قرانك أيّها البدر البهي ... بالشمس سعداً عم منك مكانه
لله عرس قد تعدّل وقته ... (رجب) يقرب زينة ميزانه
قد راق عقداً فهو عقد مكارم ... أمٌّ السعادة أورثتك جُمانه
طيِّب وجودك بالهناء مجملاً ... والبس بَهاً ألقى إليك أمانه
أما الهناء فقد تكامل حظه ... وغدا يغنِّي إذ أتى بستانَه
نعم الزواج أتى به تاريخه ... السّعد سعدك إن رأيت قرانه

* * *

---

(١) غير واضحة في الأصل.

وقال مؤرخاً[1] زواج إبراهيم مفتي على بنت أمين أنصاري:

زواهـر الـحظ لاحـت ... بـأفـق سـعـد وصـدق
فـقـلت حـيـن تـجـلت ... لـلعيـن في حسن نـسق
وصـدَّحـت بـالتـهـاني ... سـواجـع السعـد تُـرقي
تُبْـدي الثـنـاء جـهـاراً ... بـشـجـو نـغـمـة نـطق
يـا صـاح هـنِّىءْ وأرِّخ ... قـران خـيـر بـأفـق

٣٥١ + ٨١٠ + ١٨٣ = ١٣٤٤ هـ

* * *

(١) يعرف هذا التأريخ بحساب الجُمّل، وذلك بمقابلة الحروف بالأرقام المقابلة لحروف (أبجد ـ هوز ـ الخ)، وتحسب الحروف عادة على صورتها، دون مراعاة لفظها، فتحسب ـ مثلاً ـ ألف كلمة (فتى) ياء، وتاء التأنيث المنقطة تاء، وغير المنقطة هاء، ولا يحسب المشدّد إلا حرفاً واحداً، والهمزة التي لا كرسي لها لا تحسب شيئاً، ويحسبون ألف الإطلاق ألفاً... وهلمّ جرّاً.

وقال مهنئاً آل الخريجي بمناسبة زفاف ابنهم سليمان العبد العزيز. ونشرتها جريدة المدينة بعددها (٢٨) في ١٣٥٦/٨/٩ هـ:

أدام الله أيام التهاني ... وضاعف سعدها لطفٌ وأكرمْ
أمير المؤمنين أرى زماناً ... بسعدك سعده أبداً مقدّم
زمانك كله فرح وعزٌّ ... يكون لدى الرعية فيه مغنم
سعود من علائك مستمد ... كأن الجود منه قد تعمّم
على وفق المسرة قام يشدو ... هزار الأُنْس في الشهر المعظم
رأى أفق السعادة ضاء حسناً ... قران النيرين به تبسَّم
رأى فلكاً يدور بكل خير ... وإقبال وأفراح تنظم
رأى كل المدينة في سرور ... لسان الفرْح فيها قد تكلم
يهنىء بهجةً آل الخريجي ... وينشر طيب ما فيها، يتمّم
يحق لسنة المختار جهراً ... بأن تُعلَى إشادتها وتكرم
رأى عبد العزيز لها اعتناءاً ... فخصصها بأفراح وعمّم
وفسَّر مجمل الأخبار فيها ... وحكّمها عليه ثم أولم
وصار لنجله فرح عظيم ... سيبقى في مخيلتنا مخيّم
ليحظى بالبنين فإن فيهم ... بقاء الذكر والحب المتيّم

* * *

وقال مرحباً ومهنئاً بعقد نكاح عبد الرحمن بن محمد الخريجي سنة ١٣٦٤ هـ:

نادي السرور بمثلكم يستبشر — وبيُمْن طلعتكم يظل يعطّر
ناد تلألأ بهجةً بوجودكمْ — فعليه من سمة السعادة منظر
ويقول ما لحظتْه عين حسوده: — الله أكبر والحسود يصغَّر
ومهينم بين الورى مترنّم — إنّي بأصناف البَها أتبختر
لِمَ لا أتيه على النوادي كلها — وبسنة الدين الشريف أكبِّر..؟
قد نوّه الشرع الشريف بقدرها — أنّا بها يوم التفاخر نَكْثر
وهي التي بين الخليقة كلها — يوم القيامة بالتباهي تُذكَر
قد حثّنا فيها النبيُّ فشأنُها — لا يستهان به، وحقاً ينشر
ولذا أجبنا طائعين وكلنا — رهن الإشارة عندما هو يأمر
فلئن أجبتم قد أصبتم، إنها — من سنة الدين التي لا تنكر
جمَّلتمونا بالحضور فكلكمْ — متفضل، والكل منا يشكر

* * *

حيِّ الأمير فإنه أسُّ العلى — وبه انبرى فجر السعادة يسفر
أأميرنا ما أنت إلا زينة — في كل حفل بالمفاخر تحضر
لسماح (عبد الله) فيه بدره — وبوجهه ليل المسرة يقمر
إن (السديري) البهيَّ أخا الندى — شهم به الأفراح حقاً تفخر
فله علينا الشكر إذ بحضوره — نلنا المسرة، والجميع مقدِّر

* * *

يا أيها المتفضلون بجمعهمْ — في حفلة للدين فيها مخبر

ومكثّرينا بالحضور وبالإخا حقاً لكم حسن الثناء يحرر
أهلاً وسهلاً، مرحباً بأماثل زُهْرٍ، بهم نادي المسرة يزهر

* * *

آل الخريجي أسرة محظوظة وبكل حسنى في الأنام تفسر
منهم عُلاً (عبدُ العزيز) وصِنْوُه ذاك الـ(محمد) في البها متوفر
والكل منهم ماجد في فعله بعوائد الدين المبين مشمر
يا (عابد الرحمن) خيرك مقبل أنت العروس، لك الهنا يتصوّر
ولك الرفاء مع البنين فعش بذا طول الزمان، وأنت فيه تخطر
لتسير سيرة آلك الغرّ الأُلَى عطرُ الثناء بمجدهم يتكرّر

* * *

يا سادتي إن المفاخر كلها محصورة في ذات من هو أفخر
(عبد العزيز) مليكنا المجد الذي صارت به الدنيا بحق تفخر
وإليه ينمى أصل كل مسرة ومبرَّة، ومكارم لا تحصر
فالعز فيه وفي بنيه محقق ومؤكد ومؤصّل ومقرّر
والسعد فيه، ثمّ منه يقتنى وبمثل خدمته السعادة تحضر
فلنبتهل حقاً إلى الله الذي أعطاه ملكاً بالبشائر يمطر
ببقائه فينا دواماً سائر في صحة منها العدا تتأثر
ويديمه ظفراً بكل مسرة ويعينه فيما يريد وينصر
ليرى به الإسلام عهداً زاهراً بشباب إقبال يدوم وينضر
آل السعود الغرّ قد ملكوا الورى بشمائل ما حازها متأمر
فإذا انتميت إليهمُ أدنوْكَ من مجد يصاحبك الزمانَ ويكبر
فالله يحفظهم جميعاً إنهمْ للدين قد خلقوا، ومن ذا ينكر؟

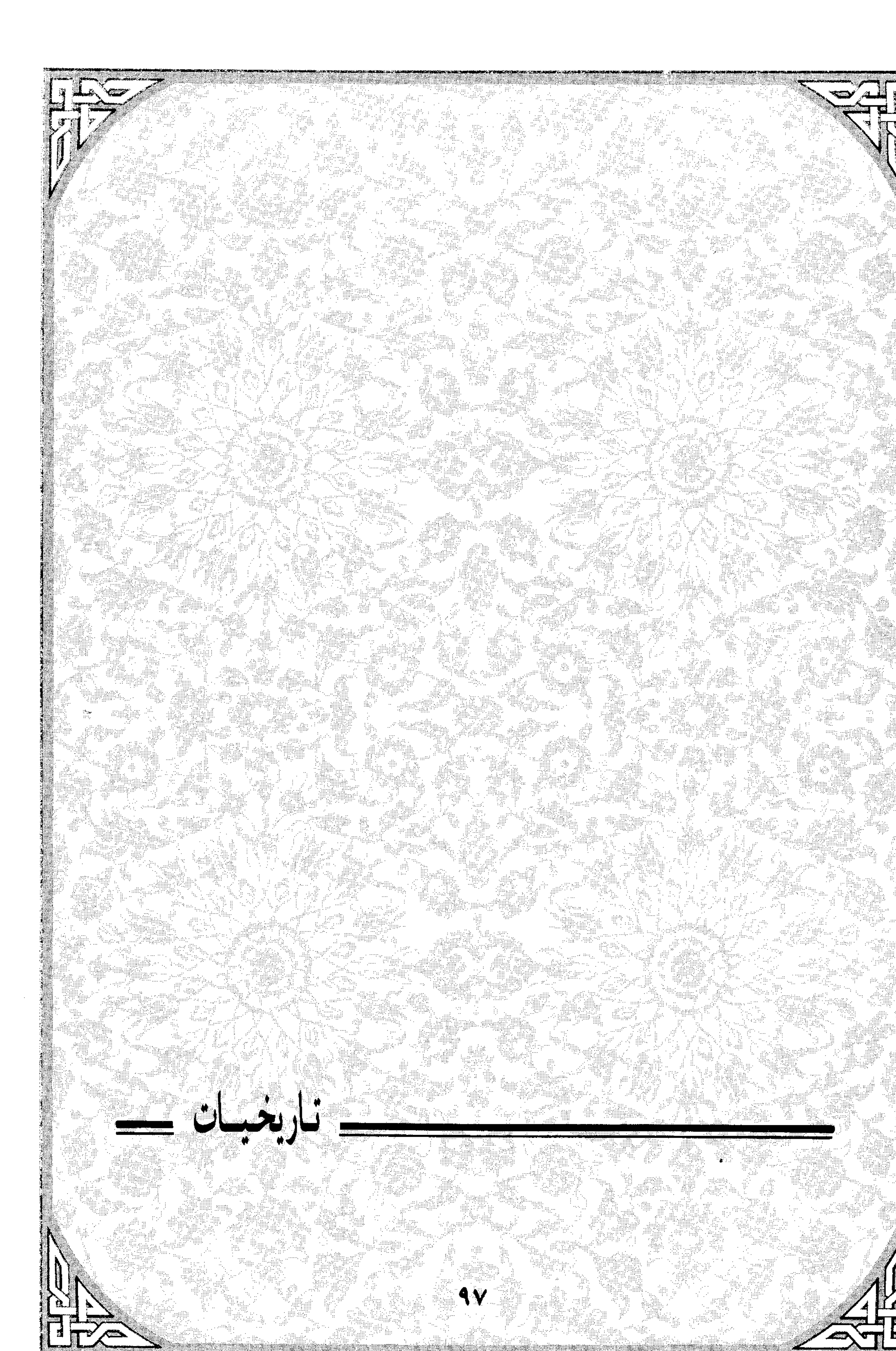
* * *

يا سادتي بكمُ استنارت حفلة   إن الجميـل لمـثلكـم يتـقـدّر
فلِكلّكمْ عقبى السـرور تخصكـم   والكـل منـا بـالتشكّـر مشـعـر
ما قال في مسك الختام مؤرخ: أنجِبْ بخيـر فـأُلُـه سيعـمَّـر

٥٦ + ٨١٢ + ١١٦ + ٣٨٠ = ١٣٦٤ هـ

* * *





تاريخيات



- ١ -

وقال مادحاً رسول الله ﷺ:

هام الفؤاد بحب الغيد وانعطفا ... فمقلتي مُزْنها بالوجد قد وكفا
فالنفس تُصْلى بنار الحب من ولهٍ ... والعقل في شرَك الأشواق قد خطفا
قد كنت أحسب أن الحُرّ منتبذ ... عن الغرام، وعنه الدهْرَ قد صدَفا
حتى غدا لي شغلاً شاغلاً أبداً ... وصرت بالصّدِّ والأسقام ملتحفا
وعدت في زمرة العشاق منتظماً ... أسمو برتبة وجد فخرها عرفا
قالوا: عهدناك طَبّاً سالكاً أبداً ... سبل الرشاد، فهلاّ دمت متصفا
فقلت: هذا الهوى صعب صيانته ... إن كنت مستتراً فالسقم قد كشفا
رويد عذلكمُ، فالعذر متضح ... لو شئت أنشره أمسى لكم صحفا
بيض الخرائد قد أرّقنني ولَهاً ... سودُ الغدائر قد صيرْنني دنفا
فصرت ألهج بالتشبيب مرتجياً ... رَوْحاً أزاول منه الأُنْس مرتشفا
قد تسحر الخفِراتُ الغيدُ رافلةً ... في الحَلْي غرًّا كقلبي، إن دنا فهفا
وترشق الناعساتُ الطرفِ في كبدي ... سهماً يصيب فيصمي، ما أصاب عفا
ما البانُ، ما الطلل العافي ودمْنَتُه ... سوى توقُّد قلب للغرام صفا
يا ويح قلبيَ أنهاه الهوى شُعَباً ... شتَّى، ومُظلمة الأرجاء، فاختطفا

يصلي بها لهباً يـذكي بمنسكب ... من دمعه، إذ غدا للحب مزدلفا
فالنفس حامية الأنفاس من شغف ... والقلب في لجج الأشواق قد تلفا
والعقل مضطرب قد حار في شُعَبٍ ... إذ ظل لا يهتدي للهُلْك منصرفا

* * *

قلبي أقيـك الردى ممـا تكابـده ... لا تخش بأساً، ولوحالُ الهوى انكشفا
نعم بمدحك خيـرَ الخلق كلهمُ ... تُهدَى وترجو لما أضناك فيه شفا
هو الرسول الذي أولى الأنام هدى ... بنور وحي لإظلام الضلال نَفَى
محمـد صفـوة البـاري ورحمتـه ... وأحمد خير خلق الله مـا وصفا
وسيِّد العَربِ العـرباء من مضـر ... وسيـد السادة الأمجـاد والشُّـرفـا
وسيد الواطئين الأرضَ من بشر ... قبْلًا، وسيد من يأتي ومن سلفا
وسيـــد، خيرةُ البـاري ونخبتـه ... وسيـدُ عهدُه في العـالمين وفـا
هو المتّمِّمُ بعد الرسل أجمعِهـا ... مكارماً كان فيها خيـرَ من خلفا
بدر يزيد على بدر السَّما شرَفاً ... إذ ظل يَمْحق جهلاً كـان فيه خَفـا
أرْبَى على الشمس في الأكوان فهو بَهاً، ... شمسٌ أضاءت، أبانت كلَّ ما لطفا
والماءُ فاض يروِّي الجيش قاطبةً ... بين الأنـامل منهـا، كلّهم رشفا
والجـذع حنَّ إليـه عنـد فـرقتـه ... لأنـــه كـان بـالأنـوار مكتنفـا
هذي المكارم والإحسان أجمعُه ... إن السعيـد سعيد كيفمـا اتّصفا
لـه الخوارق تتـرى قبل مـولـده ... وطيب عنصره الأسمى عَلاَ شرفا

* * *

- ٢ -

وقال حين بدأ الترك في الجلاء عن المدينة، وهو بالشام سنة ١٣٣٧ هـ:

يـا معشـر الإسـلام هـا كُمْ عِبْـرةً أضحت مبينـة
وتـمـعَّـنـوا دررَ الـحـديـ ـثِ لأنّـهـا درر ثـمـيـنـة
أو مـا تـروا بـالـذل عَيْـ ـنَ التُّرك قد أضحت سخينة
ولـمحْـوهِـمْ أرِّخ: (جـزاً لشقـائهم آذُوا المـدينـة)

١١ + ٤٧٧ + ٧٠٩ + ١٤٠ = ١٣٣٧ هـ

* * *

قال مادحاً الشريف علي بن الحسين، ملك الحجاز السابق:

إن ظلَّ قلبي للغرام مطيعاً ... ما ظلَّ سمعي للعذول سميعا
أوَبعْد ما صدع الحشَى لحظُ المها ... أرضى السلوَّ، وأتْبعُ التشنيعا[1]؟
هيهات قلبي لن يُرَى متمسكاً ... بجَنى المحال، و لن يُرَى مخدوعا
لولا العوارض لم أزايلْ مربعاً ... ألفيتُ فيه مقصدي مجموعا
لو كان يغني عاشقاً تذكارُه ... داوى به كلْمَ الغرام جميعا
ومن العجائب أن تراني راضياً ... من بعد (أرْوَى) بالخيال قنوعا
أوَكلّما شمْتُ البوارق نحوها ... أغدو لتذكار الديار صريعا
لم أنسها والبين يرمي مهجتي ... بسهام خطب يُنْتزَعْن نزوعا
(بسطَتْ إليَّ بنانةً أُسروعاً[2] ... تصف الفراق، ومقلةً ينبوعا)
تبًّا لها ما كان أعلمها بما ... يفدي النفوس، تذوب منه ولوعا
(كادت لعرفان النوى ألفاظها ... من رقة الشكوى تكون دموعا)
فالحب ما يمّمت ينزع مهجتي ... شوقاً إليها، قائماً وضجيعا
وأمرُّ ما يلقَى المروَّع بالنوى ... نَوْحُ الحمام مرجّعاً ترجيعا
فيزيد في تبريحه، ويخاله ... خلوُ الفؤاد مسجَّعاً تسجيعا
يتخالف التعبيرُ فيما بيننا ... غنَّى وناحَ، لما نحنُّ تبيعا
كالمدح في إخلاص من أنا غرسُه ... أغدو على تنفيذه مطبوعا
وأُرِي الدّراري أيَّ أفق سماحةٍ ... أقنعت درّي أن يكون رفيعا

---

(١) التشنيع: يقصد ما ينقله الوشاة للتفريق بينهما.

(٢) الأسروع: دودة بيضاء رأسها أحمر، تشبّه بها عندهم أصابع النساء، جمعها أساريع.

في أيِّ تاجٍ صغتُه متأنقاً ومراقباً في أن يعنَّ بديعا
في أيّ منزل مفخر أنزلته في أيّ مجد شدته ترصيعا
فيمن يقول: المصطفى جدِّي، علاً وله الورى تفدي النفوسَ خضوعا
في سيِّدٍ لو قد بذلْنا جهدنا في مثله لم نلفه مشفوعا
فيمن ينير من السماحة وجهه نوراً يضاهي النيِّرين طلوعا
فيمن تخيّره الإلَهُ لطابةٍ غَوْثاً وغيثاً، ملجأً وربيعا
فيمن يوازي الراسياتِ وقارُه ويكون كهفَ اللائذين منيعا
فيمن تصوَّر غايةً، بل آيةً للملك والشرف الرفيع جميعا
فيمن به كبد الحسود مفطَّر ويُرَى به أمْرُ العدا مقطوعا
في ابن الحسين أبي الغطارفة الذي ملأ الزمان مهابةً وخنوعا
فيمن علا لفظاً ومعنى قدْرُه وغدا بذلك في الورى مسموعا
ولخوفه فقَدَ المناوىءُ أمْنَه والقلْبَ رُعْباً، والعيونَ هجوعا
تغني غَنَاء الجيش نظرةُ لحْظه فيُرَى الخميسُ لرعبها مسبوعا
أنى لو استفرغتُ جهدي مادحاً ونظمت أزهار الرياض بديعا
أو مدَّ فكري كلُّ أصْمع مصقعٍ أعْيَا عليَّ الوصف أن أستطيعا
لا تلزمنّي واجباً ما إنْ له يغدو (حبيبُ)[1] في المديح قريعا
وطريقة فيها (وليدُ)[2] مطرق بالعجز، يَفْرَق هيبةً وخشوعا
أو كان شاعر (كندة) نظّامها أعياه أفقك أن ينال طلوعا
خذها مثقفة القوافي، ربُّها عبدُ لمجدِك، خاضعاً ومطيعا
وبصدقه ينمى إليك بخدمةٍ تركت دياري بالربيع مَريعا

---

(١) حبيب: يقصد الشاعر أبا تمام.

(٢) وليد: يقصد الشاعر البحتري فإن اسمه الوليد.

ورضاك عنها مَهْـرُهـا، وإشـارةٌ تكفيه منك مدى الزمـان صنيعا
فاسلم فسعدُك في البرايا شامل منـا الأصـول بنـوره وفـروعـا
ولك المكانـة من ذؤابة هـاشم تـدنيك من قهـرِ الأنـام جميعـا

* * *

وقال أيضاً مادحاً الشريف الحسين ملك الحجاز السابق، ومهنئاً، في ١٢ ربيع الثاني سنة ١٣٣٧ هـ، وسماها: (كشف اللثام):

بشرى أسيِّرها إلى الأكوان ... مشتِ الخلافةُ في بني عدنان
ألقت عصاها واستقرَّ بها النوى ... واستقبلتْها للحسين يدان
بسمَ الزمانُ به وكان معبِّساً ... إذ كان طبق عقائد الإيمان
آبتْ فآبَ لها السَّنا بحلولها ... في آلها في الربع في الأوطان
في ابن الأئمة من قريش، في الذي ... أحْرَى بها في الناس في الأكوان
في أشرف الشرفاء في إبّانه ... في أصلحِ المُلّاك في الأزمان
من بعد ما مرَّت دهور تشتكي ... تغْريبَها وتلاعُبَ الولْدان
وتداولوها اسماً ورسماً لم يَفوا ... بحقوقها زعماً لها لفلان
لم يعلموا أن الخلافة حرّةٌ ... ما قيدت بمجالس الأعيان
كلّا ولا من فوقها أصلاً يدٌ ... إلّا يدُ الملك العليِّ الشان
وتداولوها والقلوبُ شجيَّة ... ممَّا بها من إنسها والجان
حتى إذا سلب القضاء هداهمُ ... وتسيطروا جَبْراً بلا إيمان
حكموا بمحْو رسومها من قُطرهمْ ... فعلاً وطرْدِ ملوكهم بهوان
أما وقد كُشِف الغطاء وصرَّحت ... أنبَاؤهم عن خزْية الأزمان
لم يبق للإسلام شك بعد ذا ... في أمرهم مذ قام للأعيان
نبذوا الشريعة خلفهمْ وتتبّعوا ... قوميّةَ الجمهور نحو لسان[1]
نبذوا عهود الله خلف ظهورهمْ ... وتوجّهوا كفراً إلى الشيطان
ما سُرَّ إبليس اللعينُ بمثلهمْ ... أبداً، وما يلقى لهم من ثان

(١) يشير إلى ما نادى به القوميّون الأتراك.

سائلْ ـ فُديتَ ـ النيلَ عن أحوالهمْ واستفتــه عن حكمـهم ببيــان
هل ثَمَّ وجهٌ في تـأوُّلِ كفرهمْ وخـروجهم عن طاعـة الـرحمن
جعلوا الـرعيــة كلُّهم سلطانَهمْ يــا ويــلَ سلطانٍ بــلا سلطان
رفضـوا العلومَ وأهلها وقُضـاتَهمْ علَنـاً، كـأنّ الثـأرَ في الإيمـان
قـالـوا: لنـا لسنـا نـريـد وسـاطـةً فـي الـدين بيـن الله والإنـســان
قــولاً يصـوِّر كفـرَهمْ ونفـاقَهمْ ويعـدّهم حـطبـاً لـدى النيـران
ويقيم في ذات الإلـه جهـادهمْ ويكبّهم صــرعى على الأذقــان
حكمـوا بتوحيـد الحليلةِ بعْدمـا جعلوا الـطلاقَ لمعشرِ النسـوان
يـا معشر الإسـلام، هـلَّا غيـرةً تـجتـث أصلهـمُ مـن الأكــوان
هـذا (الكمـالُ) وفعله ومقــالـه أضحى ينـاقض حكمـةَ القـرآن
هــذا اللعيـنُ الأرمنـيُّ وجنــده قـد جاهـروا الإسلام بـالعـدوان
هذا النقيصُ ابن النقيص وجنده يمسي دسيسـة كـل مُغْـوٍ جـانِ

* * *

يا معشر الإسلام إن لم تتركـوا عـصبيَّــةَ الأجنــاس والـبـلـدان
وتنظفوا مـا ضمَّتِ الأحشاءُ من درن النفــاق ونـقــطة الشنــآن
وتحـافظوا التنـزيل في أحكـامه متــلازميــن تــلازم الـبـنـيــان
متـظاهرين لـدى العـدوّ كـأنكم جبــل من الـفــولاذ والصــوّان
متمسكـين بــدينـكـم ويقـينـكمْ مستقتلين على رضــا الــرحمن
متعـاونين على الشـدائــد كلهـا ومــواصلين الحبـلَ بــالإحسـان
متكـاتفين، وبـاذلين الجهـد في إصــلاحكم، وبغـايــة الإمكـان
: لم تسلكوا سبل النجاح وتنقذوا أرواحــكــم مـــن ذلــة وهـــوان

* * *

يـا معشر الإسـلام، هلّا يقـظة تنجيكمُ من ربـقــة الخســران

أين الحميـة والـرجـولـةُ والْـوَفـا   بـل أين حامي الـدين والأوطان
أين الذين يقول شـاعِرُهمْ عُـلاً   يسمـو بكـلٍ حميّـة وبيـان:
(وخْزُ الأسنَّة والخضـوع لناقصٍ   أمـران عنـد ذوي النهى مُـرَّان)
أكـذا الـدسـائس بيننا ختـالـةٌ   تَسري كمسرى السلِّ في الأبدان؟..
لم نعتبـرْ أبـداً بـأنـدلسٍ ولا   بِسِـوائهـا من سـائـر البلدان
أكـذا نكـون ككـرة يلْهُـو بهـا   جمْعُ الأعادي من فُلٍ لفلان؟..
إن الخـلافة بـالـرجـال قـوامهـا   وقـوامُهمْ بـالمـال في البلدان
والمال بالكـدِّ الذي بـالجد قـد   يـأتي، وذا بالأمن في الأوطـان
والعـدل بـالأمن الصراح بقاؤه   والعـدلُ منسوب إلى السلطان
وإذا تـدبّرتَ الأمـور وجـدتهـا   بتصـادُقِ النيـات لا بـلسـان
فاستمسكوا بعـرى الخلافـة إنّها   (سكَنٌ لـوحشتكمْ ودارُ أمـان)
هـذا الحسينُ ولـو أردتم مثله   في عصركم لم يُلْفَ في الأكوان
هذا الذي قتـل الزمـان تجارِبـاً   والنـاس علْمـاً مـالـه من ثـان
فبه اقتَدُوا، وله الزمُوا يا إخوتي   طـوْعاً لـه، تَنْجُوا من الأحـزان

* * *

- ٥ -

وقال أيضاً مادحاً الشريف الحسين المذكور في ٩ محرم سنة ١٣٣٨ هـ:

حنّت إلى عاداتها من أوّل ... نفس عن المحبوب لم تتحوّل

سمعت بأخبارالغرام فصعّدت ... نَفَساً يضارع حرَّ نارِ المصطلي

قد كان أسأر في الفؤاد بقيّة ... سحر العيون، وما انمحى عن مقتلي

ومصاحبُ الدار الدفين حياتُه ... كمماته، والناس عنه بمعزل

إنّ القدود الهيف ما تركت لذي ... لب فؤاداً مارقته بعُذّل

في كل يوم للصبابة موقف ... لا تلبث الأرواح فيه تبتلي[1]

قالوا: أما لك في القريض طريفة ... غير الذي يُذكي الحشا بتغزّل؟..

قالوا، وما شعروا بأن جوانحي ... ضمت على وخز الغرام المُنْجلي

السالبي ثوب الشعور، ومُبْرزي ... بين الملا في حلّة لم تكمل

أترى الأسى والشوق تارك مهجتي ... ما دام هذا الحسن ينظر من علٍ

وملثّم غازلته فوجدته ... قيدَ النفوسِ، عن الصبابة منجل

ومجسّم من كل روح لابس ... أفكار مشغولِ الحشاشة، والخلي

ذي مفرق فرق الدجى في مدهن ... مثل القضيب على الكثيب المهيل

صافي المحيّا، كالفرند بَريقُه، ... ريّان، من ماء الشبيبة ممتلي

أنّى يفارقني الغرام، وصبوتي ... ملكت جهاتي الستَّ للمتأمل؟..

زمن تقضّى بالغواية، وانجلت ... بالمجد عينُ الرشد حتى بان لي

عن سيد من هاشم في ذروة ... من فخرها في عزها المتكمّل

وابن الخلائف من قريش، والذي ... جلب الثناء بحلمه المتأهل

---

(١) تبتلي: تجرب وتتعرف، وقد استعملها بمعنى: (تفنى) وهو استعمال خاطىء.

إنّ الخلافة لم تزل في مأمن
مذ حازها الملكُ الحسينُ أبو علي

بشرى[1] بني الدنيا فإن أمامنا
طبق العقيدة في الطراز الأوّل

ملك يقول لنا الزمان مبشراً:
هـذا الذي خبّأتـه لتحمّـل

قد محّصت منه السنون موحداً
في قومه عن أفضل من أفضل

هذا الذي ترك التجارب تهتدي
ثنائه، وبعلمه المتكمّل

إن الحسين ولي عهد خلافة
قرشية لم تنصرف لتأوّل

كلاّ ولا شك امرؤ في كونها
هذي العروش لمثل هذا المنزل

هُنِّئتموها رتبةً نزّالة
فيكم بتحقيق الحديث المرسل

من يدّعيها غيركم؟ أو من لها
فخراً على هام السماك الأعزل؟..

هي بالكفاءة لا تليق لغيركم
والحكم يعضدها فهل من معضل؟..

سبحان من جعل الشريعة في الورى
نوراً يبيِّن كل أمر مشكل

قرِّي فديتك في بني مَعْدٍ فهُمْ
رُؤسا قريشٍ، واثبتي في الأمثل

في أكمل الملاّك بين عديدهمْ
في أكمل الأشراف ذاك العبدلي

* * *

---

(١) في الأصل: (شرفاً).

وقال أيضاً مهنئاً ومباركاً بالعيد: الشريف علي بن الحسين المذكور في عرض تبريكات المدينة سنة ١٣٤١ هـ:

العيد أنت وما سواك رسوم نعتادُها، والحظُّ منك نسوم
فلتهنأ الدنيا بمثلك إنها لولاك فُرِّط درُّها المنظوم
والطائفُ المأنوس حين حللته بدرٌ بهاءً، جنّة ونعيم
نور لطابةَ كان أولى مشرقاً منه، ولكنّ الشؤون غيوم
هي بالتفاتك في أعز صيانة لولا تشوقها إليك عظيم
حوراءُ غضَّ جمالها بُعْدُ المدى عمن تحب، فجِذْلُها[1] مسقوم
وتكاد تشعر بالنسيب صبابة وتطير من ولَهٍ عليك تحوم
ومن العجائب كونها ولهانة معدومة العُذّال حين تهيم
لم تلف إلا عاذراً ومساعداً في حبِّها، والكلُّ فيه غريم
أنا بعضُ ذاك الكلِّ يشهد خالقي وبه أدين، وذا عُلاً موسوم
أوليس أنك منقذي من عسرة من جور دهرٍ في القضاء سَدُوم[2]
ومتوِّجي فخراً بمحسوبيَّةٍ تنمي إليك بعزِّها فتدوم
لا يعدمنِّي الله منها راحة وصنيعه بثنائها ملزوم
لو لم تكن كان الدليل بحبِّكمْ ما برهنت بوجوبه حاميم[3]
والملك جزء من سيادتك التي قد زيّنته وأنت فيه زعيم

---

(١) الجذل: أصل الشجرة ونحوها.

(٢) سدوم: كثير الهياج.

(٣) حاميم: يشير إلى الآية ٢٣ من سورة الشورى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾.

ومجامر التبريك فاح عبيرها من كل أوْبٍ مسكُها المختوم
يُهدَى إليك على التنائي نَدُّها والكلُّ يقعد بالْهَنا ويقوم
ورأيت نفسي لو خفرتُ بواجبي يُقضَى عليَّ بأنني لأثيم
ولمن يرى تلك الأنامل أبحرا هي فرصة يحظى بها التسليم
فأجبت داعي مجدها متجاسراً في عرضها، والحظُّ منك نسوم
ثم الصلاة على النبي وآله والصحب ما سمع القريضَ كريم

* * *

- ٧ -

وقال يهنئه بقدومه للمدينة، على لسان بعض الأشراف:

سرٌّ السعادة من سناك بشير فالدار جذلى، والزمان سرور
أفبعد ما سطعت شموسُ المجد في أرجائها، يسطو بها ويجور؟..
كلّا، ومن أولى المكارم كلَّها[1] لأميرنا المحبوب وهو قدير
وأعاد مجد الدين فعلاً فاغتدى ركن الخلافة (بالحسين) ينير
وغدا (عليٌّ) وهو مالك عهدها فغدت بعزٍّ علاه وهي تشير
ما حلَّ هذي الدارَ مثلُ أميرها شرفاً بغابات السماح يزور
فلو أنَّ كلِّي للتشكّر ألسنٌ وغدا مُعيني (غالبٌ) و(جرير)
لم يوف بعضاً في مقابل منَّة هي في سماء المنتمين بدور
أنا (زيد)[2] عبدك، وابن عبدك قائـ ـلاً بلسانه، والشكر عنه يسير
اقبَلْ ولاءَ عريقِ خدمتك الذي لا زال من ضافي نداك يمير
واسلم لدنيا أنت روحُ حياتها وكمالُها وجمالُها المشهور

* * *

(١) هذا قسم بالله.
(٢) زيد: قد يكون هو الشريف الذي قال القصيدة على لسانه.

- ٨ -

وقال في صدر استدعاءٍ رفعه على لسان والده، إلى الشريف حسين بن علي، ملك الحجاز السابق، وسماها: (نداء مظلوم):

أيحلّ بي كرب؟.. وكيف أضام فعْلاً، وأنت على العباد إمام؟..
تتناشني نُوَبٌ عسى تجتثّني بئس البقاءُ وللهوان توأم
أوكلما بالإفْكِ لفَّق ظالم قولاً به حر الحقوق نُرام
يتآمر الأعدا لهضميَ عنوةً حتى على الرزق الزهيد زحام
حقي صريح لا تنازُع عنده من أين تبطل مثله الأحلام؟
أيغار جهراً في استلالي تالداً والله يعلم ذاك، والإسلام
ويصحّ أن يغتالني في غيبتي لصٌّ ألدُّ، على لظىً مقدام
لا سيما في وقف أجدادٍ مضوا ما للمنازع في احتواه سهام
كلّا، ولا من أصله وجدوده مَنْ جال حول فعاله أو حاموا
ضُرِّي تعمّده (عرابي) سابقاً فكشفتَهُ، والعدل فيك لزام
والآن عاد لما مضى من ضيره مولاي غوثاً!.. عادت الآلام
يرجو بذاك دراهماً أو شهرة أو يصطفيه مكابرٌ ظلّام
ورًى بزَوْر المصطفى، ومُرادُه تلبيسُ وجه الحق، والإيهام
أنَّى يوارَى وجهُ شمس أشرقت؟.. والنور يبدو لو علاه قتام
هذا وفي الأخرى بكسب يمينه رهن، ومالِكُ يومها العلّام
كيف السكوت على المضاضة إنه سفه يجانبه الحجا، ويُذام؟..
لم ترضه شيم الحسين أخي النهى كلّا، ولا مثلي لديه يُسام
ما لي على حمل المذلّة طاقة فأقم لعزِّي بارقاً يشتام

* * *

رفقاً أمير المؤمنين بفاقد حسن الشعور، فما عليه ملام

إن لم تكن يا ابن البتول مؤمَّلاً في محو ضرِّي، حلَّ بي الإعدام
إن لم تلبِّ صريخ عانٍ موثق يا ابن الرسول، تعطّلت أحكام
إن لم تكن ذخر الشريعة غيرةً فعلى الشريعةِ، والحقوقِ سلام
إن لم تكن لي مشتكىً لقضيتي ما لي على العيش الأمرِّ مقام
إن لم تُشِد لي في جنابك قوة تُردي العداةَ، فصحتي إسقام
فلأنت أجدر أن تؤمِّن خائفاً أخنت عليه بجَوْرها الأيام
ولأنت بعد الله ملجؤنا الذي أمْرُ الخلائق في يديك زمام
فأْمُرْ بعدلك سيدي، فلَكَ الْهَنا المَلْك مَلْك، والورى خُدَّام
ثم الصلاة على النبيّ وآله ما أمَّ بابك في الأنام مُضام

* * *

- ٩ -

وقال في الحسين أيضاً:

حبِّي الحسينَ فريضةُ لا تنكر ... أكِّدْ بذا جِدَّ الهوى إذ تذكر

أكِّد بمن هو في اعتقادي سيد ... أحرى وأولى بالثنا إذ ينشر

أكِّد به رقِّي وصدق صبابتي ... وولاء ودي، والعواذل حُضَّر

سيِّرْ به ذكري، وأثبِتْ في الملا ... شعري، وأذِّن في العلى إذ تشعر

أنا لا أزال، ولن أزال، ولم أزل ... حيّاً ومَيْتاً، حبَّه لا أنكر

بأبي وأمِّي، ثم روحي، طارفي، ... وكذا التليد، له الفداء فقرروا

سبط الرسول فما لمدحك غاية ... تُرجَى لقدرك، مثل عزك، تحصر

من بعد ما قد صرح التنزيل في ... تبيانه يتلى الثّنا ويكرر

عَدِّي نجوم الأفق أيسر مطلباً ... من عدِّ مجدٍ عن جنابك يؤثَر

أنا لو زرَى بالدرِّ نظمي عاجز ... عن حدكم، بل قاصر ومقصِّر

ولو اعتددت بكلِّ أصمعَ مصقعٍ ... ماذا عسى أني أشيد وأشكر؟..

* * *

يا ابن التي ضاءت بكوكب مجدها ... أفكارُ أرباب الحجا فتنوروا

ورأوا هدى فيكم تجسم، والعلى ... فيكم تقسَّم، ذكره والمخبر

هذا الثنا، وليَ الهنا، إن ترضـ ... ـه، والعزُّ أجمعُ، والبَها، والمفخر

جهد المقلِّ، ولست أخشى عاذلاً ... أن كان حلمك عن قصوري يعذر

فسقى الإله رياض قبرك هاطلاً ... كنوال جاهك، أو بجودك يمطر

ثم الصلاة على النبيِّ وآله ... ما فاح عن طيب المرائي مجمر

* * *

وقال:

الحمـــد لله زال الهم والحـــزن   وعاود النفسَ روحُ الأمن، والوسنُ
والكل حرٌّ يقول الحق لا حذِر   من بطش جاهلِ حكمٍ حشْوُه إحن
أهلاً وسهلاً بكم من وافدين، بهمْ   أغـلالُنا كُسِرت، والـدمُّ يحتقن
أهلاً بزوّار خير الخلق، مَنْ حسنت   في الله خدمتهمْ، والدين مؤتمن
أهلاً بمن أدركونا بعدمـا غرقت   في لجة الخطب من أرواحنا سفن
سبع شداد تقضّت، كلها عجب   خوف وجور وناس ملؤهم ضغَن
فلا ترى غير مسلوب الأمانِ على   أمـواله، أو حيـاة مـا لهـا ثمن
لكـل فـرد من الأتبـاع سلطنـةٌ   على ذوي الفضل، والأحرارُ تمتهن
فالفكر في قلق، والروح في حُرَق،   والظلم منطلق، والعـدل مرتهن
قالوا لنا: إننا من أصل مكرمة،   نعم، ولكنهم فـي فعْـلِهم دَرَن
تسيـطروا لا أقـال الله عثـرتهمْ   فمـزقونـا، وقالـوا: فعلُنـا حسن
فقـوّضـوا قبَّـة الإسـلام قـاطبـةً   وشجّعوا في هلاك الدين مَنْ جبنوا
أردَتْهمو خبثُ نيات بهـا اتزنـوا   من الردى والخزايا مثلما وزنـوا
كادوا فبادوا، ولكن بعدما كتبوا   في صُحْف تاريخهم ما تنكر الظنن
وأجمـع الناس طـرًّا أنهم سبب   في سحق روض الهدى في الناس ما فطنوا
ما عاهدوا أبداً إلا وقـد غدروا   فمـا يصـدّق عهـداً منهمُ فـطِن
والله أكـرم من أن يرجعـوا أبداً   إلى الحجاز وعز الـدين يمتهن
ها فانظروا دارَ خير الرسل كيف بدت   تئن من جورهم قد شفّها الدَّخَن
ها فانظروا منبع الإيمان كيف غدا   لأننــا إخــوة مــا بيـنهـم منَـن
هـذي الأرامـل والأيتـام بـائسـة   هَلْكى، هزالى، بحالٍ كله حزن
هذي الأعزَّة من سكانها رجعوا   أذلَّـةً مـا لهم قُـوتُ ولا سكن

كُذْراً يمرون بالأسواق مقصدهمْ إحسان كل فتى في فعله حَسَن
حال أسال دموع العالمين دماً حال يولد منه السقم والشجن
حالٌ متى شوهدت أو رُدِّدَتْ ألِمت لِمَا تفاقم منها العينُ والأذن

* * *

يا أيها السادة المشكورُ سعيهُمُ عند الإله وعند الناس، لا تهنوا
هذي الأماكنُ في الدنيا مقدسة وشأنُها بيننا بالروح يحتضن
ودارِكوا أن تروا إرجاعهم أبداً ما فيهمُ بعد هذا للورى حسن
الله أنقذَنا من قبح ظلمهمُ لولا التدارك كدنا منه نُفتَتن
كدنا نضل وأيْمُ[1] الله من جزع نجرّع المر، لا مالٌ ولا وطن
ما غادروا ذرّةً إلا وقد سلبوا إن الزمان بما قد خلّفوا خشن
نعم يحق لنا تكليفُكمْ أبداً لأنكم إخوةٌ ما بينهم مِنن
نعم لكم قدرة في كل حادثة على الدفاع، وكلٌّ منكمُ لسِن
يقول بالصدق، لم تغرره زخرفة يأتي بها عابث بالأمن أو ذهِن
تفضلوا بقبول من مجامعنا تحيّة الود صرفاً إنه ثمن
وكلنا فرِحٌ يُزهَى بزورتكمْ نعَمْ، ويشدو، ولا تُنْسَى لكم منن
ثم الصلاة على المختار ما تُلِيَتْ: الحمد لله زال الهمُّ والحزن

* * *

(١) همزة (وايم) للوصل، قطعها الشاعر ضرورة.

وقال مادحاً عظمة النواب، صادق خان ملك بهاو لمبور بمطرز سنة ١٣٥٧ هـ:

عرف الزمانُ لك الفخارَ الأسبقا فدعاك من بين الملوك (الصادقا)
ظلت بك الأشعار تنظم درّها إذ كنت (بالعبّاس) حقاً ملْحَقا
ما أدَّعي لك نسبة من مفخر إلا وجدتُ المدح فيك محققا
تاهت رئاستُك الكريمةُ إذ غدت من (هاشم) تعطى الكمال المحدقا

* * *

ابنُ الملوك الصيد والمجد الذي بذوائب الجوزاء صار معلقا
لك (يا عرابةُ) مجدِهمْ وفخارِهمْ كفٌّ بها سيلُ السماح تدفقا
ناهيك من ملك يقول لدى الورى: إني ابن عمِّ المصطفى، وابن النَّقا
وليَ الأباطحُ من مشاعر (مكةٍ) (والرقمتان) وكل ما جمع (النَّقى)
أيقوم لي في (الهند) أيّ مُشابهٍ في مفخر بالطيب صار معبَّقا؟..
بُلِّغت من أقصى المكارم غايةً من فضل ربي أذهبت عني الشقا
الحج حجُّ البيت ثم زيارة الـ ـمختار بالحسنات صدقاً مرفقا
لله نفسٌ منك أشرق عزُّها شرفاً، به شرفُ الزمان تمنْطقا
حِلْم وعلْم ثم آدابٌ بها قد مكن التهذيب فيك موفّقا
أضحت (بها ولمبورُ) منك كأنها جنات عدن حسنها لن يلحقا
جمعت فنونَ السعدِ فهي خريدةٌ لم ترض كفْؤاً غير مجدك معنقا
صدقَتْ(بصادق) في الفعال فأصبحت بدر الكمال على البرية أشرقا

* * *

أمثير مدحي أنت غاية مقصدي أمسَى الفؤادُ بحج مجدك شيّقا

دعني أوفّيك الثناء فإنني صبٌّ بغير كمالِكمْ لن أعلقا
قل لي: أجدت، ارْحَبْ فأنت مقرَّب، ولك الكرامة ما بقيت مصدقا
خلّفتُ في أرض الحجاز صبابتي وركبت عرض البحر نحوك عاشقا
أطوي الفيافي كي أرى فلك البَهَا وأظلّ من عَرْف الحجى مستنشقا
ناديت بالمدح الصلاح معرِّفاً: عَرَفَ الزمانُ لك الفخار الأسبقا

* * *

وقال مادحاً عظمة النوَّاب صادق محمد خان بن عباس، ملك بهاولمبور سنة ١٣٥٧ هـ:

المجد يُثْبت والمكارم تَشهد ... والله يحكم أن فخرك أوحد
لك في المحامد شهرة سيارة ... بين الملوك، كأنها بك فرقد
يا من إلى العباس، عمِّ المصطفى ... ينمى، تهنأ إن أصلَكَ سيد
مَن في ملوك الهند يحوي نسبةً ... للحبر (عبدِ الله) وهو الأمجد
جدّ الأكابر من سلالة هاشم ... جدُّ الخلائف، بالحديث يؤيَّد
هو للقُرانِ الترجمانُ، وفضلُه ... بين الأنام مدى المدى يتجدّد
فالمدح فيه وفي بنيه مسهّل، ... وميسّر، وموفّق، ومسدّد
بقرابة المختار، أو بجوامع الـ ... ـعِرفان، أو بخلافة تتأكّد
أبداً، (بهاولمبورُ) يقطنها البَهَا ... ما دام هذا النسل فيها يوجد
يكفيك أني الصبُّ في نظم الثَّنا ... والحالُ أني عن جوارك مُبْعَد
متلقِّط دررَ المدائح في الورى ... من كل شاكر نعمة لك تُسنَد
الكل يورد من ثناك لآلئاً ... تستاق شوق المدح وهو منضَّد
إنّ المكارم والمفاخر والذّرى ... تاجُ على أعلى جبينك يُعقَد
لك يا مليكَ المجدِ وابنَ مليكه ... وجهُ يظل البدر فيه يُحسَد
لك أيها النّواب يُمْنَى كلُّها ... يُمْن، ويُسْرَى يُسْرها يتمدّد
لك فكرة وقّادة لا تَنْبري ... إلا لصَيْدِ الصِّيدِ، فهي توقَّد
يا صادق الإيمان والأفعال والأ ... سماء مضمومٌ لذاك محمّد
قد أعلن الإحسانُ منك لسانه ... المجد يثبت والمكارم تشهد

* * *

وقال مادحاً الصدر الأعظم الوزير بشير حسين زيدي، وزير ملك لامبور في ١٣٥٧/٤/٢٢ هـ:

الحسن أجدَرُ أن يكون ممشّقاً ... ويكون قلبي في هواه معلّقا
من أين للأذواق شيء مبهج ... إلاّ جمال يستهيجُ المنطقا
إن العيونَ السُّود أوقع منفذا ... في لب من أمسى بفهمٍ أسبقا
وأرى الخدود إذا تورَّد ورْدُها: ... وِرْداً لدى بحر الصبابة مغرقا
ما مالت الأغصانُ إلا غيرة ... مِنْ قدِّ سلمى إذْ رأته تأنّقا
وأرى الليالي سائراتٍ خلْفها ... تنجرُّ إذعاناً لما قد أقلقا
كيف السلوُّ وقد منحت جوارحي ... ضُمْرَ البطون، وما أرى ليَ معتقا؟ . .
إني لأهوى كلَّ حسن في الورى ... وأجَلُّه الأخلاق ممّن قد رقى
وأبشِّر الآمال بالبشْر الذي ... بسنا بشيرٍ زان منها الملتقى
سمَّوْه (زيدي)، إنه زِيدَ النُّهى ... والفضلَ، حتى كنت فيه الأعشقا
عشقُ الكمال ألذُّ عشقٍ في الورى ... وأعزُّ جدٍ زان فيه المرتقى

* * *

فإليك يا بحر البحور وساحل الإ ... حسان، أُزجي كلَّ مدح منتقى
أوزير (لامبور) الذي لِرئيسِها ... ذاك الذي ملأ القلوب محقّقا
ذاك الرضا، ذاك العليّ مقامُه ... ذاك الشريفُ الأبطحيّ ابن النقا
ابنُ المفاخر من سلالة هاشمٍ ... من ذروة طابت سنىً وتألُّقا
أمسيتَ شهرتها ولطف حديثها ... أكسبتها مجداً عظيماً مُونقا
قد طار ذكْرُ كمالِها بين الملا ... حتى تخال (الهند) منها جلّقا
هي جنة الدنيا بمثلك، إنه ... ذِكْرٌ لدى العيُّوق صار معلّقا
متمثّلاً بجلائل النِّعم التي ... عظمت، فبهو جمالها لن يسبقا

ما لي إليك وسيلة إلا الندى نظْمُ الثناء لديه صار موفّقا
إذ أنت مقصد كل قلب شاعر طاف القريض بركنه وتعلّقا
فإذا سخوت فذاك طبعٌ فيك لا يتأخر الإحسان منه عن اللقا
أو ليس أنك من سلالة يعرب مَن منهمُ عطر الثناء استنشقا
مِنْ نسل هاشمَ، ابنُ أفضل مرسلٍ أصلُ البَها، أصل الهدى، أصل التقى
ولهم على مر الزمان إلى الورى نظر يظل البخل منه مُشفِقا

* * *

- ١٤ -

وقال مطرزاً في جناب شيخ محمد خليل - في ١٣٦٠/١١/٢٥ هـ:

شهد الكمالُ بأن حظك مقبل إذ كان وجهك بالبها يتهلّل
يا زائرَ المختار إنك مسعد ولك الهنا، فالسعد فيك مكمّل
خذ بالصلاة الأجر ألفاً إنها في مسجد المختار حقاً تُجعل
مكِّنْ وجودَك في مواقع روضةٍ فيها الدعاءُ بما تشا لا يهمَل
حُزْ كلَّ فضل إن حججت بنيَّةٍ فيها إلى الإخلاص وجهٌ يقبل
ما دام في الحرمين شخصُكَ فالتمس من فائقِ الإحسان ما يُتأمَّل
دن للإلّه بكل ما يرضى هدى وارجع إلى وطن وأنت مجمل
خامِرْ بطيب الحب قلبك إنّه يُجْلي الهموم وشأنه لا يجهل
لا تسع إلا بالخلوص فإنه أبداً بحسن الظن حقاً يكمل
يا كاملاً نطقَ القريضُ بمدحه لطفُ التهاني نحو سُوحِك يمثُل
لله أنت وقد سمعتَ المبتدَى: شهد الكمالُ بأن حظك مقبل

* * *

وقال مهنئاً جلال بك حسين، عضو مجلس النوّاب المصري في ٢٧/ ١١/ ١٣٦٠ هـ:

بشراك لاقتكَ في الطاعات أفراح ... فأنت لا شك بالإسعاد ترتاح
ثنّيتَ حجّك مشفوعاً بزَوْرة من ... ترجو شفاعته، فالعفو يُمتاح
أكِّد بثالثة معنى الحديث لكي ... تأتيك في الدين ألطاف وأرباح
وما أخالك إلا آخذاً أبداً ... بالعزم والحزم، إن الشهم طمّاح
مجيء أهلك هذا العام بيِّنةٌ ... بأنّ فكرك للطاعات مفتاح
فالله يوليك ما يرضيك من كرم ... دنيا وأخرى، ولا لاقتك أتراح
وانعَمْ (جلالُ) بتوفيق الإلّه لما ... يرضاه، إنّك بالأقدار سوّاح
إسعادُ هذا الورى أو ضدّه: قدَرٌ ... يجري عليه، وهذا الحكمُ مصباح
فالناس كسبهمُ طرًّا بذاك مشى ... ولو تشابه أشباحُ وأرواح
إنّي أقدِّر من في الدين همته ... تسمو، وناظره للشرع لمّاح
نعَمْ، وأنعَتُه بالمجدِ في ملإ ... بِيضِ الوجوه، وإني فيه مدّاح
ولي بودك أنسٌ لا يفارقني ... وهل تفارق لفظ الأنس أفراح؟..

* * *

- ١٦ -

وبعث برسالة إلى وزير الدولة حنك الحيدر أبادي في ١٣٦٣/٩/٢٧هـ صدّرها بهذه الأبيات:

الجود منك سجية ونظام ولأنتَ في حَوْز الثناء نظام
يا أحمدَ الخيراتِ، يا رجُلَ النُّهى هي دعوة طول الزمان تُقام
وردت عطاياك الكريمةُ إنها غيث، وأرجو أنَّ ذاك دوام
يا سامي الأخلاق إنك واحد ولك الرقيُّ طبيعةٌ ووسام
الله يعلم أنني في حبكمْ رجل الوداد ولي لديك مقام
ووظيفتي أني لذاتِك مخلص في دعوتي، وأنا بذاك إمام
فاقبَلْ سلامي، إنه لك رائق وكذا دعائي، فهو فيك مرام
واجعل سماحك كل وقتٍ عادةً ويحف عُمْرَك بالبقاء سلام
والشكر مني لا يزال مردِّداً: الجود منك سجيّة ونظام

* * *

- ١٧ -

وقال مهنئاً إبراهيم بك هلباوي، مطرزاً:

احجُجْ وزُرْ ما دمت شهماً عالماً ... بحقائق الدين الحنيفِ وقائما
بالغتَ في نصح الأنامِ لهدْيهمْ ... لصلاحهم، فجنيتَ أجراً غانما
ريَّضتَ مقولك الفصيحَ بحكمة ... أمسى تأثُّرها علينا حاكما
إبرامُ[1] إنك في رقيّك كامل ... أبداً يراك الدين طبًّا حازما
هي منحة الخلّاق فيك فحُزْ بها ... دنيا وديناً، قاعداً أو قائما
يتناثر الإحسان منك كأنه ... در يكون له لسانك ناظما
من منطقٍ يذَر الشريد من النُّهى ... متقيِّداً، ويكون مَعْك ملازما
بغرائب المعقول، بل بحقائقٍ ... ودقائق أصبحتَ فيها عالما
يرضى المخاطب أن تكون إمامه ... في كل معنى يقتدي بك دائما
كلِمٌ كأمثال السهام ووقْعُها ... كالزَّهر أشكالٌ تفوح مفاهما
هذَّبت نفسك للدفاع فأنتجت ... ما ظل يثبت للعقول معالما
لك في النفوس تساهمٌ فجميعُها ... بالميل نحوك تقتضيك تساهما
باللطف أم بالظرف أم بكليهما ... أُوفيك نعتاً كنت فيه مقاسما؟..
أَوْليتَنا من حسن نطقك شرعةً ... كانت لإرشاد العقول مغانما
ودَّ الجليسُ جليس فضلك أنه ... أبداً يكون لديك فعلاً لازما
يا طيباً قد حلَّ طابة، طِبْ بها ... نفساً، من الأسواء دوماً سالما

* * *

(١) إبرام: أي إبراهيم.

وقال مهنئاً مرسي عبد الحي بك في ١٤/١١/١٣٦٤هـ:

(مرسي) له الخيرُ بالإحسان مشهور ... وفضله بالبَهَا في الناس مذكور
رِيضَتْ خلائقه حتى غدا علَماً ... ففكْرُه بالحجى والرشد معمور
سليم طَبْعٍ ونفس، فهو في نظري ... ماءُ زلال بصافي اللون منظور
يريك منه إذا عاينته مثَلاً ... من الكمال تُرَى فيه التباشير
عاينت منه رئيساً في شمائله ... حُسْن وفي نطقه فهْمٌ وتعبير
بالعقل تدرك أخلاق الورى وترى ... أن التمدن في الأخلاق تنوير
دَيْنُ المكارمِ لا يقْضَى بغير نُهىً ... (مُرسي) له مثَلٌ في الكون مشهور
إن قلت فيه الذي يرضيه فهو له ... أهلٌ، وهل مثله بالمدح ممطور
له صفات تريك الفضل مجتمعاً ... فالدر بالمدح منظوم ومنثور
حليمُ نفس، فلا جهلٌ يدنِّسه ... وقورُ شكلٍ، له في المجد تفكير
يا زائراً خير قبر زرتَ صاحبَهُ ... أبشر فإنك بالإحسان مغمور
يالحج نلت الرضا والفوز أجمعه ... إنَّ السعيد له للعفو تشمير
يقضي كمالُك ذكري عندكم أبداً ... أن الوفاء لحسن العهد تذكير
كفاك مني نشيدٌ أنت تحمله ... (مرسي) له الخير بالإحسان مشهور

* * *

وله تطريز تقدير للباشا / التهامي الفلاّوي:

أبـداً بذكـرِك في البلاد أطـرِّب ... ويـظل فكـري للثنـاء يـرتِّب
لك صبغة في المجد يعرفها العلى ... وكـأنهـا بين المفـاخـر كـوكب
بالحج فزت، وبالـزيارة، سـائراً ... في نـور أجـر والسعيـد مقـرّب
أبْشِـرْ فأنت من الـديانـة مالـك ... حـظًّا، له بين الفحـول تعجُّب
شيئاً خصصتَ به لأنّك في المَلاَ ... غـيثٌ بـكـلِّ تكـرُّم يـتصبَّب
الغربُ عندك في السماحة مَشرِق ... والشّرقُ منك إذا تجود: المغرب
أنـا والورى نـدري بذاك وإنهـا ... نفس الحقيقة، ما لذاك مكذِّب
لا مثل ما أوتيت ينكـره الورى ... كلاّ ولا لك عنه أصْلاً مـذهب
تقضي وتـأمر في النـدى فكـأنّه ... عبـدٌ لـديـك مقـرَّفٌ ومُهـذّب
هذا المديح يسوق حسنـاً نفْسه ... شـوقـاً إليـك ولـو غـدا يتهيّب
اقبلْه فهـو جـواهـرُ من طـابـةٍ ... لا يـرتضيها غيـرُ من هـو طيِّب
مـا أنـت إلا أهـله ومـحـلّه ... فأعِرْه سمعـك، إنه لـك يطرب
يعطيك ما يرضيك مِنْ محموده ... حتى تـراه بـالبـلاغـة يلعب

* * *

ولـه تقـديـر وتـطريـز في النـواب سعيـد الله خـان في ١٣٦٤/١١/٢٠ هـ:

نعْمَ القـدومُ قـدومُ خيـرٍ زائـر　　بلدَ الـرسول بكـل فضل بـاهـر
وعـلامتي فيـك السـرور لأنـه　　في الوجه منه كمثل صبحٍ سافر
أضحى سعيـدُ الله خيـرَ ميمِّم　　أكنافَ طابة في الزمان الحاضر
بالأجر زرتَ المصطفى متواضعاً　　في مـظهـر يـأتي كبـدر زاهـر
سعْـدُ السعيدِ مقـدَّر مثل اسمـه　　فلَكَ التهـاني بالكمـال الفـاخـر
عاينتَ مسجدَ خيرِ من وطيء الثرى　　وركعت فيه بحُسْنِ صفوِ سرائر
يتقـاطر الإحسـان منك بـروضـةٍ　　فيهـا الأمـاني للمحب الـزائـر
داعٍ بهـا ترجـو الإجابـة سائـلاً　　ربَّ الورى، فاسعد بكل بشائر
أحسِنْ بـه ظنًّـا تكن متمتعـاً　　دنيـا وأخرى في ابتهـاج ظاهـر
لـك صبغةٌ تـومي بأنـك ماجـد　　للدين يسعى في انـطلاقٍ غامـر
لسعـادة النوَّاب أنـظِمُ بهجـة　　درَّ التهـاني، وهو عقـدُ مَفاخـر
هـو من لآلـىء طابـةٍ، وبعطرِهـا　　متضمـخ، فانعَمْ بمـدح عـاطـر
خـذ بـاقـةً بيـد القبـول فـإنهـا　　مـدنيّة وافت بصـوغ مشـاعـري
أضحت كنافجة يفوح المسك من　　أكنـافها في شبـه نطق الشـاكـر
نِعمتْ بقربك إذ أتتك وأنشدت:　　نعم القـدوم قـدوم خيـرٍ زائـر

* * *

ولـه تطريز تقدير وترحيب بزيارة خان بهادر حبيب الرحمن:

خـذهـا زهـوراً للثنـاء تـزينكـا إنَّ البَهَـا بين الكـرام أمينكـا
أشمم بها أرواح طابـة والتمس عـطراً يميـرك مِسْكُـه ويمـونكـا
نـاسبتـه طيبـاً فـكنـت محلّه إن الكمـال مُعينـه ومُعـينكـا
بالحج فـزت وبالـزيارة والـرضا فيمـا فعلتَ وإنـه لَخـدينكـا
هيـأت نفسـك للقبـول وقـدتهـا للدين ترجو العفـو وهو قـرينكا
أمـل سعيـت لأجله ستنـالـه ودليله عنـد الـرجـاء يقينكـا
دين الهدى بالأجر يجري أمره ولـه أجبت وذاك حقًّـا دينكـا
رح لابسـاً ثوب المسـرَّة محسناً ظنًّـا بربـك: أسعدتـك ظنونكا
حيتـك منـا كـلُّ فكـرة شـاعـر إنَّ الثمين من الثنـاء ضمينكـا
بـدرَتْ إليك يقـودها تقـديرُهـا حيث المعالي في الأنام شؤونكا
يـا مرحبـا بقـدوم أسمح زائـر هذي سنين الخير، وهي سنينكا
أنعِمْ بمسجد خير من وطىء الثرى ولْتحظَ بـالأنـوار منـه عيـونكـا
لُحْ بالرضا في روضـة من جنة لا تخش من ذنب تظن يشينكا
رتِّبْ بهـا الدعـواتِ بعـد تحيـة فيها، وحسن الظن سوف يعينكا
حـيِّ النبيَّ مسلِّمـاً بتـواضـع واستـوف ردًّا للسـرور يـدينكـا
مثِّـلْ لنفسك كـلّ حسن للهدى حتى يـظل إلى الثواب حنينكـا
إنّ الـريـاضـة للسعـادة نعمـة في كـل جمـع للفحـول تبينكـا
نعْمَ اللآلىء إذ حبتك بمدحها فثمينُهـا بين العقـود ثمينكـا

* * *

وقال مهنئاً الشيخ يعقوب مندوب كلكتّه:

أهـلاً وسهـلاً بـالمكـارم والعلى ... أهلاً بمندوب الكرام لدى المَلاَ
لا وجْهَ أجمل من محيًا محسن ... لا سيمـا إن كان شهمـاً أكملا
شيء تميـل لـه القلوب طبيعـة ... فالحسن بالإحسان ظلَّ مسـربلا
(يعقوبُ) يعسوب المفاخرِ، ذكْرُه ... أحلى على الأفواه من ذَوْق الحَلا
خَبَري كخُبْري فيه، لكنْ زادني ... معنى الكمـال أراه فيـه مكمّـلا
يعطيك مـا يرضيـك من أقوالـه ... والعفـو أحسن مـا أتيت مؤمـلا
عرفتك آلافُ اليتامى في الورى ... وكذا العفاة بكـل نُعْمَى تُجْتلى
قـامت بطابـة تَـرْجمـاتُـك بينهمْ ... درساً يسير على المسامع مرسلا
وغدا وُجودُك مثل جُودك فـرحةً ... تُبدي ابتهاجاً في النوادي مثملا
بـالله زِدْ فينا الإقـامـة إنهـا ... خيـرٌ نقـابله بـلا شـكٍّ، ولا
ما وصفُ شعري غير عقدِ مآثرٍ ... للذيـذِ وصفك في القريض تمثّلا
نعْمَ المعاني إنها الصدق الذي ... يُرْوَى ويُنْشر عنـد أرباب العـلا
دلّت على روح الشهامة والبَهـا ... فغـدت كتـاج بـالـلآلىء كُلِّلا
وبدت على شخص التفضل خلعةً ... فـظهرت للمعـروف حقاً هيكـلا
بـالبشْـر والحسنى أتيت لـطابـة ... ودخلت مسجـدها وزرت مجلّلا
كيمـا تُسَرْبَـل بـالأجـور وبـالثنا ... دنيـا وأخرى، للقبـول محصـلا
لم تلق في الـدنيا أعـز مكانـة ... من عـاقـل يسعى بخيـر مقبـلا
كن كيف شئت فإنك الرجل الذي ... تـرجى عوارفـه ويصبـح أفضـلا
تمّت لـه كـلُّ المفـاخـر إنهـا ... مسك الختام تضوع منك على الملا
هي أفق مجد أنت بدر جمالها ... تلقى بسعد سعودهـا لك منـزلا

* * *

وقال مادحاً نور الحسين، ومهنئاً له بالزيارة سنة ١٣٦٥ هـ بمطرز:

نورُ الحسين لدى المحافل نور ... فالقلب منه دائماً مسرور
وعليه من نور المحبة حلّة ... أبداً بهاها في الورى منظور
رَوْح لدى الإخوان فهو محبّب ... طبعاً ونفس المجد فيه كبير
أمسى بأكناف المدينة نازلاً ... كالغيث، فالإحسان منه وفير
للمسجد النبويِّ هيّأ رحلةً ... ليحوز أجر الألف ثم يزور
حاز الثوابَ مع الدعا في روضة ... هي جنة فيها الرجاءُ يسير
ستحج إنْ شاء الإلّه مكرّماً ... حجًّا هو المقبول والمبرور
يوليك ربك ما أردت ميسراً ... وبما تشا، والعفو منه مصير
نعم المديح وقد أتى لك منشداً: ... نور الحسين لدى المحافل نور

* * *

وقال مهنئاً سركار نواب بهو بال حميد الله خان في ١٥/١٢/١٣٦٧ هـ بمطرز:

عش في السعادة أيها النّوّاب فلمثل فخرك تزهر الألباب
إن الثناء يكون فرضاً عندما يرنو لمجدك، والسماحُ يجاب
لك رونق الملك الذي ببريقه يهمي بغيث الجود منه سحاب
يا ابن الملوك، اهنأ بحجك إنه سعدٌ لعل العفو فيه يصاب
جاءتك منه نعمة محمودة يستاقها فعلاً إليك ثواب
نمَتِ الهدايةُ في علاك فغادرت قلبَ الحسود بما مُنِحتَ يذاب
أدّيت فرضاً، ثم زرت، وهكذا يُتنوَّل المقصود والآراب
بجلائل الإحسان صرت مجمّلاً دنيا، وأخرى بالجميل تثاب
سبحان معطيك الكمال متمَّما إن المفاخر مَعْ علاك صحاب
رضوانُ ربك أصلُ كلِّ سعادة فالعفو روض، والرضا لك باب
كنتَ السعيد ولا تزال، ولم يزل لك في المجادة دائماً تدآب
الحج بالإخلاص أفضل غاية إن كان مبروراً ولا يرتاب
رح واغْدُ في حلل السعادة دائماً إن المكارم للملوك طلاب
نوّابَنا، افخرْ في الملوك فأنت قد شاهدت بيتاً للإآله، وغابوا
ووقفتَ في عرفاتَ وقفة خاضع ترجو وتخشى، والخلاص لُباب
أبداً يقول الظن ما أحسنته: ادع الإآله بما تشاء تجاب
بلِّغت ما ترجوه من ألطافه هذا العطا قد تمَّ منه نصاب
حَوتِ المدينة منك هيكلَ عاشق يسعى بشوق حفَّه إطراب
متفانياً في حبِّ أفضل مرسلٍ متواضعاً، وله الهدى جلباب
يتقاطر الإحسان عند حلوله في المسجد النبوي ولا إعجاب

دنتِ السعادة منه وقت صلاته فيه لأنّ الألْف فيه ثواب
لك ما تشاء من القبول وإنْ تنل هذا القبولَ فلا يصلك عقاب
لاحت لك المننُ الرغاب وأسلستْ لك دولةُ الإحسان، والأسباب
هذا ثناءُ لسانٍ طابةَ فارْضَه فلمثلِ فخْرِك تزهر الألباب
خير الملوك هو الذي يهدي إلى طرقَ الهداية للعلى جوّاب
الفرض بالسنن الشريفة عنده ملحوظة، لم يُلْفَ فيه عتاب
نعم الدعاء مع الندا في محفل: عش في السعادة أيها النوّاب

* * *

سعوديات



- ١ -

وقال مادحاً ومهنئاً صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود المعظم[1] في ١٣٤٤/٨/٢٨ هـ:

الحمد لله أُعطِي القوس باريها ... ونالت النفس في الدنيا أمانيها
واليوم عادت إلى الدنيا بشاشتها ... واستوثق الكلّ من نُعْمى يعاطيها
من بعد سبع[2] كسبع أدلفَتْ بِدِمَا ... أكبادِنا، وعـدَتْ فينا عواديها
اليوم أعطِيتِ الآمالُ بغيتَها ... والنفس قد أُطلِقتْ من قيد مبكيها
وكل صاحب حق ناطقٌ أبداً ... بكل كِلْمة صدق ظلَّ يرويها
وأمة العُرْب والتوحيد قام بها ... موفّقٌ ظلّ بالتوفيق راعيها
هو الإمام السعوديُّ الذي سطعت ... شموسُ راياته تزهَى مغانيها
سلطانُنا، ناصر الإسلام، واحدُه، ... سعدُ السعود لأرض بات يحويها
هو المعزُّ لدين الله، حاكمنا ... عبدُ العزيز أخو التقوى، وراعيها

---

(١) دخلت المدينة في حكم آل سعود في ١٩ جمادى الأولى عام ١٣٤٤ هـ.
(٢) إشارة إلى مدة حكم الهاشميين للمدينة الذي بدأ في ١٧ رجب عام ١٣٣٧ هـ ويقصد بسبع الثانية: الحيوان المفترس.

الفيصل الفيصل اليقظان مجتهداً ... على الشريعة يُجريها مجاريها

يوفي العهود بصدقٍ لا يشاكله ... في عصره أحد، حاشاه تشبيها

يلاحظ الدين والدنيا بعين هدى ... لا تشرئب إلى فحشاءَ تصبيها

كلاّ ولا همُّه إلا تتبّعُه ... مرضاتَه الربَّ في أخرى يرجّيها

قل (للحسين) أمدّ الله غربته ... أتتك صمّاءُ بشرى لا تحييها

هذا الحجاز جميعاً في يديْ ملك ... طبٌّ بإخماد نارٍ أنت موريها

إن الشريعة أضحت منه في حرم ... من أن تهان بباغٍ كان موهيها

والأمن خيَّم في الأرجاء قاطبةً ... وأصبح العدل بالإحسان راعيها

واجتثّكمْ من ديارٍ كنتمُ سفَهاً ... فيها ملوكاً، وكان الظلم واليها

وطائر اليمن في أحيائنا فرحاً ... يُبدي نشيداً على أعلى روابيها

(وأمة كان قبح الجور يسخطها ... دهراً، فأصبح حسن العدل يرضيها)

تقول ـ تعني إمام المسلمين، ولا ... تخشى ملاماً، فتطريه ويطريها:

(أعطاكها الله عن حق رآك له ... أهلاً، وأنت بحق الله تعطيها)

حسب (الحسين) وحسب البغي أنهما ... حلفا هوانٍ على الدنيا وما فيها

كم محنة ظل في الإسلام ينسجها ... يبيت ينشرها فعلاً ويطويها

وكم ظُلاماتِ مسلوبٍ بساحته ... تشكو إليه، ولا يصغي تشاكيها

هذي الرعية أولاها وآخرها ... تمجُّ سمعته ممن يروّيها

أم القرى جزعت، بل ولولتْ وبكت ... بكثرة البغي لمّا سال واديها

وطابة ـ ويله ـ قد خصها بأذى ... إذ أنه ما رعى حقاً مراعيها

تكفيه منقبةٌ عمت فظاعتها ... عرضَ البسيطة: قاصيها ودانيها

تقويضه قبة الإسلام معتمداً ... كأنه ما درى من كان يأتيها

فالحمد لله زال الهم وانقشعت ... تلك السحائب، وانبثت عزاليها[1]

---

(١) عزال: جمع عزلاء، أي مطرها أو ماؤها.

وعـاهدتنـا على الإيخاء قـاطبـة عهادَ أمنٍ تروّت في مـراويها[1]
فاليوم عادت إلى الإسلام بهجته واليـوم أعطِيتِ الـدنيا أمـانيهـا
واليوم دبّ بأرض العرب أجمعِها دمُ الحيـاة وتاهت في مغـانيهـا
لصالحِ السلف المحمود سيرتُـه فضـارعته وقـد مـادت بـه تيهـا
هذا (عليٌّ) ولولا عـطفةٌ سبقت من الإمـام تـراه رافـلاً فيهـا
لظلَّ في قبضة العقبـان محتبساً ولا تـرى نفسُـه شيئـاً ينجّيهـا
فقل له ـ لا جزاه الله صالحةً ـ إليـك قنبرة فـالنفس عـدّيهـا
هذي الجنود، وذا الصياد فاحتبسي يداً أطالت على الهلكى تعدّيها
هـذا الجزاء بكيـلٍ كلْتَه طمعـاً فـاستوفـه من أسود أنت باديها
وطهّرتكم من الأوطان فانتسجت فيها التهاني طرازاً في حواشيها
هي المفـاخر لا يـرقى منازلَهـا إلا مجـدٌ لـدى العليـا يـوازيهـا
والغادر الطبع في قول وفي عمل لا تـرتضيه على حـال يـدانيهـا

* * *

يا ذا الذي من حضيض القهر أنقذنا اقبَـلْ تحية نفسٍ مَعْ تهـانيهـا
لو كنت تعلم مقدار السرور بها لسـرّ قلبك مـا أطلعْتَـه فيهـا
وأهـل طـابـة بـالتـرحيب كلُّهمُ قد وجهوا نحوك التبريك توجيها
فلا ترى غيـر داع بالبقـاء لكم بنيةٍ قلبُـك المسـرورُ يـدريهـا
أو رافلاً في ثياب الأمن مبتسماً على حيـاة سعـادات تـواليهـا

* * *

ويا إمامـاً أزاح الظلم عن وطن أرحتــه بسيـوف أنت نـاصيهـا
أثابك اللهُ خيراً حيث كنت لنا ظـلاً ظليلاً على عليـا تساميهـا

---

(1) الإيخاء: كذا في الأصل. العهاد: مطر أول السنة.

ونــوّر الله ملكـاً أنت تــرأســه على شريعة خيـر الخلق تعليها
فتحسم الطمع المزروع في مهج إلى ديـار بعين الملك تـرميهـا
وأنت أكـرم من أن يستهان بـه في حالة كنت بـالإعزار وافيهـا
ثم الصلاة على المختار ما ذكرت: الحمد لله أعطي القوس باريهـا

* * *

- ٢ -

وقال مهنئاً جلالة الملك عبد العزيز آل سعود المعظم:

شرفٌ عظيم في الملوك كبير ... قد حزته يا أيها المنصور
ما أنت إلا أمة في أمة ... أمست بِعدْلِك في الأنام تسير
أقبلت تسعى نحو مسجد طابة ... صافي الضمير بها وفيك سرور
بتضاعُفِ الصلوات يوميّاً بها ... في مسجد فيه الديانة نور
هي رحلة شرعية مأثورة ... وكما علمت حديثها مأثور
وتزور أشرف مرسل في ضمنها ... وترى بروضته الخشوعَ يزور

* * *

يا تالي القرآن والتفسير في ... أيامه، لم تخل منه شهور
يا تابعاً سنن النبيّ محمد ... بل كلّ لهجته بتلك تدور
أنت الإمام الحق والملك الذي ... يرضَى به الإسلام والتأمير
ملك طبيعته الشريعة، ما لَه ... طبع سواها في الأنام يشير
ملك له التوحيد خُلْق راسخ ... متمكن من نفسه، منظور
ملك أقام شعائر السنن التي ... درست، وها هو شخصها منشور
ملك أباد معالم البدع التي ... ظلت كدين في الطغام يثور
ملك تجسّم للرعية جودُه ... أو ما تراه للعفاة يمير؟
ملك شفوق، كلُّ فرد عنده ... كابْنٍ، وذلك خُلْقه المخبور
ملك يُرَى بين الرعيّة والداً ... فرضاه عندهمُ هو الإكسير
ملك يسير به الزمان مجمّلاً ... إن الزمان بمثله لفخور

* * *

أهلاً وسهلاً بالمفاخر والعلى ... كل السعود إذا حضرت، حضور
يا مرحباً بإمامنا ومليكنا ... هذا الذي ما مثله مذكور

إن الغنيمـة للمـدينـة حُقِّقت لمّـا حللت بها وسـاد حبور
وتـكللت أرجـاؤهـا وتـنـوّرت بـالابتهـاج، وحفّهـا التيسيـر
مسكينـة تـرنـو إليـك محبّـة ليزول عنهـا العسـر والتكـديـر
يـا غيثُ أمطِرهـا بـوابـل أنعُمٍ ليـدوم منهـا شكـرهـا المـوفـور
نفّـذ وصـاة نبيّنـا فحـديثهـا يـدريه مثلك، بـالهـدى معمـور
يرويه مالِكُ، وهو أوثق مَنْ روى ذاك الـذي في علمـه مشهـور

* * *

أأبا الفحول الصّيد ما منهم فتى إلا وأيسـرُ أمـره التـدبيـر
كـلٌّ يقلد منـك سيـرةَ عـاهـل حُمِدت، وضاء بحسنها الديجور
هم نسخة من حظك الوافي الذي شمـل الأنام، فكلّهمْ بـك نـور
(فَـوليُّ عهدِك) مثـلُ صبغتك التي عُـرِفت، وذلـك حـظه المشكـور
والسيف (فيصل) ذاك يمناك التي قـامت لتـدبيـر الشؤون تـديـر
نعم الأميـر مجـادةً ومهـابـة وخـلائقـاً فيهـا السمـاح زهـور
زِينَتْ بـه أرضُ الحجـاز، فقلبها طـرِبٌ، يشـاق لـذكـره ويمـور

* * *

لـك دولـة عـزّت بحـظك إنـه سعـد على طول الـزمـان يسير
لك من رجالك كل شهم ماجد والكـل منهم للهـدى مـأمـور
يحذون نحو العدل عدلك، إنه عـلَمٌ بلألاء السـرور يـنـيـر
فـالله يـوليـك السـلامـة دائماً حتى ترى الإحسان منك عصور
ويطيل عمرك في رضا الملِكِ الذي أعطاك هذا المجدَ، وهو بصير
ويريك في أبنائك الخيـر الذي تـرجوه، إن الصقـر منه صقـور
ثم الصـلاة عـلى النبيّ وآلـه والصحب، مسكٌ في الختام يزور
ما أُنشِدت في محفل أو جحفل: شهم عـظيم في الملوك كبيـر

* * *

- ٣ -

وقال يهنئه بقدومه المدينة سنة ١٣٤٤ هـ:

هذي المدينة في كريم صفاتها ... تُهدي تحاياها لحاكم ذاتها
أجلالة الملك المعظم دعوة ... من مخلص يرجوك في إنصاتها
بقدومك الحظُّ العظيم مجسم ... في طابة يعطي لها غاياتها
يعطي لها كل الأماني دفعة ... ويرى الرقيُّ طريقَه لسماتها

* * *

أهلاً وسهلاً، مرحباً بإمامنا ... رجل الشريعة في اقتفا آياتها
أهلاً بناشر عدله وأمانه ... في أمة هنئت بروح حياتها
يا أيها الملك الذي آراؤه ... سعد يقوم به على راياتها
أنت المؤمّل في مطالب بلدة ... شع الهدى والدينُ في جنباتها
فابثُث بهاالألطاف، وارفق بالذي ... عوّدته يرجوك في أوقاتها
والله يُبقي في الرفاهة والْهَنا ... والسعد ذاتَك موصلاً بثباتها
ويزيد دولتك العلية رفعة ... تسمو على الملاّك في رِفْعاتها
أنت الذي تُعْنَى بأبلغ ما روى ... في مجلس الآداب بين رواتها
(ذكر الأنام لنا فكان قصيدة ... أنت البديع الفرد في أبياتها)

* * *

وقال يمدحه ويهنئه بالحج، سنة ١٣٥٥ هـ وأراد أن يلقيها في يوم النحر، وحال دون ذلك مرضه، وقد نشرتها جريدة المدينة بتاريخ ١٣٥٦/٦/٢٥ هـ:

سلام أيها الملك المهيب ... فمجدك ما له أبدا ضروب
أخصك بالتحية من جموع ... جوانحهم عيون، بل قلوب
وأنعِمْ بالحجيج وأنت فيهمْ!.. ... إمام بِرُّه فيهم يصيب
كذلك حجّك المبرور غُنْم ... عليهم منه في ظني نصيب

* * *

بكم آل السعود اهتزَّ عجباً ... سريرُ الملك وارتاح الحبيب
لكم لبُّ المديح بكل أرض ... ودُرُّ القول مرصوف رطيب
بمثل جلالة الملك المفدى ... يقوم الأمر، بل تُنفَى العيوب
بمثل أبي الفوارس والضواري ... يذلّ الجورُ، بل تُمحَى الذنوب

* * *

أميرَ المؤمنين أرى فؤادي ... لدى هذا المقام له وجيب
أقِلْني عثرة التقصير إمّا ... تجد مني التلجلج أستهيب
وقفت بموقف لو حل فيه ... ثَبِيرُ دُكّ هولاً يستنيب
فهل من عاذر يرعى كلامي ... ويفهم أنني فيه مصيب
أعز الله أنصار العوالي ... لنصر الدين ما وُجِدت كروب
لسلطان الشريعة زان تاج ... على (عبد العزيز) له نسيب
يبرهن عشقه أن قد حواه ... وحيد في سماحته غريب
به الإسلام أصبح بعد عجز ... شباباً ليس يقربه مشيب

به انتظمت أمور المُلْك عقداً   كعقد الدرّ تعشقه القلوب

* * *

أيا ابن المالكين ديارَ نجدٍ   ونجدٌ لا يلين بها صعيب
ويا ملِكَ الحجاز ونعم ملك   بحكمته مشى شاة وذيب
ويا ابن المحرزين تراث قوم   بحزم كلُّه عزم صبيب
ويا ابن المنتمين على اقتناع   إلى التوحيد، شأنهمُ عجيب
ويا من عدّة الإرهاب فيهمْ   سيوف الشرع يحملها النجيب
لعمر الله لولا أنت كنا   كبَهْمٍ في المقانب تستريب
تخاف الذئبَ ينهش في لهاها   ولا يَبْقَى لها منه عسيب
بأمنك سارت الركبان تحدو   ولا شَيْء سوى عدل يهيب
أجبت الصارخين به دواماً   وغيرك لا يجاب ولا يجيب
لقد صدقوا وما في الحق شك   بأن المجد مركبه عجيب
ولا يعنو لغير أخي جلاد   له في قومه صدر رحيب
وأنت كذاك أسمى من تَسامى   ظهير الرأي في الجلَّى مصيب
حديد القلب ذو جلَدٍ، صبور   سليمُ الصدر، مأخذه قريب
بعيد عن موافاة الدنايا   فلا نقد، ولا قول مريب
ألست من الأُلَى شادوا المعالي   ودانت بالرضا لهمُ القلوب
وكانوا في قديم أو حديث   كنارٍ للعدا فيها لهيب؟..
وأنتمْ للندى من عهد عاد   سحابٌ للورى فيه صبيب
وشأنكمُ العطاءُ وليس أخذاً   وما فيكم لنا إلا وهوب

* * *

أما والله لولا أن عندي   لدهري من حوادثه ندوب

لأخجلتُ الدراري واللآلي بشعر يستدين به (حبيب)[1]
وها أني مع التقصير آتٍ بأصناف المديح، ولا عجيب
وأني ناظم ما قد أراه وما لي غير ألفاظ تنوب

* * *

وختم المسك أن تبقى دواماً فطِيبُك للورى أبداً يطيب
وقولي في ابتدائي وانتهائي: سلام أيها الملك المهيب

* * *

(١) يقصد الشاعر العباسي: أبا تمام حبيب بن أوس الطائي.

- ٥ -

وقال مؤرخاً بناء السد الذي أقامه جلالة الملك عبد العزيز آل سعود بمكة المكرمة عام ١٣٦٢ هـ:

بسعدِكمُ آلَ السعود، سرى الجَدُّ ... مع الجِدِّ في الإنشاء، فانتظمَ السد
مضى زمنٌ والناس غُفْل عن الذي ... فِطِنتمْ له، فالقَبْلُ من فِعلكمْ بَعْد
مهيّـأةٌ فيكـمْ محـاسـنُ سيـرة ... بها يزدهي التاريخُ والمجد والسعد
ولله سـرٌّ في ملوكٍ يـخصـهمْ ... بحوْزِ العلَى من خلقه، وله القصد
لقـد لاحظتكمْ منـه عينُ عنايـةٍ ... أنالتْكمُ العلياءَ كُلًّا، فهل ضد؟

* * *

إمـارةُ بيت الله أعـظمُ إمْـرةٍ ... تَدُكُ الدّنَى عدلاً به الظلمُ ينقدّ
ولا سيما من كان يحميه من أذى ... يُجَـرّ إليه، أو خـراب به يَبْـدو
لقد جرفت منه السيول مواضعاً ... بكت منه عين السحب مُذْ أرزم الرعد
تطوف كما طاف الحجيج به هدى ... وربٌّ مبـرّات أحق بهـا الصـد
لقد كاد بيت الله عند هجومهـا ... وقد أثرت فيـه من الغيظ يحتد
وكم أثّرت قبلاً، وكم هرّمت به ... من العفو رُكناً حقُّه القبض والمد
وكم أُتلِفتْ نفس أقـامت بـظله ... لِنُسْك، وكم هيض الأراملُ والولْد
يفجّعنـا في كـل عـام بفـعلةٍ ... بها قلقُ الأفكار في الكون يشتد
يسيل بجود الله، يسري معرِّجـاً ... إلينا برحْمات، وفي ضمنها الرفد
وربَّ محبٍّ في زيـارتـه لنـا ... شجون، وقد يُفني إذا كثر الود
فمـا سمعت أذني أتِيًّـا مـواتيـاً ... إلى البيت إلا واقشعرّ له الجلد

* * *

ولمـا أراد الله جـل جـلالـه ... حمايةَ هذا البيت وانبلج السعد

حماه فولّاه ابنَ بَجْدته الذي ... به الدين يزهو، والعدالة تمتد
بعبد العزيز العزُّ يشدو مشيِّداً ... معالمَ مجد ما حواها له ند
تُقِرُّ له المُلّاك في كل مطلب ... يزاوله، والحُرُّ يشهد والعبد
هو الحظّ في آل النُّهى، آلِ فيصل ... هو المِلك الفعّال والثابت الطود
هو الجد لا ينفك يُبدي فرائداً ... لحفظ الهدى، والناس يعجبها المجد
وفي كل يوم تكتب الصُّحْف آيةً ... لأمجاده لم يحصها الفكر والعد
خوالد تعطي ذكره متجدداً ... مدى الدهر، ما للفخر عن مثلها بد
فما لي أرى سدّ المجرّة في السما ... يزاحم سد الأرض شِبْهاً فيرتد
يود اتصالاً بالذي شيد الهدى ... لينظمه في درِّ مدحي له: عقد
له الحق في هذا التنافس إنه ... يشاهد ما تقضي النُّهى أنه فرد

* * *

أبا الصِّيد شكراً للذي أنت فاعل ... بكل لسان، فالدعاء لكم سرد
فإنك للإسلام أعظم ملجأ ... كذاك (وليُّ العهد) يحظَى به العهد
وهل ينبت الخطِّيّ إلا وشيجه ... وتنتج إلا في مرابعها الأسد
فبوركتمُ من آل بيت كأنه ... بدور بأفق المجد، أنواره تبدو
وبورك في مُلْكٍ على الدين أسُّه ... وبورك في مُلْك حقيقته شهد
وبورك في كل الذين سمَوْا به ... وصاروا رجالاً قد مشى بهم السعد

* * *

فيا أفضل المُلّاك غير مدافعٍ ... دفعتَ الأذى واستوثق السدّ والحدّ
وعادت لبيت الله أعظمُ فرحةٍ ... وعاد لك الإحسانُ والمدح والحمد
وأكسبُنا للشكر بعدك (فيصل) ... به ساعدُ الإتقان بالفخر يشتد
فنحن سهام صائبات رَمَى بها ... بساعِدِ حزمٍ، كلُّ أفعالِه جِد
وكان لتنفيذ الأوامر خادماً ... يقرِّبه منكم على ودّه الجهد

* * *

فمدحي لكم يزهو مع الشكر دائماً وللحاسدين الغيظ والذم والطرد
وَدُم في أمان الله يا خيرَ حاكم وعمـرك في كل السنين لـه قدّ
فحفظك بيت الله من أعظم الرجا لدى الله، والمحظوظ يتبعه السعد
فمـا أنت إلا نعمـة الله للورى بها بُلبُل الأفراح في روضنا يشدو

* * *

- ٦ -

وقال مادحاً:

محامد أدناها لـك الفكر يقْصـر وكيف سكوتي، والمآثر تُشكر؟
ومـا هي إلا منحـة إثـر منحـةٍ تجيء على مـرٍّ الزمـان وتمـطر
إذا أنا لم يمدحـك مني صادق لساني، فمالي في ذرى المجد مفخر
لئن قلّ وجدي أن يكاثر نعمـة تقيـدني دهـري فحمـديَ مُكثـر
ولم أر كـالمعـروف أحكم منـةً لدى الحر تبقى، والسنون تغير
وإن استواء الناس بالوجد واحدُ ولكنَّ تمييـزَ الشـدائـد يَنـزُر
كذا الذهب الإبريزُ يسمو بنفسه لدى الفحص كالطبع الكريم ويشهر
وقد أحكمت عندي التجارب واحداً أصيلاً يريك الفضل كيف يصوّر
مقيماً على ريب الحوادث لم يزل أخا بَدَهاتٍ تجعل القول يحصر
حريصاً على كسب المفاخر غارماً مغـارمَ مَنْ ينمى إليه ويـذكـر
بخيـلاً على أن لا يجود بمـاله وبالجاه والطبع (العزيزي) أخضر
إليك أسوق الحمد يسطع نـوره يضـاهي بهـاء النيِّـرين ويـزهـر
وهـل أنا إلا بقعـة سُقيت حيـاً كريمٌ، فأمست بالمحاسن تـزهر
تَفـرَّعُ عن أنـواع طيبٍ تفنُّنـاً بمـدحٍ محقٍّ، للسماحـة مظهـر
رئيس وقاك الله من شرٍّ حـاسد فمـا لك في عصـر يقلك منكِر
حميدُ خصالٍ، واسعُ الصدر، كاملٌ، أريبٌ، ومن عين السماحة محجر

* * *

- ٧ -

وقال:

عيد التهاني بالخلافة أقبلا فارحَبْ به قد بثَّ شكرك قائلاً:
شرفا بني الدنيا فإن إمامنا طبق العقيدة والمفاخر والعلى
قرت بمنصبها الخلافة وازدهت بمهذّب ساد الخلائق واعتلى
بالشامخ السامي، بفضل أصوله وفروعه كالشمس تشرق في الملا

* * *

- ٨ -

وقال يهنئه بعودته من أنشاص، واجتماعه برئيس الولايات المتحدة روزفلت ورئيس وزارة انكلترا المستر تشرشل سنة ١٣٦٣هـ وألقاها بين يديه في مكة:

لبّيتُ في استقبالكم أشواقي ... وركبتُ عزمي لا متونَ نياقي
أطوي على (الماتور) أنماط الفلا ... ولو استطعت طويت بالأحداق
لأرى حياةالمجد كيف تكونت ... في نفس أروع صافيَ[1] الأذواق
وأشاهد الطود الذي في يعرب ... قامت قوائمه على الآفاق

* * *

أجلالةَ الملك المهيب أرى العلى ... في ثوب شخصك زاكي الأعراق
(عبدَ العزيز) أرى بقاءك للورى ... لطفاً يزيل مشاكل الإرهاق
ويعيد كلَّ سلامةٍ مضمونة ... للعُرْب تعتقهم من الإزهاق
أمتوّجَ الإسلام تاجَ عزيمة ... تسعى إلى إعلائه ببراق
تسعى لنصرته وعَوْدِ قديمه ... وتكون ضمن ركابه السبّاق
سافرتَ في يُمْن وطالع أسعد ... للخير في عقبى الرحيل تُلاقي
نرجوك لاستثمار رأيك إنه ... في وقعه سيف على الأعناق
لتخطّ في أمر العروبة خطّة ... وتعيد شمس الشرق للإشراق
بالقلبِ يا سرَّ التجارب والنُّهى ... يلقاك شعبك، والودادِ الباقي
الله أعطاك السعادة إنهم ... علموا بذاك وأن حظك راق
ومُرافقُ المحظوظ محظوظ به ... شيء خُصِصت به على استحقاق
متعوّد من فضل ربك أن ترى ... ظفراً، ولطف الله عندك واق

---

(١) نعت مقطوع إلى النصب.

وتُقِل شخصَك في البحار سفينة ... تجـري بعين عنايـة الخـلّاق
تجري على ثبج البحار، وفوقها ... بحـر يفـوق بـوجهـه البـرّاق
فاعجَبْ لبحر من فرات راكبٍ ... من فـوق بحر مـالـح رقـراق
يتكبـد الأخـطار، يسهـر ليله ... بـراً وبحـراً، لاقتنـاء مـراق
لتكـون للعـرب الكـرام أخـوّةٌ ... مـشـدودة في وحـدة بـوثـاق
لسلامة الأوطان والإخوان والأ ... ولاد مـن قهـر، ومـن إخفـاق
فـاهنـأ بعَـوْدِك ظـافـراً في أمـة ... ألكـلُّ منهـا خـاضـع الأعنـاق
مـا فـيهـمُ إلا محـب مخلص ... متشـوّف مـن كثـرة الأشـواق
يـرنـو لأمـرك في يقين إنـه ... بـرجـاء ربـك بـالمسـرة بـاق
يا سَفرةً قصُرت وطالت عندنا ... شـوقـاً لـرؤيـة بـاهـر الأخـلاق
شوقاً لمن هو في الحنان أبٌ لنا ... فتـراه فينـا ظـاهـر الإشفـاق
يـا أيهـا المشكـور إنـا زمـرة ... سـارت على الأخدان والأعنـاق
مِنْ أرض طابة أوفدت مِنْ أهلها ... لـيـبـلّغـوك تـحـيـة الـتـوّاق
ويـهـنئـوك عـلى القـدوم لأنـه ... فـرض وأنت بهـم شفـيق واق
فـاعـطف عليهم بـالـزيـارة مـرة ... فـالسعـد فيهم أن يكـون تـلاق
والله يـبـقـيـكـمْ ويـبـقـي آلـكـمْ ... مـتـدرّعـيـن بـوحـدةٍ ووفـاق
ما أنشد الإحسان عند لقائكمْ: ... لبّيتُ في استقبـالكم أشـواقي

* * *

وقال مهنئاً جلالة الملك عبد العزيز آل سعود بعودته من رحلته إلى مصر سنة ١٣٦٥ هـ، وقد نشرت بجريدة أم القرى في حينه:

أثبت المجد عن علاك وآلى ... ما رأى للفخار منك مثالا
بيّناتٍ يسوق في صدق دعو ... اه لديكم، ولا يفوه محالا:
دخل العُرْب من زمان بني العبـ ... ـاس ليلَ خمولِ ذِكْرٍ توالى
عمقته أيدي الفوارس والتـ ... ـرك بتفريقنا، فكان الوبالا
سلبوا الملك والتقدم منا ... واستبدوا بالحكم عنا فزالا
سَنةٌ تنقضي، وقَرن يُولّي ... والأماني تحفنا أشكالا
يا تُرى هل نعيد مجداً تليداً ... رجَحَ الكونَ ثقْلُه والجبالا؟..
أوترينا الأيام فيه مناماً ... قد رضينا بأن يكون خيالا؟..
كل فرد يئن من عِظْم كرب ... زلزل النفس شرُّه زلزالا
وتقول الأقدار: صبراً جميلاً ... إن في الغيب نحوكم أحوالا
سترون الإعزاز والملك حتى ... يملأ الأرضَ ذِكْرُكم إقبالا
وترون الشموخ والعزَّ يأتي ... في زعيم يصارع الأهوالا
هو عبدُ العزيز أوّلُ شهم ... جدّد العزّ فاستبان وطالا
رأَسْته الملوكُ حتى عليهم ... خطبوا وده فحازوا الكمالا
عرفوه بفائق الفهم فيهم ... فهو للحق درّةٌ تلألا
سمعوا نطقه فهاموا وقالوا: ... (هكذا، هكذا، وإلا فلا، لا)
ولسان الزمان ينشد فيهم: ... (ذي المعالي فليعلموا من تعالى)

* * *

يا كريم الجدود لِمْ لا تكون الطا ... ئر الصِّيت، والفتى الصّوّالا
والزعيم المحبوب في كل قوم ... وبلادٍ أتيتها جوّالا

والخطيب المخطوب في كل أمر في نـواد تعمهـا أفضـالا؟
أو لست المؤسس الملك فينـا ومـزيلاً بـالجد عنـا وبالا؟
أوليس التـوحيـد فيـك سلوكـاً راسخـاً لا يـروم عنـك زوالا؟

* * *

أولستَ الذي لوحـدة أرض الْـ ـعُرْبِ كنتَ المدافـع المِقْوالا
يـا طويـلَ النجاد والعمـر والعز غـدوت الصمصامـةَ العسّـالا
أنت تفصيـل كـلِّ مـدح تلَوْه في احتفال أجرى الورى إجمالا
فلهـذا أتـاك (فـاروق)[1] مصرٍ زائـراً خـاطبـاً لـودِّك حـالا
رابـطاً وحـدة بـأكـرم مَـلْكٍ ملَك الحظَّ والعلى والكمـالا
هو والله قد أجـاد وقد صـادف خـلًّا فـي مثـله يُتـغـالى
فـلذا زرتَـه وكـان حـرِيًّـا بـوداد يـراه مـنـك زلالا
زرتَه في الصقور من عُرْب نجدٍ مثّـل الحـزمُ شكْلَهـم أجبـالا

* * *

أنت يـا زائـر الكنـانـة هـدْيٌ جئتَهـا تستفيـد منـك خصـالا
أنت خيـر من كلّ وافِـد مصـر إذ تزجّي السحابَ منك الثقالا
زرتَ مصراً يوم الخميس بطرْزٍ مـدهش لم نَخَلْ لـه أمثـالا
يتلاقى بك المليـكُ ابتهـاجـاً في رصيف السـويس لا يتعالى
سـرتما بعـدها إلى أرض مصـر والقـطارُ السريـع يبدي اختيـالا
في هتاف من الجماهيـر فحواه احـتـرامٌ يـصـور استـقـبـالا
ودويّ مـن المـدافـع يـدْوي قـطرُ مصرٍ بـه يـريـك احتفـالا
وأزيزٍ من القـلاع قـلاعِ الجـوّ يـبـدي تـحـيـةً إجـلالا

---

(١) هو الملك فاروق: آخر من حكم مصر من أسرة محمد علي (١٣٣٨- ١٣٨٤ هـ).

ثم لما دخلتما خُلْدَ مصرٍ فلحظتمْ جمالها والظلالا
وهناك القُوّاد جاءوا وصفُّوا للسلام الجنودَ والأبطالا
وأقاموا مراسماً ورفيف الْعا لمين من فوق ذاك تعالى
قدموا عَرْبَةً بستٍّ خيول[1] كُشِفتْ، فصَّلتْ لنا الإجمالا
ذاك (عبد العزيز) فيها يمينا ثم ذاك (الفاروق) فيها شمالا
وانتهى السير بالمقرِّ بقصر الزعفران المُزادِ منك دلالا
وسمعت الحديث من شيخ الأزهر فيه وكنتَ تنعم بالا
ثم جمّعت ثم جئت على موكب عزّ لغيركمْ لن يُنالا
وتناولت للمليك (بعابدين) غداءاً منوّعاً أشكالا
وبدارِ الوزارة الخارجيةِ فيها العشاءُ حقًّا تحالى
وإليك المليكُ أهدى وساما هو للفخر قلّدوه رجالا

* * *

(لفؤادٍ) تضاف جامعة شيدت بناها، ترى بها حُلّالا
وبها مهرجان عز أقاموه لتكريمكمْ، فضاءَ كمالا
(ولعبّاسَ) في الملوك مكانٌ كنت فيه مع البَهَا نَزّالا
خير أنْسٍ في معرض نظموه لمليكي أنساً يبث الجمالا
لاشتراكِ العُرْبان بالجند فيه شاهرين السلاح والعسّالا

* * *

يا عريقَ الندى أراك بقصر الزّعفران اصطنعتَ ما كان هالا
من عشاءٍ أحللتَ فيه مليكَ القُطْر ما كان عن ثناً معطالا
ورأيتَ استعراضَهم جيش مصر ورأيت الأهرام فيها تعالى

---

(١) ست خيول: الصواب ستة. ونلاحظ أنه سكن الراء في عربة.

(لمحمدْ علي) ترى منشآتٍ   أنت قد زرتها فحازت وصالا
وكذا المتحف الزراعي وافيْتَ   إليه تواصلُ الأرسالا
ثم عاينت في الحدائق مرأى   حيواناتها تراها اكتمالا
ثم سافرت (للمحلّة) فعلاً   هي تلك (الكبرى)، تَرَى العمّالا
وترى نسجهمْ، وغَزْلاً لِصُوف   إن فيها للريح حقاً منالا
ثم زرت المستشفيات وشاهدتَ   لديها التنظيمَ والإخلالا
ثم جئتَ الاسكندرية أيضاً   ثغر مصر، عروسَها والجمالا
ونظرت المستشفيات ودوراً   في تجاراتها تنمّي المالا
ورأيت المعالم الكلَّ فيها   ثم قصر المصيف إذ يتلالا
ثم غادرتها وجئت لمصر   في سرور تضمُّ مَعْك الرجالا
ثم (للبورْتِ) ذلك (توفيق)   تحركتَ فائزاً رحّالا

* * *

حبذا رحلةٌ كتاريخ مجدٍ   لا تُريك الأسفارُ فيها مثالا
ليس كلُّ الملوك (عبدَ العزيز الفيصل)   الفرد نائلاً ما نالا

* * *

يا جمالَ السعود، أهلاً وسهلاً   لا ثناءَ إلا لك اليوم آلا
عُدْ بخير إلى بلادك والْحَظ   أمّة كلها تراها عيالا
أنت أصبحت خير راع لديها   وبك السعدُ للرعية والى
مثل هذا يُفرِّح الروحَ طبعاً   (هكذا، هكذا، وإلا فلا، لا)

* * *

كلُّ آلِ السعود قوم عظام   لا يحسون في المعالي كلالا
مارَسوهمْ فمارسُوا أبصرَ الناس   بصبر يزيح عنهم سلالا
كل فرد تراه منهمْ كبيراً   وتراه إلى العلى ميّالا

وَرِثُوا صولة الأسود ونظراتِ   الصقور، تخالُهمْ أشبالا
خُلِقوا للورى ملوكاً وصيغوا   من عَلاءٍ يسيِّر الأمثالا
آل عبد العزيز ليس يضاهَوْن   كمالاً ورفعةً وجمالا
إن أسنى نجابة في بنيه   وبحقٍّ غدَوْا له أنجالا
فسألتُ الإلّه طولَ بقاء   لأبيهمْ بصحةٍ تتوالى
ظفَراً في الملوك ليس يجارَى   ما استطاب الأنام منه أطالا

* * *

يا مليك البيانِ والناس والرأي   تنعّمْ بحالة لن تُزالا
أنا وفدٌ من طابةٍ جئتُ أسعى   ساقني الشوقُ نحوك استعجالا
فرِحاً بالقدوم، أحظَى بتقديم   تهانٍ، أخصُّكمْ إجلالا
نائباً في الحضور عن دار درس[1]   نميت للعلوم تدعو ابتهالا
وتلاقي البَهَا بوجهك يا من   ترك العزَّ عندنا مختالا
كلُّ فرد بها يهنّي ابتهاجا   ولخيرِ الدعا يُرَى قوّالا
إن عينا تراك تكسب فخراً   إذ رأت مُسْعِداً يطول الرجالا
فبحقٍّ أقول في كل ناد: أثبت المجد في علاك وآلى

* * *

(١) هي مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة.

وقال يهنئه بمضي خمسين سنة على دخوله الرياض في يوم الاحتفال الخمسيني الذهبي في ٢/١٠/١٣٦٩هـ:

يا أيها الملك المهيب الأوحد ... أبقيتَ مجداً للعروبة يخلد
فاحمَدْ إلٰهك دائماً إذ نلت ما ... ترجوه، وانعَمْ إن شكرك أوكد
ولتحمد المولى الرعيةُ إنها ... نالت بحمدك كلَّ شيء يُسعد
إنا لنرجو أن تعيش مضاعفاً ... لك طول عمر في البرية يحمد
كم ضمن خمسين تعدّ قلائداً ... وفرائداً، ومحامداً، لا تنفَد
بك يرتقي الإحسانُ أوْجَ العزِّ في ... تاريخ فخرٍ عرشُه يتأبّد
إن المكارم لو جزَتْك بموقف ... جعلت ثناءَ الكون عندك يُنْشد
خمسون عاماً أورثتك من العلى ... ما شئت، ما ظلت لغيرك تسند
أضحى الرياضُ بها المحسَّدَ في الورى ... ما كل عزٍّ في البرايا يُحسد
من شك فيك بأن مجدك مفرد ... فليأتنا بمثال مجدك يُفرَد
شهم تذل له العظائم في الملا ... يعطيك ما يرضيك لا يتردد

* * *

إني لأشهد أن بيتك في الورى ... للملك أهل، وهو قِدْماً مسعد
ولآلك المجدُ المؤثَّل والعلى ... لكنْ مثالُك فيهمُ لا يوجد
ولكلِّ فرد منهمُ أحدوثة ... في المجد، منفردٌ بها يتمجّد
لكن تجمَّع ما تفرق فيهمُ ... لك يا طويلَ العمر حين يعدّد
فلك السلامة يا عصاميَّ العلى ... فالكلّ أنت، وفخرهمْ بك ينجد
آل السعود، وتلك شهرة سعدكمْ ... سلطانها بالجد فيك يجدَّد

* * *

أأبا العجائب والغرائب هل ترى ... كفؤاً لمجدك ثانياً، أو تشهد؟

أضحت بك الدنيا تتيه على الورى من بعد ما كانت بغيرك تُجْهَد
أمّنتها مُذْ سُسْتها بعدالة إن المهذب للمكارم يرشد

* * *

يا أيها الظفر الذي سارت به في ربعنا الأمثال، ليس يفنّد
إن الإشارة منك أعظم جحفل يردي العدا، ولهم بذاك تبدُّد
فإذا عزمت فقد مضيت وطالما أحرزت ملكاً في البسيطة يبعُد
أرض العروبة كلها بك تنتمي ما إن لها ظفر سواك يمهّد
من كل ما نال الفتى قد نلته فلك الهنا طول المدى يا أمجد

* * *

يا جاعل التوحيد نصْب العين في حركاته وسكونه يتقصّد
أحرِزْ رضا الرحمن إنك آخذ بالحزم، فالدنيا لمثلك تُنْشد
من كان بالشرع الشريف مسيره كل الأماني عنده تتورد
لك من (سعودٍ) كلُّ سعدٍ سائر ولـ(فيصل) سيفُ العلى لا يغمد
إنا نرى المنصور (منصور) الهدى أسَداً تظل الأُسْد منه تُرعد
ولكل فرد من بنيك مزية في المجد يعرفها الحسود فيكمد
كالعقد في جيد الزمان، بهاؤه وصفاؤه وضياؤه يتنضد

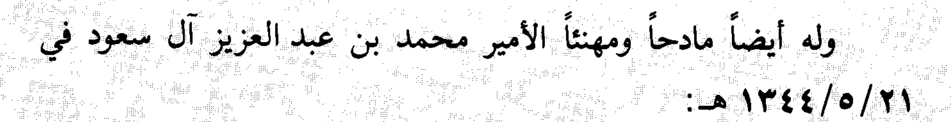
* * *

أبديتَ يا عبد العزيز روائعاً وبدائعاً ظلَّت برأيك توقد
والأصل نيتك الكريمة إنها أُسُّ المفاخر حسنها لك يشهد
هي نخبة التاريخ إلا أنها كيتيمة الدر الذي يُتقلَّد
بيّضت صُحْفَ الدهر فهي كواكب في أفق مجدك دائماً لك تُسْرد
فإليك يا مَلِك الزمان خريدةً مدنيّةً تأتي إليك تمجّد
وتخص ذاتَك بالدعاء لكي تُرَى أبداً وأنت بما تروم مؤيَّد

ولـك الحيـاة بصحـة وسـلامـة   لتـرى بآلـك ما تـريـد وتقصـد
آلُ السعــود حكـومــةٌ مسعـودة   شِيدتْ على أسس البقاء تمـدّد
بـالأمن والعدل الصـراح مقـامـة   وبكــل شهـم للصـواب يسـدّد
إنـا لنـرجـو أن يـطول بقـاؤهـا   في كـل عـام مجـدُهـا يتجـدّد

* * *

- ١١ -


وله أيضاً مادحاً ومهنئاً الأمير محمد بن عبد العزيز آل سعود في ١٣٤٤/٥/٢١ هـ:

الحمد لله الذي هو أول ... ثم الصلاة على النبيّ أكمِّل

(أمحمد) أهلاً فسعدُك مقبل ... واحكُمْ فحظك بالسعود موكَّل

وأطِبْ بطابة بعد فتح حصونها ... نفساً، وعدلُك حصنُها والمعقل

لو لم تكن من أسرة دانت لها ... كل القبائل، ما رجاك مؤمِّل

أوَ لستَ ممّن إن يقولوا يفعلوا ... أو عاهدوا وفَّوْا، وإن والَوْا ولُوا؟ . .

أوَ لستَ من عبد العزيز إمامِنا ... فلذا تهون به الخطوب وتسهل؟ . .

أوَ لستَ من أبناء فيصل فاصلاً ... بسنانه وبيانه ما يشكل؟ . .

أمريِّضَ الجيش الحرون بجِدِّه ... يَهْناك ملْكاً لا يزال يؤثِّل

ولّت ليالي النحس منذ بدا لها ... سعد السعود، ومن لذلك يجهل؟ . .

يا من غدا غيثاً لغَوْثِ رعيّةٍ ... يستاقه الدين المبين فيهطل

يا عارضاً، من عارض لعداته ... بصواعق من وبل حزمك تنزل

حسمَتْ لنا داءَ المطامع كلِّها ... مِنْ آملٍ أن لا يزال يطوِّل

حسمَتْ لنا داءَ الفساد وقطَّعتْ ... للغادرين أناملاً تتختَّل

ومؤمل أن يسخط السكان في ... إرضائه عن سطو بأسك يذهل

ويريد يمحق ما حواه طريفُنا ... وتليدنا، ظلماً يقول ويفعل

حتى يكمل هلكنا لحياته ... ويعيش فرداً، والمنازل تهمل

بث الزعانف في البلاد تعمداً ... كي يستذل له الأصيل الأفضل

ما راقب الله الحكيم بسلبنا ... كَلّا، ولا استحيا، ولا هو يعقل

أما الأرامل واليتامى ويْلَه ... فهو الشريك لما لهم يستحصل

كم قد غدا سدًّا لكل كرامة ... تأتي المدينة والقلوب تقلقل! . .

ولكَمْ فَرَى لما افترى، الأرواح في | إغفال من يحنو لنا فينوِّل!..
ولكَمْ كبا في القبو ظلماً ماجدُ!.. | ولَكَمْ سطا فعلاً بضربٍ يقتُل!..
ولكَمْ أثار بخبثه من فتنة | بين الأهالي نارُها تُستَشْعَل!..
لا تغترِرْ بسواه من رؤسائهم | إن الثعالب رَوْغُها لا يُجْهل
كم فيهمُ من ناقص كالسوس في | صُوف الثياب منافقٍ يستسهل!..
متمرِّنٍ في حَوْك كلّ رذيلة | كذباً وزوراً لا يتوب فيعدل
لولا تداركَنا الإله بلُطْفه | لتهدَّم الأعلى وطمّ الأسفل
لم يكفهم ما أعضلوا بفعالهم | حتى سعوا في فعل ما هو أعضل
يستنجدونا بعدما عمِلوا بنا | يا ليتنا في نفسنا نتجمّل
كم قد بثثنا نجتدي فضل الورى | من يطلب المُكْدي لما قد يأكل؟
الحكم أشوس لا يلين لعجًز | طبْعُ السياسة عن رضاهم ينكل
والظلم أجدر أن تُخرَّب داره | والعدل أجدر بالعمار وأمثل
والناس بالإحسان ينتظمون في | سلك الإطاعة، والشريعةُ أوّل
من لاحظ التقوى بعين مهابة | ظلت له نُزُلُ العلى تتأهل
ومنْ اقتفى سننَ الشريعة عاش في | عزٍّ يطول به الزمان ويقبل
والسعد كل السعد منظر عادلٍ | أخبارُهُ في كل قطر تجمل

* * *

أميرنا المحبوبَ مدحُك واجب | فغياثُك الضعفاء لا يستسهل
لما رأيتُ الناس في حلل الهنا | يتسابقون سعيتُ نحوك أمْثُل
كي أُزهِر التبريكَ في إبانه | أنت الربيع وعن نداه يُسأل
فإليك من حرّ المديح خريدةً | حسناء تبدو بالهناء وترفل
وتبث شكوى ظالمين هوَتْ بهم | أفعالُهم في هوّة تستنزل
ولك السلامة يا طويلَ العمرِ ما | دار الزمان بكل حظ يَكمُل

* * *

وقال مادحاً سمو الأمير محمد بن عبد العزيز آل سعود:

سرُّ الإمارة فوق وجهك واضح وعليك من نور السعود ملامح
منك المدينة تزدهي بإمارة وتقام فيها للأمير مدائح
ولأنت منقذُها القديمُ فكيف لا تبدي الثناء وأنت فيها الفاتح
أنا كنتُ فيها أوّلَ المدّاح مُذ وافيتَها، ولك الأنام تصافح
إن أنس لا أنسى لباس عباءة أعطيتني، وأنا بذلك فارح
يا حبذا هي عندما أعقبتها بوظيفة، إني بذاك لرابح
نفسي تقدِّر كلَّ فعل طيب كلي لمدحك يا أمير جوانح
لا أُنكِر الشرفَ الذي أوليتني وخطابك الدرُّ البهيُّ يسامح
مِنْ عهد ذاك اليوم حتى يومنا وأنا بشكرك في البلاد أصارح
دانت لك الأرواح بالألطاف من حسن القبول إذا انبرى لك رائح
نضحَ الثناءُ عليك أطيبَ عَرْفه ولسانُ مدحي في الأنام النافح
مَنْ ذا يقاس بمجدكمْ وعلاكمُ وبكم تروّت في السماح أباطح؟
لكمُ العلوُّ على السماك مكانة ولكُمْ على حكم الأنام مفاتح
إن الملوك لدى البسيطة كلّها تدري بأن الفضل منكم واضح
مَنْ ذا يضارعكمْ ويدرك شأوكمْ ولديكمُ عند الخطوب مصابح
دانت لِعدلكمُ البلادُ وأخصبت أرجاؤها، شهدت بذاك لوائح

* * *

وقال يهنىء سمو الأمير سعود، حين تعيينه وليّاً للعهد:

براحة المُلْك صافحْ راحةَ الهممِ وافخَرْ بنفسك في الملاّك والأمم
فالعُرْبُ في الناس إن عُدّت مآثرُهمْ مثلُ الكواكب في داج من الظّلم
وأنت فيهمْ كبدر التِّم منزلة سعد السعود، فعش في السعد واحتكم
والحظُّ أوفر من كوني أقيم له أدلّةً مذ غدا ناراً على علَم
لا المجد ينكر منكم في ضمائرنا ولا لسانُ العلى فيكمْ بمنعجم
ألم تكن نسخةً من عاهلٍ ظَفِرٍ مؤيّد بالهدى والعز والكرم
جَدٌّ سعودٌ، وجَدٌّ في الحظوظ له في الحزم والعزم جِدٌّ نافذُ الكَلِم
لله أنت فقد أورثتَ مأثُرةً فخر الكرام، وحزت المجد من قِدَم
ومن تكن لأبي المُلاّك نسبته يظل أسعدَ مَنْ يمشي على قَدَم
(عبدِ العزيز) أعز الله دولته وصانه للمعالي ناشرَ العلَم
والكل يخطب منه الودّ: مِنْ مَلِك ومن وزير، ومن عالٍ ومنهضم
في سائر الكون ملحوظٌ بكل بَهاً إجلاله بثناء مطرب النَّغم
والنصرُ يُنْفِذ ما تبدي إرادتُه كأنه عنده شخص من الخدم
أنت ابن ذاك الذي آراؤه انتُضِيت سيوفَ مجدٍ لحسمِ الشك والتهم
فدُم سعودَ سعودٍ، وارْقَ في أفق من السعادة لم يُلمس، ولم يُرَم
نفوذ رأيك في صيد القلوب غدا بحكمة الملك ممتازاً لدى الأمم
لما غذيت بِدَرِّ العزّ، واتضحت فيك المخايل مثل السحب للديم
وأسفرت عن غيوث يضمحلُّ بها جدب الزمان، ويُشفَى كلُّ ذي ألم
نتاجها للمُوالي بهجة، نِعَمُ لكنها للمُناوي أنكأ النِّقم
وحزت أجمل وصف عند أرشد مَنْ بَزَّ الملوك بشأوٍ ظاهرِ العظم
وكنت مركز سرٍّ منه، بل ثقة بها تفوق الورى في كل مزدحم

وصرت راحته اليمنى تمدّ له ... عجائب الوصف، ملء الجود من شيم

أعطاك عهدَ ملايينٍ تقوّمها ... بالعدل والحلم والإحسان والنعم

تلك المكارم فالزمها مجمّلة ... بحلية الدين، ثم العلم والهمم

والله يعلم والأقوام أن لنا ... بكم أمانيّ لم ترخص، ولهم تُضَم

نرجو الإلّه بكم خيراً نؤمله ... فيكم، لأنكمُ من أعدل الأمم

وإن مُلككمُ بالشرع مندعم ... عيونكمْ عن مراقي المجد لم تنم

وأهل طابة من أوفى الورى أبداً ... في سائر الناس عند البحث في الذمم

وأنت يا ذا السُّمُو أدرى بشأنهمُ ... فانصت إلى الود منهم من فم لفم

والحظْ سرائرهمْ بالفكر مختبراً ... تظفرْ بودٍّ صريحِ الحب منتظم

إن كنت توليهمُ حبّاً فلا عجب ... فالفضل منكمْ إليكمْ في الأنام نُمي

رعَيْت فيهمْ وصايا فيهمُ وردت ... لكل ملتزم بالدين معتصم

* * *

آلَ السعود جزاكمْ كلَّ صالحة ... فضلُ الإله، فما يوفيكمُ كلمي

أحييتُم سنّة المختار فانتشرت، ... بها حويتم درارِي الحُكْم والحِكَم

حزتمْ بطاعة ربِّ العرش معرفةً ... قادتْ لكمْ حبَّ كل العُرْب والعجم

إن المفاخر أولاها وآخِرَها ... في ظل مَلْكٍ بنهج الدين ملتزم

والله ينصر مَنْ بالأمن جلّلنا ... وغادرَ الناس بالإحسان في نِعم

والله أظهر وسْطَ الكون دولته ... طويلةَ الباع في عزّ وفي كرم

فالله يحفظ أنجالاً له عُرِفوا ... بكل مفخرة قيلت بكل فم

كذا رجالاً له والجند ما تُليت: ... براحة الملك صافحْ راحةَ الهمم

* * *

- ١٤ -

وقال مهنئاً سمو ولي العهد المعظم الأمير سعود، وألقاها بين يديه بجدة، إذ كان أحد أعضاء الوفد المدني، ونشرتها جريدة المدينة في عددها ١٨ بتاريخ ١٣٥٦/٥/٢٨ هـ وكان سمو ولي العهد عائداً من أوروبا بعد حضوره حفل التتويج البريطاني:

مجد عظيم من مقاليَ أرفعُ ... منه تهيَّبتِ الجوانحُ أجمعُ
يا ابْنَ الكريم ابنِ الكرام ومَنْ لهمْ ... في كل مفخرة وعزٍّ موضع
نُهدي إليك من القلوب تحيةً ... في ضمنها كلُّ الكمال مجمَّع
مِنْ جيرة المختارِ أكرمِ جيرةٍ ... بعثَتْ وفوداً للتهاني تُسمع
نعطيك ما يرضيك من تقديرها ... لِمقامِ مجدك في البرية تخضع
طبْق (السديريِّ) الذي لولائكمْ ... سهِرَ الليالي فهْوَ شهمٌ أطوع
وكذا نهني ذا الأميرَ (محمداً) ... وهو الذي لكمال مجدك يشفع
هو في الحقيقة رأسنا وأميرنا ... وأميرُ طابةَ والذكيُّ الأصمع

* * *

أهلاً وسهلاً بالسماحة والعلى ... أهلاً وسهلاً. كلَّ حينٍ تنبع
وتبارك الله العليُّ فإنه ... أعطاك من صافي الحِجَى ما تصنع
مثّلتَ حر المجد في أوربّةٍ ... مثّلت مجدَ عروبةٍ لا تَهْلع
نظروا إليك فراعهمْ منك النُّهى، ... متنوع، في قصده متجمع
ورأوا أسرَّة جبهةٍ في طيِّها ... سرُّ المهابة والمجادةِ يسطع
العزمُ والحزم المسدّد برقُها ... بغرائب المعقول منها يلمع
نظروا إلى المطبوع من نور العلى ... سمعوا بلاغة يعرب إذ تُصقع
لفظ كأن الدرَّ منه يُجتَنى ... في موقف فيه المفوّه يخنع
وشهامة عربية نجديّة ... ببلاغة مُضريّة تتلفع

أنت الـذي إذ قلت فيهم كِلْمةً ... خضعوا وقالوا: ذا الخطيبُ المصْقع

مَلِكٌ كـأن الله صـوَّر شَخْصَـه ... رُكْنـاً لـدينِ الله لا يـتصـدّع

فهُـوَ المجدِّد والمـوحّـد والـذي ... نـال العلى، ففخـاره يتضـوّع

أبـداً يـريـك خـلائقـاً عـربيـةً ... مـطبوعـةً، والصدق منهـا يهمع

قـل للذي باراه يـرجو مجـده: ... أيمـاثل الـطبْعَ الكـريمَ تـطبُّـع؟

من أين مثلُ أبي الصقور أبي النُّهَى ... رجـل يظلّ الخصم منـه يُروَّع؟

من أين يـا تاجَ الملوك مبجَّـل ... نُلفيـه مثلك للشريعـة يَخضـع؟

من أين مثلُ أبي الملوك نرى الورى ... بالأمــن في أرض الهدى تتمتع؟

العـز في (عبد العـزيـز) مليكنـا ... أصــل يـظل على بنيـه يفـرِّع

إنّـا بـطيبـةَ يـا وليّ العهـد في ... فــرح عـظيم، مثلُه لا يشْفَـع

وتكـاد مَعْ سكّـانها بـك فرحـة ... شـوقاً تـطير إلى لقـائك تُسـرع

إن الجـزيــرة كلّهـا مســرورة ... بعثت تهـانيهـا لـذاتـك تُـرفـع

ومجـامر التبـريك فـاح عبيـرُهـا ... من كــلِّ أوْبٍ نَـدُّهــا يَتضـوّع

ويخصك الحَرَمانِ بالتِّرْحابِ في ... شَرَف القدوم وكلّهم لـك يهرع

فـاسلم دوامـاً للمكــارم والعلى ... بـدوام عمـر أبيـك ذاك الأفـرع

وعليـك مني ألف ألف تحيــة ... مـا ضاء بـدر أو أشاد سميـذع

* * *

وقال يهنئه أيضاً:

نور السعود على المدينة أشرقا فليسْمُ يوم بالرجاء تحقّقا
هذي السعادة خيّمت برحابنا فعْلاً، وزايلَنا العناءُ مع الشّقا
فليحظَ مَنْ كان السعودُ نزيله فبمثلِ هذا الفخرِ يَرْقَى مَنْ رقى

* * *

أوليَّ عهدِ العاهلِ الملك الذي بزَّ الملوك سماحةً وترفُّقا
وأتى بكل عجيبة وغريبةٍ من حسن رأي كان فيه الأسبقا
أهلاً فأنت السرّ، سرُّ أبيك يا مَنْ قد جمعْتَ صفاتِه والمنطقا
وحَكَيْتَه حتى بهيْبته التي هتكت حجاب الخوف حتى مزّقا
يا خائفاً من فقره وزمانه قل: يا سعود، تر الندى لك مغدقا
تر بهجة الدنيا لديك تصورت تر كلّ عود بالمكارم أورقا
تر كل مجد قد تجسم للورى يُدْعَى (سعوداً)، بالسعادة محدقا
شهم تتوَّج بالثنا بين المَلاَ وبكل حزم في الفحول تمنطقا
ما شئت من فضل وحسن شمائل كادت لدينا بهجة أن تنطقا
لو مثّل المجد المؤثل للورى في معرض أصبحت منه أعرقا

* * *

أمزوِّد الشعراءِ من أوصافه معنى المديح، وكيف يصبح مشرقا
لك منطق تدري البلاغة أنه شَهْدُ المسامعِ والعقول تذوُّقا
لك فطنة شقّت قلوبَ جميعنا فرأت بها فرحاً عليك تعلّقا
لك نظرة في كلِّ فرد عندها معنىً يفتّح ما نراه مُغلَقا
لك هيئة كالروح، أو كالبدر، أو كالشمس، أعطت للبسيطة رونقا

إن الكمـــال بقَضِّـــه وقضيضـــه أولاك من رتب المعـالي الأوفقا
فـتـعـلقـت آمـالُـنـا وقـلوبـنـا بعـد الإله بهـا،وطاب لنـا اللّقا
قصْدُ المدينةِ قد تحصّل عندها فعْـلاً، وكان فؤادهـا بك شيِّقـا
لِمَ لا تتيه على الورى طرباً بما أوليْتَها، والقرب منك تحققا؟..
فلتبتهـــج دُورُ المـدينـةِ كلّهـا بسحاب جودٍ بالندى قـد أبرقـا

* * *

آل السعـــود عصابــة ميمـونـة عانَوْا شَمُوس المجد حتى استرقفا
مـا فيهمُ إلا هِـزبـرٌ بـاسـلٌ كـلُّ الليوث بـرِقّـه لن تُعْتَقـا
كـالبـدر منـظره ولـو ألقيتَـه سهمـاً على كبد العـدوّ مُفوَّقا
ومؤهـل أبـداً لـكـل مـلمَّـة في كـل مكرمـة تـراه الأحْـذقا
هي حكمـة الباري دوامـاً فيهمُ قل للمحاكي مجدَهمْ: لن تلحقا
أفنت مفـاخرُهمْ سمـاحةَ حـاتم وأرتْـكَ هارونَ الـرشيـد مُخلَّقـا
قوم همُ حصن الشريعة في الملا إن كـان غيرهمُ بـذاك تَـزبْـرقـا
جنـدُ الإلـه فمـا يجاهـد منهمُ إلا لنشـر الـدين أو نشـر التقى
فجزاهمُ الخلّاق أفضلَ ما جزى عبداً، وطوِّل ملكهمْ طولَ البقا

* * *

يـا سـاعيـاً في رحلة شـرعيّـة أكـرِمْ بسعْيٍ للهدى لن يخفقـا
طبّقتَ معنى ما رُوِي بين الملا في مثـل ذاك مغـرِّبـاً ومشـرِّقـا
لُحْ زائراً بالأجر مسجدَ خيرِ مَنْ وطىء الثرى، والسَّبعَ فعْلاً قد رقى
ومؤدِّيـاً فيـه الصـلاة، وضعفُهـا ألفُ يـظل بهـا الثـوابُ محقّقـا
ثم السلام على النبيّ المصطفى والصـاحبين تحـوز ردّاً أصـدقـا
لِصفـاءِ نيتـك الكـريمـة طـائـرٌ بالسعد في كـل المجامـع حلَّقا
فيـك الكياسـةُ والسياسـة خلقـةً رُزِقـا النهـايـةَ بـالهـدوء تـأنّقـا

لك في المحافل لهجةٌ عطْريّة   نُشِرتْ كمسك للأنوف تفتّقا

* * *

أهل المدينة يا أميري كلّهمْ   بولائهمْ يسعَوْن نحوك سُبَّقا
يهدونك الشكرَ الجزيلَ لزَورةٍ   ميمونة فيها الرجاءُ تألّقا
إذ كنتَ بالعطف الشهير مُعيرهمْ   سمعاً، فهاك عبارةً لك تُنْتقى
أهلاً وسهلاً، إننا بسعودنا   نسمو على كل الأنام تحققا
هذا لسانُ ثنائهمْ في محفل   لم تُلْفِ قلباً فيه إلّا خافقا
نادٍ تموج به المهابةُ وهو في   مِرْط الأمان بكل عدل طوّقا
والله يبقي للبلاد أباكم   (عبد العزيز) مظفراً وموفقا
والبدء في مسك الختام أعيده: نور السعود على المدينة أشرقا

* * *

وقال يمدحه بقصيدة ألقاها بين يديه في الرياض:

شادٍ عجيبٌ في الأنام ينادي: آلَ السعود بقربكمْ إسعادي
هذا السعود، وذا (سعودٌ) فيكمُ فوليُّ عهدكمُ جمالُ النادي
هو شبلُ قسورةِ الجزيرة والذي أربى على الملّاك والآساد
هذا الذي حاز السعادة والرضا بلغ السّماك بمجده المزداد
وترى التواضع بالعلوّ مصاحباً فيه، يقرّبنا بكل وداد
الله أكبر تلك أشرف خصلة خصّتْ بكمْ يا نخبةَ الأمجاد
إن (الرياض) هي الرياض بمثلكمْ فالنشر منها عاطر الترداد
يا حبذا نفحُ الرياض فإنها منح تُزوّدنا بكل مراد
بل حبذا أرض (الرياض) لأنها قطع الجنان ومسكن العبّاد
بلد تمشّى العزُّ في أرجائه، نجديّةٌ، فاقت على الأنجاد
هي منشأ المُلّاك لا تلفي بها إلا سعيداً حفّ بالإسعاد
يروي السماحة كابراً عن كابر وبكل حُسنَى في البلاد ينادي
المُلْك أعرفُ أين يلقي رحلَه كالتبر يوضع في يدَيْ نقّاد
والشعر جوهره يزيد وضاءةً في موضع الإعزاز للإنشاد
والمدح أجدر أن يكون مُجَمَّلاً في موضع الإرهاب والإمداد
والفخر أجدر أن يطول مجاله في موضع الإصدار والإيراد
فلرغبةٍ وَرَدَ الوفود، وإنّهمْ لَكذاك قد صدروا بكل أياد
نظروا الجبال الراسيات رجاحةً وسماحة ونجابة الأولاد
إن المصابيح الذين تراهمُ همْ خيرة الدنيا بلا أنداد
كم فيهمُ عجبٌ يسيل مكارماً للأوليا، وصوارماً لأعاد
لو زيدتِ الدنيا بدنيا مثلها قمتم بها عدلاً مع الآباد

لـو تعقل الأفـلاكُ مبلغ مجدكمْ رَجمتْ أعـاديكمْ بكـل بـلاد
لا يعدم الإحسانُ منكمْ رُغّماً لأنـوفهمْ في محفـل الأشهـاد
فـالمجد بـالحساد دومـاً محدقٌ إن الصقـور كثيـرة الحسـاد
واللهَ أسأل أن يـوطّـد عـزّكمْ دومـاً على الأحقـاب كـالأطـواد

* * *

وقال يمدح جلالة الملك سعود ويهنئه، ولقد ألقاها نيابة عنه الأستاذ محمد سعيد دفتر دار[١] في الحفلة التي أقامها السيد حبيب محمود أحمد / في بستانه بسيد الشهداء في أوائل سنة **١٣٧٤** هـ:

طابت بمنظرك المناظرْ ... وغدا العقيق لديك عاطرْ
أهلاً وسهلاً بالمليك ... ابن المليك، ابن المفاخر
التارك المعروف والمألوف ... فينا، غير قاصر
راقَ الزمانُ بمقدمٍ ... (ضربت لنا فيه البشائر)
إن الخريف أخو الربيع ... فحين جئت بدا يكاثر
يسمو على كل الفصول ... بفخره أبداً مجاهر
والقصر قصرك لا الذي ... تَرْوي لنا عنه الدفاتر
قد كان قصرُ سعيدٍ ابن ... العاص لهجةَ كلِّ ذاكر[٢]
حتى تطلّع قصرك العالي ... يجاذب كلَّ شاعر
فسما وما قال امرؤ ... (من منهما زاه وزاهر)
أين البداعة فيهما ... (والفرق مثل الصبح ظاهر)
أو ما تراه مشرقاً، ... سَعْدُ السعود له مسامر
يبنيه من آل السعود ... سعودُنا، فالسعد حاضر
يا أيها الملك المعمِّر ... والمشمِّر والمثابر
في كل إصلاح يسير ... له التفوّق والمآثر

---

(١) الدفتر دار: من شعراء المدينة المجيدين في القرن الرابع عشر الهجري المنصرم، وممن كانوا على صلة وثيقة بشاعرنا البرّي، (١٣٢٢ - ١٣٩٢ هـ).

(٢) يشير الشاعر إلى بقايا قصر سعيد (أحد أمراء المدينة في عهد معاوية) التي كانت لا تزال ماثلة في عرصة وادي العقيق الكبرى، حين البدء في إقامة قصر جلالته.

بالمسجد النبويّ تشهد أنك الطَّبُّ المغامر
لم تثن عزمتك الشدائدُ والمكائدُ، والغوادر
فالمجد في هذا البِنَا يبدي الثناءَ لكل زائر
فز بالمكارم والمفاخر في الموارد والمصادر
إن الأوائل ما دَرَوْا ماذا توفّر للأواخر
دول تمشّت في الحجاز وما لها إلا النوادر
قد أهملوا أرض الحجاز فما لهم في الحق شاكر
أين العلوم وبثُّها في العرب ما بين العشائر؟
شادوا لنا في الخُسْر ما عرف الأصاغر والأكابر
أزْرَوْا بأسباب الديانة والصنائعِ والمحابر
وبلوهمُ بالفقر والفوضى وولّوا كلَّ جائر
كم فعلة قد أوقعوها فيهمُ شقت مرائر
حتى تولى إبن بجْدتِها أبوك الشهم ثائر
ذاك المقيم لمجدها ولرفْعها ـ فعْلاً ـ شعائر
بالشرع بالتوحيد بالتعليم أورثها البصائر
أصفَى سريرته فسار بسيرة شرحت سرائر
فالله ألبسه الذي أخفاه ما بين الضمائر

* * *

آلُ السعودِ سعود هذا الكون طرًا والعشائر
ماذا أقول وفعلكمْ مدح لكم بين الحواضر
كلّ يردد ذكْركمْ وهتافه ملء الحناجر
فاسمع طويلَ العمر ما جادت به هذي المشاعر
واعلمْ بأنك بيننا (طابت بمنظرك المناظر)

* * *

- ١٨ -

وقال مادحاً سمو الأمير منصور ـ وزير الدفاع / سنة ١٣٦٥ هـ:

الحظُّ عند ذوي النهى منصور ... لا سيما إن حازه (منصور)
شهم تجسَّم للشجاعة هيبة ... فكأنه في رأيه (المنصور)
والعز في (عبد العزيز) مرسّخ ... وعلى بنيه في العلى منظور
حظّ تلاشى كلُّ حظ عنده ... كالشمس يُمْحَق عندها الديجور
متمثلاً حزماً وعزماً شكله ... فالنطق منه دائماً تدبير

* * *

يا ابن المليك، وتلك أفخر دعوةٍ ... تُدْعَى بها، ومع الفخار وزير
إن الأسود الغُرَّ تنتج مثلها ... هل غيرها يُلفَى لهن زئير
حقٌّ على ابن الصقر أن يُلفَى له ... شبَهاً، وهل غيرُ الصقور صقور
ما فيكمُ إلا كَفِيٌّ(١) حامل ... راياتِ مجدٍ، فوزها مذكور
ولأنت أجرأ من هزبْرٍ خادرٍ، ... قلبُ العدوِّ بمثله مذعور
فلذاك صادفتَ الوزارةَ مركزاً ... منه بأصناف الرقيِّ تَمير

* * *

يا شاهراً سيفَ الدفاع لكَ الهنا ... وله المَضَا، إنّ الكفاءة نور
لم تَلْقَ هذا السيفَ إلاّ الكفُّ من ... هذي اليمين، فذا لتلك سمير
والشيء يحسن إذ يصادف أهله ... إن الوزارة بالقدير تنير
تقوى وتضعف بالمدير، فشأنها ... بوجود مثلك لو نظرت: كبير
من قال: إن أبي المليك، فإنه ... بتمام ما يرجو: الزمان يدور

(١) كفيّ: جمعها أكفياء.

نـظِّم ورتِّب جيش دولتـك التي ستـظل من سعد السعـود تسيـر
نـظِّم بكـل وسيلة جيش البقـا حتى يُعـرَّف للعـدا التـنكيـر
واعمـل فإنـك للمعـالي عـامـل إن العسيـر ـ إذا تجـدّ ـ يسيـر

* * *

آل السعود لكم كمالُ الحظِّ من دون الأنـام، وسعـدُكمْ مخبـور
ما في الملوك سواكمُ أهـلٌ لما وُلِّيتمُ، فيـكمْ نـمـا التـفكيـر
في البُعد أوْ في القُرْب كلٌّ يرتجي منكمْ فعـالاً بـالنجـاح تسيـر
والغربُ كالشرق المنير بـذكركمْ يَـدْوي، فـأنتم لـلأنـام بـدور
ولَمعشَرُ الإسلام يـرقب مجدكمْ وفعـالكم، ولـديكـمُ تسـويـر
إنّـا لنـرجـو أن تنـظم عسكـراً في الأرض، في جو السماء يطير
فتـطيـر أفئـدة العـدا من ذكـره فـالمجـد جيش فعلُه محـذور
يا ذا السموِّ لك المكانة في الورى مـن كـل قلب مـلؤه تقـديـر
أهـلاً وسهلاً بـالوزيـر المـرتقي أوج العُلَى، إن الكبيـر كبيـر
ولَـطابـةٌ تـرنـو لمثلك زائـراً بحلولـه كـلُّ السمـاح يـزور

* * *

وقال مهنئاً سمو الأمير طلال بن عبد العزيز آل سعود سنة ١٣٦٣ هـ:

نور السعود ونعمة الإقبال ظهَرَا لطابةَ في قدوم طلال
بسموِّكمْ بين المحافل عزةٌ تسمو بحسن تلطُّفٍ وكمال
كالشمس في كبد السماء بضوئها تعلو السهولَ وشامخَ الأجبال
الوجه نور الملك منه ساطع وبه يظلّ المجدُ في استفحال
إن المليك[1] أطال رَبِّيَ عُمْره قد أنجب الأبناء في الأجيال
هو ذاك قسورةُ الجزيرة، صقرها، أعطاه ربِّي فائق الأفضال
أشباله أشباهه بين الورى ونتائج الرئبال كالرئبال

* * *

أطَلالُ! . . ما أطلالُ طابة عندما قد زرتها إلا رسومُ جَمال
في كل دارٍ للتهاني فرحةٌ وبكل نادٍ حفلةُ استقبال

* * *

آلُ السعود سعودكم عمّ الورى فالكون لم يظفر لكم بمثال
عبد العزيز أبوكمُ بطل الدُّنَى ضُرِبت به الأمثالُ في الأبطال
والكلُّ منكمْ عِقْد مُلْكٍ رائع متشابه الأخلاق والأشكال
فاقبل تهاني طابةٍ من أهلها يا ابن الملوك وصاحبَ الإجلال
جاءتك يحملها الجِمالُ خريدةٌ في ثوب تهنئة ولُطْف دلال

---

(١) المراد المغفور له الملك عبد العزيز.

مدّت إليك يداً تقدِّمُ باقةً من شكرها منظومةً بلآل

بك في افتتاح العام جاءت فرحة شاعت بطابة، يا سعيدَ الفال

سبحان ربي، بدؤها كختامها: نور السعود ونعمة الإقبال

* * *

وقال مادحاً سمو الأمير فيصل النائب العام على الحجاز / في ١٣٥٥/٦/٢٧ هـ حين قدومه من تونس. ألقاها بين يديه بالطائف:

أبداً بذكرك في الوجود أُهَيْنِمُ وأظلّ عند ذوي النُّهى أترنَّمُ
ولئن أتيتك شاكراً أو مادحاً فلأنت موجِبُه، وأنت الأكرم
أولست أنك منقذي من عسرة ومُساعدي، وبك المزايا تعظم
ساعدتني وأنا الغريب، وقدتني بحبائل الإحسان، وهي تَكرُّم
وعلمت أني من سلالة مخلص لودادكمْ، من جودكم لا يُحْرَمُ
فأعرتني النظر الذي أعطيته فلذا جعلتُ بسعدكمْ أتقدَّم

* * *

يا ابن الذي ملك الزمانَ بعدله في الشرق والغرب: المديحُ يُترجم
والعزّ في (عبد العزيز) مليكنا أصلٌ تُسَرُّ به النفوسُ وتَبْسم
قد كنتَ فيصلهَ يسلّك للعدا فتردّ عادية الردى إذ تَدْهم
وجُعِلْتَ نائبه فصرتَ أميرنا متجملاً بخلائقٍ لا تُكْلَم
الحلم والخلُق الكريم وشاحه والعلم غايتُه وفيه يُسهم

* * *

آل السعود ملكتُمُ بشمائلٍ ومحاسنٍ في غيركمْ لا تُعْلم
الصدق، وهو مزية لم يَحْوها إلا عريق، في المجادة أقْدَم
والدين بحث، لا يشوب صفاءه بِدَعٌ تشين بهاءه أو تُعدم
أما الشجاعة والسماحة والنَّدى فلغيركمْ في عصرنا لا تُحْكَم
من ذا يزاحم مجدكمْ ورقيَّكمْ وعلاكمُ فوق السماك مخيِّم

* * *

يا حاميَ الحرمين دمت مملَّكاً وأدامك الربُّ الكريم الأعظم
ما قال في مسك الختام محبُّكمْ: أبداً بذكرك في الوجود أهيْمِ

* * *

وقال يمدحه ويهنئه بوصل أخويه: سعود ومحمد، وألقاها بين يديه في جدة سنة ١٣٥٦ هـ:

بسموّ صنويك الهنا يتجدَّد بسناهما، وتظل عندك أسْعُدُ
بـ(سعودَ) قد وافى السعودُ مكمّلاً بقدومه الميمون جاء يؤكد
ويزيدنا فرحاً وسعداً مقبلاً لا سيما أن كان مَعْهُ (محمد)

* * *

يا نائبا لجلالة الملك الذي ما مثلُه في الكون طرًّا يوجد
لجلالة الملك المعظم خصلةٌ لم يلقها في العالمين موحِّد
حب الديانة وهي أشرف خصلةٍ سارت بذكراها العوالم تُنشد
يا آمر الحرمين، يا رجُلَ النّهى يا فيصلا للحق، بل يا أوحد
أيامُ سعدٍ في البلاد زواهر ولها على كل العصور تأبُّد
لكن هذا اليوم فيها غُرَّةٌ زِينَتْ به، وهو الحميد الأحمد
بِلِقَا اللذين تطلَّعا بين المَلا بَدْرَين بُرجُهما بسعْدِك أسعد
فاهنأ بجمع الشمل إنهما بها من دوحة للمكرمات تولُّد

* * *

سكان طابة كلهم في فرحة قد أوفدونا للهناء نجدِّد
كيما نمثّل للشعور عواطفاً ومسرَّةً في روحهم تتأبّد
وخلوصهم لك بالمحبة في الورى بلسان حالٍ وفودهمْ لك يشهد
يرجون منك تعطفاً بل نظرةً تبقى لديهمْ حجةً تتخلد

* * *

واللهَ أسألُ أن يمدَّ بعمْرِ مَنْ كان الحجازُ بأمنه يتجدّد

ويـديم دولتـه ويحفظ مُلْكـه ويـزيده فـالخير فيـه أَزْيَـد
ويعمنـا منـه بـأوفـر نعمـةٍ بـرعـايـة في ظلهـا تتسنّـد
ونرى النَّدَى والعدلَ في أيامه مثلاً يَظلّ الظلم منه يحصد
إنـا لنرجـو منـك فـوق ظنوننـا عـطفاً، وأنت مـوفَّق ومسدَّد
تكفي الأحاديثُ الشريفةُ كثرةً في فضلها، ولديك منها (المسند)

* * *

إنّـا نبلّغـك السـلام تـودُّداً عن أهـل طابةَ، والسلامُ تـودُّد
وكذاك خادمك (السديْري) إنه بالصدق والإخلاص فيكم مُفرَد
نعم الفتى سهل الخلائق، حازم من فكـره كل الأمـور تسدَّد
هـو نعمـةٌ منكمْ تعمُّ لـطابـةٍ ولكمْ بذاك الشكرُ حقاً يقصد
فاقبل تحاياهمْ، فختْم المسْك أن تبقَى لنا دومـاً، ومثلك يُحمـد

* * *

وقال يمدحه، وألقاها بين يديه في الرياض:

أهوى الحجاز ومن يكون أميرَهُ ... وأرى فؤادي بالوداد أسيرَهُ
يا برقُ طالِعْ مطلعَ الحرمين في ... عهْدِ العِهادِ[1] معاوداً تكريره
واسْقِ الأباطحَ والحجونَ وطابةً ... وارْوِ العقيق، قليلَه وكثيره
وطني العزيز رقَى لأعظمِ غايةٍ ... في المجد، مُذْ ظلَّ السعودُ أميره
وبفيصلٍ فُصِلت مفاصلُ خوفه ... عمّ الأمانُ صغيره وكبيره
وأرى التدرج للمعالي يرتقي ... أوْجاً يقيم المجد فيه سريره

* * *

يا نائب الملك المعظم والذي ... رضي السماحُ بأن يكون نصيره
يا كاسي الحرمين ثوبَ تمتُّعٍ ... بالحلم، مُذْ جعلَ الحنوَّ سميره
العطف منك هو الذي بتلطُّفٍ ... غرَسَ الوداد، فكنتَ أنتَ مثيره
تدبيرُ أمرِ القلب شيءٌ معسر ... إني رأيتك مالكاً تدبيره
أمرٌ تُحِسّ به القلوب جميعُها ... فالطبع من سِرِّي أراك سريره
أطريتُ حبَّك لا على مقدارِ ما ... يجد الفؤاد فلا ترى تقصيره
ولو أنّني أُعطِيتُ من دهري المنَى ... صيَّرت مدحك في الورى تفكيره

* * *

إبنَ السيوف الفيصلية والذي ... أمسى الأنامُ مع الزمان نصيره
آل السعود لكم قريضي كله ... إني لأرضى أن أرى تقديره
لأكون دوماً في النوادي شاكراً ... وتُمكّنوا من فكرتي تحبيره

* * *

(١) العهاد: مطر أول السنة.

رجُلَ الحجاز ولا مجازَ أصِخْ إلى   مدح يريك من الصفاء ضميره
وينمُّ عن صافي الوفاء لمجدكمْ   يُهدي إلى الآفاق منه عبيره
حتى يكون هو الختامَ مبرِّراً   صدْقَ الولاَ أبداً يريك نثيره
ما قال في نادي السعود محبُّكمْ:   أهوى الحجاز ومن يكون أميره

* * *

وقال مادحاً سمو الأمير فيصل المعظم النائب العام لجلالة الملك آنذاك، ونشرتْها جريدة المدينة بعددها التاسع في ١٣٥٦/٣/٢٤ هـ:

سعْدُ الثناء بمثل مدحك يحصل ... إذ أنت في حلِّ المشاكل فيصل
من كان للمجد المؤثّل واصلاً ... بفعاله فلأنتَ فيه أوصل
وجهٌ عليه من البشاشة رونق ... وبشاشةُ الإقبال فيه تَمْثُل

* * *

نِعَمٌ من المولى تخضّب بالنّدى ... وتدوم، لكن عن عدوِّك تفصل
إن البديع إذا انبرى في مجمع ... مثل الربيع، يضوع منه الأفضل
يعطيك ما يرضيك من مجهوده ... والمجد يشرح والمدائح تحمل
بسمَ الزمانُ إليك إذ كنت الذي ... بلقائه كلُّ الأماني تحصل

* * *

لك من أبيك شمائلٌ منظورة ... هي منه أشبه، وهو منك الأمثل
ما راق لي في العين منظرُ أمجدٍ ... إلا وأنت لدى التحقّق أجمل
لك في الجلال وفي الكمال وفي الجما ... لِ، وفي الخصال إذا تعدّ الأكمل
كالبدر، أو كالشمس، أو كالبحر، أو ... كالسيف، ما طلب المحقّق يمثُل

* * *

أما الصباحة والسماحة والفصاحة ... والرجاحة، فهْيَ فيك تفصُّل
للطالبي سعْدِ الأمير بقربه ... شطر، وشطرٌ للعفاة مفضّل
منها معاملة الصديق لصدقه ... وكذاك منها للضيوف معوَّلُ
عندي له في القلب نور مودَّةٍ ... للدين فيه وللتمدن محمل

ظني لـديـه أن أكــون مجمَّـلاً ومكمَّــلاً بخصــائص لا تنقــل
منهـا مراعـاتي بضعف (مرتَّبي) كيـلا أُرى بــالاحتيــاج أكبَّــل

* * *

أسعى بمعرفة الأمير لدى الورى في كـل أرض جئتها لا أسـأل
لا هـمَّ لـي إلا إشــادةُ ذكْــره في كـل نـادٍ بـالـروائـع أقْبـل
أشـدو وأنشـد مـدحـه متمثّـلاً بـعـلائـه وبـجـوده أتـعـلَّل
مدحي لكمْ يا آلَ فيصلَ واجبٌ ومن السمـاح فرائضٌ لا تُهْمَـل
يا ابن الذي فرع الأنام جميعَهمْ والعـز في عبد العـزيـز مكمَّـل
فهو الكريم أبو الكرام ومن لـه في كـل منقبـة صفـاتٌ تَجْمُـل
يسعى لــدينِ الله ينشــر نــوره ويـظل في كبد الحسـود يُفصِّل
لله مـدحي يوم أنشـد قـائمـاً: سعْدُ الثناء بمثل مدحك يحصل

* * *

وقال مهنئاً وكيل أمير المدينة عبد الله السديري بقدومه من الرياض، وبتزويجه ابنيه: مساعد وعبد الرحمن في ١٣٦٤/١١/٢ هـ:

أقبِلْ بخيرٍ فأنت القصدُ والأمل ... وكل قلب به الأشواق تشتعل
لُحْ للمدينة كالشمس المنيرة في ... برج الكمالِ غدت بالسعد تشتمل
وطب بطابةَ نفساً إنها أبداً ... إليك تشتاق، بالأفراح تكتمل

* * *

يا عابدَ الله أنت الرأس كنت بها ... والكلُّ جسم لهذا الرأس يمتثل
بل أنت روح بها مشتاقةٌ شرفاً ... إلى الرقيِّ، لها في دركه سبل
إنَّ السديري أخا الإحسان. آسِرُنا، ... غيثٌ، بكلِّ الذي نهواه ينهطل
فالعدل والحِلْم مقرونان في جسد ... به تمثَّل للأبصار، والعملُ
وأسعدُ الناس من أرضتك سيرتُه ... بين الملا، زانها التفصيل والجُمَل
إن جئتُ أثني فإن الناس كلَّهمُ ... في طيبة بالثناء الحر قد مَثُلوا
فكلُّ فردٍ بها يوم اللقاء له ... قلب طروب، ونفس ملؤها جذَل
فلا ترى غيرَ وفّادٍ بتهنئة ... كلٌّ بصفْوِ الدعا لله يبتهل
بأن يديمك ركناً للحجَى أبداً ... وأنت للسعد والأفراح تقتبل

* * *

يا قادماً بالعلى والعزِّ دمت لنا ... أبا رحيماً به الخيراتُ تنهمل
ودمت في فرح تبقَى مآثره ... وعاش لَحْظُك بالأحباب يكتحل
في محفل بزواج ابنيك مزدهرٌ ... به تزيّنتِ (الحاراتُ) والسُّبل
هما هما فرقدا أفقٍ طلعْتَ به ... فأنت بدر النُّهى بالحمد متصل
بذا أهنيك في عِقْد كواكبه ... تضيء حسناً، وبالتبريك يكتمل

فالحَظْ بعين الرضا والود أفئـدةً   بحُلّة الحب والإخـلاص تشتمل
واسمع بها نغمةَ الأفراح قائلةً:   أهلاً وسهلاً بمن في كفه الأمل

* * *

وقال يمدحه أيضاً في ١٣٥٥/١١/٣ هـ:

أبـداً أوفِّيـك الثنـاء الأكمـلا ومُفصِّلاً إحسـان فعْلِك للمـلا
ما الحِلْمُ إلا في ثيابك شخصُه وكـذلـك الإنصـافُ لن يتحـوّلا
يا سعد من يسدي الجميلَ فإنه يمسي ويصبح بالـرضا متجمـلا
ريحـانـةٌ في كـل نـاد ذكـره فكـأنـه للنـاس ينشـر منـدَلا
إني وإنْ كنت القـريـبَ بـودّه لأعُـدُّ بُعْـدَ المـدح فيـه أفضـلا
ليسيرَ في الأقطار سير الشمس في كـلّ العـوالم مجمـلاً ومفصّـلا
ما شأنُ (عبدِ الله) إلا أن يُرَى متهـذبـاً متيـقـظاً متكـمـلا
دأب الذي اتخذ السهولة ديدنا دأب الذي اتخذ التأدب موئـلا
يعطيك من نور البشاشـة بسطةً وتـراه يـرفـل بـالمسـرَّة مقبـلا
ناهيك من كـرم الطبـاع فضيلة من لم يحزها في الملا لن يفضلا
تلك الخصال وتلك أوثق حجة تَلْقَى بها قلبَ الحسود مُقصَّلا
أيدي (السديْري) في الأنام طويلة لم تُلْفَ عند النقد فيها مَحْملا
للفهم فيهـا والـذكـاء مناظـرٌ يتسلّل الإمتـاعُ منهـا سلسـلا
ما الصمت منه غيرُ أبلغِ خطبةٍ فيهـا التفكّر كيف يمسي أعقـلا
وتـراه أبلغَ مـا تـراه نـاطقـاً وتـراه في الأحكـام عفًّا عـادلا
راعى طريقاً في الإمـارة أوحداً وهـو التـأني، عنـه لن يتحـولا

* * *

اسمَعْ سمعتَ غِنا البشائر دائماً بُلِّغتَ كلَّ القصد من رب العلى
فُقْتَ الأنـام بكل وصف كـامل فيحق لي أني أكـون مفضِّـلا

* * *

- ٢٦ -

وقال يهنئه في ١/١٠/١٣٥٥ هـ:

بسعْدِ مليك هـذا العصر نشـدو ونـطرب بـالمـديـح بكـل قيـل
ونـدعـو الله أن يبقيـه دومـاً لنصـرة دينـه في كـل جيـل
نـعَمْ ويـزيـد دولتـه رقيًّـا مدى الأعوام في عـرض وطول
أ (عبـدَ الله) أنت رئيس قـوم بهمْ وردَتْ وصيّـاتُ الـرسـول
وأسعـدك الزمـان فصرتَ فيهمْ أميـراً بـالمحبـة والقبـول
وكـلهمُ لسـانٌ فيـك رطـب سـريـع بـالثنـاء وبـالجميـل
وهـذا عيدُهمْ بلقـاك يـزهـو كما طرب الخليـل إلى الخليل
وحـظّك كـلَّ يـوم في طلوع وحظُّ عِـداك دومـاً في أفـول
فشكـراً للمليك بمـا حبانـا بشهمٍ في سيـاستـه أصيـل

* * *

وقال يهنئه بقدومه إلى المدينة أيضاً:

وجه المدينة بِشْره يتكلّم ... ويشير نحوك بالهنا ويسلّم
أأميرَ طابةَ طبتَ نفساً رائحاً ... أو غادياً، وبكل بشرى تَقْدم
آنستَها يا ذا المعالي إنها ... مشتاقة ترنو إليك وتبسم
لتزيل عنها وحشة البعد الذي ... عانته، إن البعد عنك يتيّم
لم تنس أخلاقاً تسيل مكارماً ... وحجىً على روض السماح يُهَينم
فالحِلْم منك سجيةٌ معروفة ... إن التمدنَ عنده يتجسم
رمز الأصالة والنجابة والبَها ... إن الأصالة بالطباع تترجم

* * *

أأبا العفاف رقَيْتَ أعلى سلَّمٍ ... مذ حزته، وعليك منه مَعْلَم
هو ذلك الشرف الذي أطنابُه ... فوق السِّماك مع المديح يخيِّم
وصف يجرّ لك الثناءَ طبيعةً ... ويكاد في كل البريّة يُعْلم
قالوا: السُّديْري. قلت: سِدْرة نعمةٍ ... غُرِسَتْ بطابة، كلّ حينٍ تُنْعم
هو نعمةٌ من عاهل العُرْبِ الذي ... ما زال يمنح في البلاد ويُنْعم
لجلالة (الملكِ المعظّم) حكمةٌ ... قامت لتدبير الشؤون تنظّم
تبغي العدالةَ والأمانةَ والنُّهَى ... فيها البلاد إلى العُلَى تتقدم
بالكفء من أبنائه ورجاله ... ممن بهمْ عِوَجُ الشرور يقوَّم
منهمْ بدورٌ للهدى ومصابحٌ ... تجلو الدجَى، وعلى الأعادي أسْهُم
فالله يبقيه ويبقي آلَهُ ... ورجالَه دوماً بحقٍّ تحكم
ما فاه بالترحيب فيكم منشد: ... وجه المدينة بِشْره يتكلّم

* * *

وقال أيضاً يهنئه بقدومه من الحج، وقد نشرتها جريدة المدينة بعددها (٤٨) في ١٣٥٧/١/٢٣ هـ:

أما السماحة فهي خُلْق أوحد | في شخصك الفرد البهِي يا أمجد
لك في الفعال مواقف مشهودة | أبداً لغيرك في الورى لا تُشهَد
أسلوب علمٍ غابَ عنه (أحنفٌ) | وجميلُ فعلٍ أنت فيه أوحد
يا آسراً بحبائه مَنْ حوله | وله إلى كل الأنام تودُّد
قد رُضتَ نفسك فاكتسبتَ محامداً | تاجاً على رأس الزمان ينضَّد
عرفوا (السديري) أنه رجل النُّهى | وبأن هاتيك المحاسنَ تشهد
أنعِمْ بطابةَ إنها الصّب الذي | بجمال وجهك شوقُها يتجدد
للحج غبتَ وتلك أفضلُ رحلةٍ | لكن لِبُعدِك وَجْدها يتوقّد
هيّجتها بالبُعد، بل عرَّفتها | أنْ لا سواك لها أميراً يُحمد
اليوم جاءت للّقاء وكلُّها | فرح يغنِّي بالرضا ويغرِّدُ
لتقابل الإسعاد محفوفاً به | أُنْس المسرة، وجْهُها متورد
دُمْ في أمان الله خير مبجَّل | في أرض طابةَ بالجميل تزوّد
يا أيها المحبوب في أبنائها | بك حكمُها دوماً يَزين ويَسْعد
يقضي الكمالُ بأن أزيدك منشداً: | أما السماحة فهي خُلْق أوحد

* * *

وطلب من سعادة الشيخ محمد سرور الصبان أمر إركاب سيارة للحج، مطرّزاً:

أبـداً بذكـرك يـا بَهَـا الأخـلاقِ — أشدُو لدى قومي، وكل رفـاقي
لك شيمة أم ديمة قد أمـطرت — لم ألق منهـا غير محض وفـاق
شهـد الزمان بها فأنت لدى الورى — شهم يـطيـر إلى النـدى ببـراق
يـا نـاظمـاً كـل القلوب محبّـة — يـرنو إليـك المجد في العشـاق
خُلِقت صفـاتُك للقلوب بـدائعاً — خَلَقَتْ بـديعَ الشعـر في الآفاق

* * *

ما كان شعْري غيرَ كأس سلافة — مُـزجت بتسنيم الثناء الـراقي
حمّلتُـه ظهـر البـريـد صبـابـة — حتى تـراه، وفكرتي لـك ساق
مـا أسكـر الألبـاب شيء مثله — في كـل معنى سـابِقُ السبّـاق
دُرٌّ تـزان عـقـودُه بـمـحـمّـد — دومـاً، ويسمـع نغمـة المشتـاق
سِرْ بي إلى البيت العتيق مولّداً — سبباً أسير بـه على الأحـداق
رَفِّه وخفّف بعض ثقلي حاججاً — واصرِف جموح الشوق عن إرهاقي
وتولَّ قطع هواجسي في سفرتي — وأزِحْ، ونفّس يا كريمُ، خناقي
رسَمَ الكمالُ عليك فسطاط الندَى — ومـلأتـه بـالـخيـر والأرزاق
صـوِّرْ لآمـالي رسـومَ مـطالب — صـارت بـأمـرك زينـةَ الأوراق
بلِّغ بهـا نفسي المقام وزمـزمـاً — ستكـون منّتكمْ عـلى الأعنـاق
أنـا ما حييتُ أسيرَ فضلك إنه — خلُقٌ خُصِصتَ بـه من الخـلّاق
نِعَمٌ حبـاك بهـا الإلـه وإنهـا — نِقَم على الأعـداء كـالأطـواق

* * *

(أمحمدُ) ما كـل حـج جمعـة — أحـظى بها في المـوقف التواق

لي نـظرة ما العـذر فيها سـائغ   لمحبّ مجدك بين جَمْع رفاقي
مـا كل وقت أنت واجـدُ مجتدٍ   مثلي على وجــل من الإخفـاق
ولقـد ذكـرتـك والـرفـاق تهيـؤوا   وتحـدثـوا بـالحـج بـاستغـراق
قد أوقروا قلبي اشتياقاً فهو في   قلق يـزيـد شجـاه في إرهـاقي
رضي الإلٰـه على وجـودك إنــه   رَوْحٌ لقلب الـوالـه المشـتـاق

* * *

وبعث بهذه القصيدة إلى الشيخ محمد سرور الصبان في ١٣٦١/١١/٢١ هـ:

أمحمد ولأنت أكرم من رَقَى ... في عصرنا، وبه المكارم تلهج
ما كان ضرك لو نظرتَ لسبعةٍ ... فمننتَ بالإركاب منك ليحجُجوا
وتعدّهم في ضمن من ترنو لهمْ ... فتراهمُ في ظل مجدك تُوِّجوا
أ (سرور) إنك والذي تعنو له ... كلُّ الأنام، لَماجدٌ ومفرِّج
والناسِ من قبلٍ ومن بعدٍ على ... آثار فضلك كلّهمْ قد عرّجوا
فاسمح فديتُك إنني بك واثق ... بعد الإله، وما لغيرك منهج
أنت المذلِّل للمصاعب كلِّها ... لا تلقني بالعذر، إني مُحْوج
واستوف مني كلَّ حين دعوةً ... تعليك إن شاء الكريم وتُبهج

* * *

فإذا قضيت فقد جريتَ على الذي ... عوَّدت نفسَك، والسماحةُ تنتج
ولو اعتذرتَ فقد علمت بأنه ... باب الوصول إلى رحابك مرتج
والظن كل الظن أنك فاعل ... نُعْمى تجرّ لك الثناءَ وتحجج

* * *

أنت الكريم ابن الكريم أبي الندى ... وجْهِ السرور، (سرورُ) ذاك المنتج
أشبهته كرماً ومجداً، إنه ... علَمٌ ضياءُ الصبحِ منه يُبْلج
تلك الوراثة منه أنت ورِثْتَها ... هل أنت عن تلك المآثرِ تَخْرج
فاسأل بني الدنيا جميعاً إنهمْ ... أدرى بما أنا في ثنائي ألْهَج
يا أيها الراقي بفضل جميلِه ... ضاقت وظنّي أنها بك تُفْرج

* * *

وقال مادحاً سعادة الشيخ حافظ وهبه، حينما كان مفوضاً للحكومة السعودية بألبانية سنة ١٣٤٥ هـ:

الحمد لله نورُ العلم قد ظهرا ... على البرية في ذا القطر قد سَفرا
ثم الصلاة على المختار سيّدنا ... ما ضاء في الكون بدر في الورى بدَرا
بهِمّة الفاضل الطحطاح أوحدهمْ ... (محمد) رأسهم ذاك الذي اشتهرا
(وهبي) الذي خصه المولى مضاعفة ... من المواهب حتى كلَّل البدرا
الطائر الصيت في الأقطار قاطبة ... نادى فأسمع حتى عمّم البشَرا
ألا هلمّوا وحيّوا الفضل إن له ... من السماحة ذاتاً لا تَرَى الكدرا
الخُبْرُ بالعين أبهى عند ذي ثقة ... من الذي أذنه تستنشق الخَبَرا
إن المراتب ما زادته منزلةً ... بلى به زيدت التجميلَ والغُررا
يا سالِمَ الصدْرِ إلا من شجَى هِمَمٍ ... أمسى يباهي علاها الشمسَ والقمرا
وخاليَ الفكرِ إلا من مخدّرةٍ ... بالعلم تستأسر الألباب والفكرا
لك السلامة إن الفضلَ أجمعه ... على لسانك بالإحسان قد قطَرا
تحوي يمينُك يُمْنا مازها قلمٌ ... بمثل قبضتها، بالقصد قد شعرا
فالنقلُ بالعقل مقرون يؤيِّده ... فِكْر يَحار ذوُو الأبصار إن ظهرا
والرأي خطٌّ عليه الحظّ منتسق ... والطرس ترْسُ يردُّ الخصمَ منقهرا
ومن دواتك تبيضُ المنَى أبداً ... لأنها تثمر الأغصانَ والزهرا
(ألبانيا) ابتهجي، ثم ارقصي طرباً ... بمثله، فهو سيل بالعلوم جرى
إن المعارف آلت: لا يكون لها ... زوج سواك، بصافي المجد قد فخرا

* * *

يا أيها الحَبْرُ، إنا وفْدُ مكرُمَة ... مِنْ أرض طابةَ، نقفو نحوك الأثرا

فالله يبقيك طول الدهر ملتجَأً   يزجي إليك غريبُ الدار، مفتقرا
كذا ويمنحك المقصود ما بقيت   آمال حرٍّ يسوق المدحَ معتذرا

* * *

وقال مادحاً أمين العاصمة بمكة، الشيخ عباس قطان، سنة ١٣٥٥ هـ:

الطِّيبُ فيك، ومنك حقّاً يُطلَق ... وسنا كمالِك في الملا يتألّق
نفحاتُ مدحك في الورى تستنشق ... ومكانُ مثلِك بالنجوم معلَّق
أنت الكريم ابن الكريم وفوقه ... نفس مهذبة ورأيٌ يُشرق
لا عيب فيك سوى انفرادك بالعلى ... ولديك في تنويع مجدك منطق
كلٌّ يحاول منك نفعاً ظاهراً ... وتكون أنفعَ ما تكون وتصدُق
لك في المكارم والمفاخر هيئة ... لا يستهان بها، وشكلٌ يعشق
ووراثة في الرأي قد أحرزتها ... من (يوسف)[1] ذاك الحكيم الأسبق
شيخ تجمعت القلوب لحبِّه ... وعليك منه في المحبة رونق
لا غرو أن تحوي علاه وفخره ... فالشبل من ذاك الهزبر محقق

* * *

يا آسري بجميله وصنيعه ... النطق من شكري لمجدك ضيِّق
أغرقتني بالبر، بل أفحمتني ... حتى خرستُ، وكنت قبلاً أنطق
فاقبل صبابةَ عاجز متقرِّب ... متشوش، مما به متقلق
وختام مسكي أن أراك مدى المدى ... أبداً بكل سلامة تترونق

* * *

(١) يوسف: هو والد الممدوح.

وقال مادحاً رئيس القضاة الشيخ عبد الله آل بليهد / سنة ١٣٤٥ هـ:

أبا الفضل عبد الله في القول والفعل ... عميد مهمات تجمَّل بالعقل
علمتُك مجبولاً على الجود والندى ... وقد كنتَ محسوداً على عدم المثل
أصِخْ تستمع مني قريضاً تنظَّمتْ ... دراريه في أفْقٍ من المنطق الجزل
تجرّ على هام المجرّة ذيلَها ... تُهنيك بالإقبال في دولة العدل
ولما رأيت الناس خصُّوك بالثنا ... لك السعد، حكّمت المديح بلا فصل
وقلت: لأمر مّا تلقبت في الورى ... بفضل لفضل، ثم فضل على فضل
تعرّفتَ في الدنيا بذاك فحققت ... فعالُك أن الوصف من كرم الأصل
ستشهد عندي من نداك صنائعٌ ... تقول: ألا لله من كرم الفضل
فتى لا يرى المعروف عفواً، ولا الرضا ... به مفخر يرضاه من شيم النبل
فتى الجدِّ لا الدعوى تهجِّن وصفه ... وما هو عن درْك المهمّ بمعتلّ
ولو جاز تشبيه البرامكة الأُلَى ... بجزء نداه أدركوا الشرف المُعْلي
أرى الشعر يزهو في علاك كأنه ... بمقدار ما خوَّلته، قدره يُغلي
فدونك من ثوب مجدٍ مدى المدى ... يجلِّلك الإحسان في الناس والأهل
وأوصافه الغُرّ الكريمة طرزه ... على وَفْق ما تهوي من الزيِّ والشكل
ودُمْ في تهان لا يزال نعيمُها ... وسعْدِ سعودٍ من محاسنه تملي
وإني رأيت الشكر يزهو بروضه ... ولا سيما إن جاده رائق الوَبْل

* * *

- ٣٤ -

وقال مادحاً محمد آل بليهد، ابن رئيس القضاة، بمطرز:

مليكَ الشعر أنت فريدُ عصرك ... ودُرِّي في القريض دُوَيْن دُرِّك
حكمت على المباني والمعاني ... بأسلوب يبيِّن كُنْه فخرك
مهيأة لك الألفاظ حتى ... تكاد تسابق المعنى بفكرك
دَرارٍ فوق أفق من طروس ... زواهر تستنير ببدر ذكرك

* * *

آدبَ من رأينا، لا تدَعْنا ... حيارى من قريضك بل بسحرك
لك القلم المبرْهِن عن علاء ... ترفَّع في الورى عن غير قدرك
بلغتَ من البلاغة في محل ... يريك النجم يخطر تحت شِعْرك
لعلّك رائمٌ لعلاك مثْلاً ... رويدك فالنُّهى في قيد أمرك
يمين للبيان يمين يُمْن ... تسرُّك إذ تنضّد درَّ سحرك
هي الحسنات لا يذكي سناها ... سوى فكر كفكرك لا لغيرك
دع الدنيا منظمة بتاج ... بشعرك في البرايا أو بنثرك

* * *

وقال مهنئاً عبد الله بن حسن آل الشيخ بعيد الفطر سنة ١٣٥٥ هـ:

عيِّد بخير فالعلى بك يفرح ... ويظل في روض المفاخر يمرح
فلأنت عِيدُ العيد ما دام الهدى ... بضيا كمالك وَرْدُه يتفتح
يا غايةَ الآمال إرشاداً ويا ... كهفاً تظل له المعالي تجنح
من معشر وقف السماح ببابهمْ ... ومشى على آثارهم يستسمح
وأفادهم ربُّ البرايا فطنة ... في الدين نحن بنورها نستصبح
ما كان (آلُ الشيخ) إلا مُصلحاً ... يمضي فيأتي بعد ذلك مصلح
هذاك (عبدُ الله) أصبح فيهمُ ... رأسَ القضاة، وللرعية ينصح
شيخ إذا بزغت أسِرَّة وجهه ... للناظرين رأيتَ ديناً ينضح
كالشمس إلا أن فيه مزيةً ... من حيث إن القرب منه أصلح
أأحيدُ عنك وعندك الفضلُ الذي ... هو باهرٌ، والمدح فيك مصحح
هذي المدائح عن كمالك أصلها ... والفرع عن أصلٍ له يستوضح
والشكر مني ما حييتُ لفضلكمْ ... ومع القصور أنا المبين المفصح

* * *

وقال مهنئاً سماحة رئيس القضاة الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ، بقدومه المدينة وألقاها بين يديه، ونشرتها جريدة المدينة في عددها ٢٤ بتاريخ ١٣٥٦/٧/١١ هـ:

الرأي فيك مدى الزمان جميل ... ومقام فضلك في الأنام جليل
وقلوبنا لك بالمسرة في اللقا ... تُبْدي الهناء لنفسها فتقول
أهلاً وسهلاً بالفضائل كلِّها ... شيخ له التأهيل والتسهيل
فلأنت أورع من رأينا في القضا ... ولأنت شيخ المسلمين، كفيل
بالسعد جئتَ وأنت أفضل قادم ... وعليك من نور الهدى إكليل
إن التواضع في الأفاضل رفعة ... هو للثناء ـ إذا نظرت ـ سبيل
أضحى لك الأجران في استصحابه ... وإليه أفكار الأنام تميل
وإذا أراد الله إعلاء امرىء ... أعطاه رشداً لا يليه أفول
فترى الهدى فيه يكون غريزة ... طبعاً، ليهرب منهما التضليل
فالدين مصحوب بعفتك التي ... وضحت، وبان على هداك دليل
صحّتْ سريرتك التي قد أثّرت ... في العالمين فشأنها مقبول
كلٌّ يقول بأن هذا صالح ... والسعد قول في الأنام يجول
كلٌّ يشير إليك في إعجابه ... متمدّحاً، والمدح فيك أصيل
كلٌّ يوفّيك الثناء مصدِّقاً ... ومصدَّقاً، ما شأنه تبديل
كلٌّ يعيرك سمعَه في حكمة ... أسديتها، وإليك هو يحيل
طرَباً لألفاظ الهدى ومحبة ... فلذاك جاء بضمنها التبجيل
إن المدينة أيها المفضال في ... فرح لأنك شيخنا المأمول
فارفل دواماً في سماحتك التي ... منها الفضائل في الأنام تسيل
واسلم بأوفر نعمة وأجلِّها ... فالرأي فيك مدى الزمان جليل

- ٣٧ -

وقال مادحاً الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ رئيس القضاة:

بالدين أنت وبالتوحيد معروف ... وبالهدى والعلى في الناس موصوف
فكل خير إليك اليوم مقتبل ... والشر عنك مدى الأزمان مصروف
وحّدت طبق الذي قد جاء، لا نزق ... يُرَى لديك، وما للحق تزييف
حصرتَ همَّك في التوحيد تنشره ... فابشر فإنك بالتوفيق محفوف
خدمت ربك في قول وفي عمل ... فشأنك اليوم تعليم وتأليف
فالسر منك لباس أنت هيكله ... فاسْعَد فهذا عليك اليوم تشريف
ما خضت في شُبَه التشبيه في جدل ... ولم يساورك تعطيل وتكييف
ولست أنت على التأويل مرتكزاً ... مثل المشكك، بالأوهام محروف
وأنت غرة (آل الشيخ) أجمعُهمْ ... والكلّ منهم بصافي المجد معروف
وأنت فينا رئيس الشرع، منتصر ... ومن يناويك بين الناس مقصوف
فاسلم لدِينٍ ودنيا أنت زينتُها ... ولا يحُمْ في حماك الدهرَ تهريف
واقبل صبابة محسوب لخدمتكمْ ... وراثةً، حظُّه من سعدها ريف
والله يبقي مليكَ العصر قائدَنا ... كهفاً مكيناً تحامته التصاريف
ثم الصلاة على المختار سيدِنا ... كذا السلام بخير المدح مردوف
والآل والصحب ما أهدى الشذا أبداً ... مسك الختام، وودي فيه مزفوف

* * *

وقال مهنئاً الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ، رئيس القضاة، بالحج، بمطرز:

الحج حجُّك عند الله مبرور ... لأن قلبك بالتوحيد معمور
لك السلامة طولَ الدهر ما بقيت ... آثارُ فضلك تتلوها الجماهير
شريعة الدين بالإحسان فُزْت بها ... رئاسة من سناها الكونُ مسرور
يطير صيتُك بين الناس كلِّهمُ ... بالعدل دوماً، فما في الناس مغدور
خير المشائخ من يحظَى بذكر هدى ... يسير عنه، وعند الله مشكور
عليه خلعة تقوى لا يزال بها ... هو المهيب، لها في الخلق تأثير
بك العقول أنارت للهدى وغدت ... للدين إِلْفاً، وهل للعرف تنكير
دعوتَنا لصلاح القلب من شُبَه ... مُضِلّة، والهدى للقلب إكسير
إن الوظائف مهما عزّ مشربها، ... بالدين تعلو، وفيها للورى نور
لا أنها مظهر، يُغرَى الأنامُ بها ... كيما يقال عظيم القدر، مشهور
لولا صلاحك ما عاينتني أبداً ... أزفّ شعري، فقولي فيك مذكور
هي المحبة تدعوني فأتبعها ... إلى المديح، فمدحي فيك مأمور
بالله ربك قل: إيهِ! فإن بها ... قلبي - لك الخير - مشروح ومسرور
نِعْم السماحة، بل نعم المكارم، بل ... نعم الصلاح الذي بالرشد مغمور
حيّاك ربك من شيخ يشِبّ به ... وجه الرشاد، له في الدين تبشير
سعْدُ تسيّره آلُ السعود لنا ... من دوحة ظلّها بالعلم منشور
نعَمْ بمدحك فخري أن أكون عُلاً ... حسّانَ عصرِك، ما لي عنك تأخير
آلُ السعود همُ آل السعود، وهمْ ... رُوح الأمان، لهمْ بالعدل تعمير
لهمْ على الدين والدنيا بأجمعها ... مزيّةٌ، حسنُها في القلب مسطور
أدَّوْا فرائضَ دين كان أهملَها ... مَنْ قبلَهمْ، فلهمْ بالحق تأمير

لـولاهمُ ما رأينـا الأمنَ مبتسمـاً ... في الشرع سرٌّ له في الناس تسوير
شكراً لفخرِ ملوك العُـرْب كلِّهمُ ... عبد العزيز، فإن العدل مشكور
يسيـر فينـا فيـولينـا بحكمتـه ... ما فيه إصلاحنا والـرشد والنـور
خليفـةُ الله في أرض يـزيِّنهـا ... بالشرع دوماً، وإن الشرع منصور

* * *

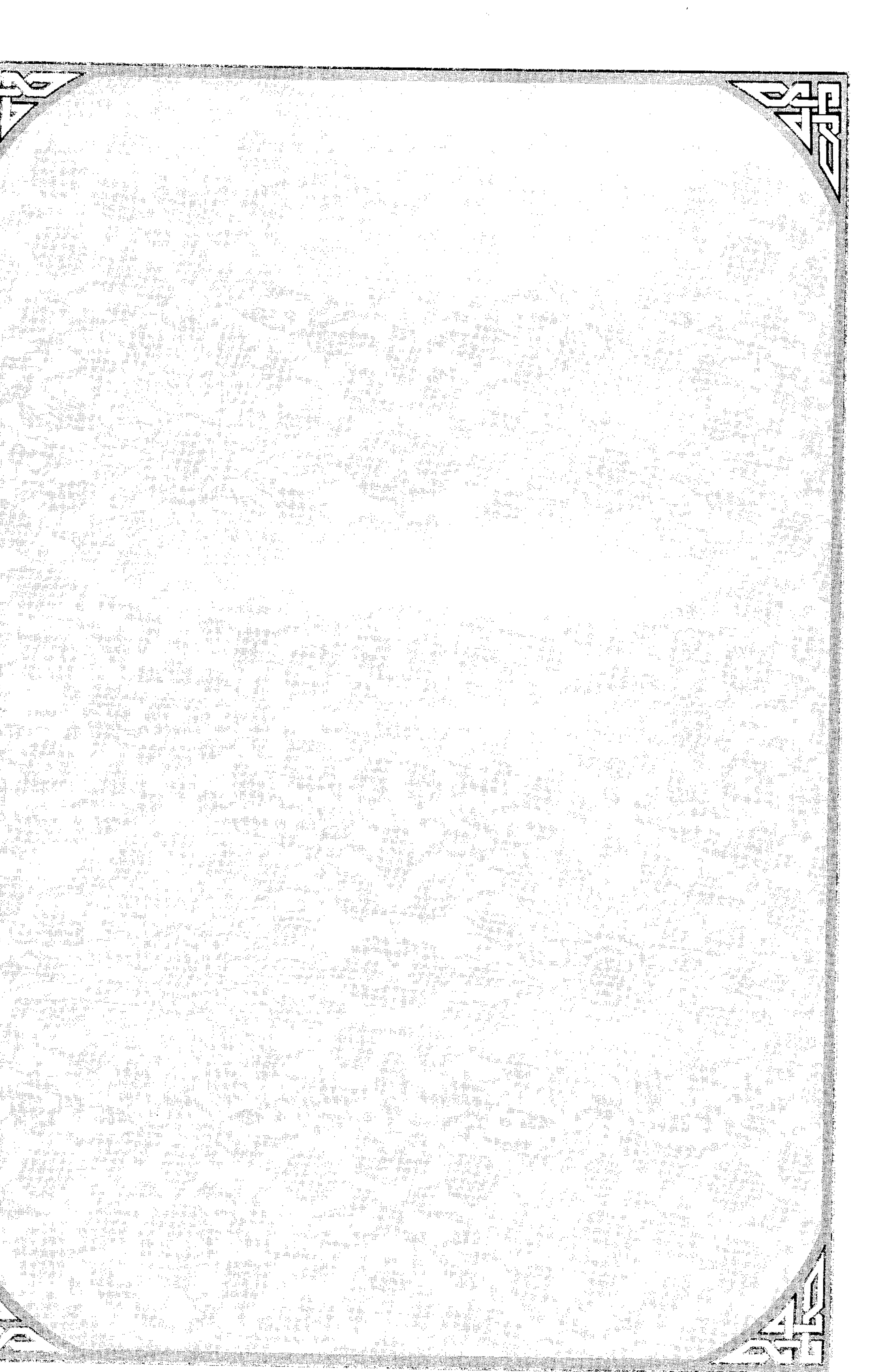
وقال مادحاً رئيس المحكمة والدوائر الشرعية /عبد الله بن زاحم/ في ١٣٦٤/١/٢٤ هـ وقد طرز باسمه في الصدور والأعجاز:

الفضل في نظر الفحول معظَّم ... إن القريض بذكره يترنَّم
لي فيك نظرةُ فارس بين الورى ... للدين فيها والسماحة ميسم
شهدتْ بأنك في القضاة أخوحجىً ... شهمٌ تحقَّق فيك من يتوسم
يقضي التواضع منك أنك فاضل ... يستنشق الاتقان منه ويعلم
خَبرتْك من قبلُ الرياضُ فنالها ... خيرٌ من الفضل الذي بك يسهم
عدلٌ وحسنُ تفهُّمٍ ورزانةٌ ... عُرِفت لذاتك، للأنام تفهّم
بالحلم والعلم الصحيح مهذّب ... بخلائق منها الشذا يتنسّم
دلّت بأنك أهلُ كلّ رئاسةٍ ... دينت لمثلك، والعقول تسلّم
أهلاً بمقتبل البشاشة، بِشْرُه ... أندى على الأكباد ما يتبسم
لك فطرةً خلُقُ السماحةِ إنه ... لبّ الصفات الغرّ حين تجسم
لا الناس تجهلها، ولا لك كارهٌ ... لعلاك، كلٌّ بالرضا يتقدّم
هي نعمة أَوْلاكها ربُّ الورى ... هي للمدينة لو علمت تكرُّم
بوركتَ من قاضٍ كأنك للهدى ... بدرٌ ينوِّر كلَّ خطب يظلم
نهنهت عنك غلوَّ مدحي إنه ... نعم القريض أتى بصدق يَحكُم
علّقت فيك بما أراه محاسناً ... عاينتُها، فالحسن منها يرسم
ببديع وصفك كنتُ أوّلَ شاعر ... ببدائع الأفكار ظلَّ يهينم
دعني أوفِّيك الثناء قلائداً ... دُرًّا، ولا كالدرِّ حين ينظّم
أَرويه للأسماع منك مشنّفاً ... إذْ أنت فينا بالرئاسة مُعْلَم
لم تُلْفَ إلا ماجداً بين الورى ... لك صبغة تقديرها مستلزَم
واللهُ يَسألُ عن تعاشُر ساعةٍ ... والودُّ بالذكر الجميل يكلِّم

هي عادةُ الفضلاء فيما بينهمْ ألقَى رضاكَ بها عليَّ يخيِّم
اقبلْه مني إن سمحتَ وسيلة هذا التأدّب للرجال مترجم
بالرفق، بالودّ الصريح وباللقا بالبشر، فالدنيا بذلك تعظم
إن (ابن زاحم) من سلالة معشر ألِفُوا المعارف في الورى وهُمُ همُ
بلغتْ بهمْ أوجَ السماك فشأنُها بالعلم والتقوى يظل يعمَّم
نسبُ العلوم إلى الفحول مماثلٌ نسبَ النسيم إلى الرياض يقوّم
زانوا وزِينَتْ منهمُ الأخلاق بل زادوا فوصف الفخر فيهمْ محكَم
أبداً بكل لسان فضلٍ منهمُ أمرٌ من المعروف لا يتلعثم
حازوا من التوحيد أجمل حِلْية حلّوا بها، فيها الكمال متمّم
ما كنتَ تفخر بالمديح وإنما معنى المديح لدى الكرام معظَّم

* * *

غزليات



- ١ -

وقال تحت عنوان: بدهات الخاطر:

السحر تأثير بكل مخالف لطبيعة الإنسان في أحواله
وله على المعقول أعظمُ سلطة متحكماً بيمينه وشماله
لكنْ يداوي المرءَ منه إذا انبرى طَبٌّ يعالجه بفكّ حباله
والسحر من عينيك يا أختَ المها أدهى لدى المطبوب من أفعاله
تأثيره متمكن، ونفوذُه متسلط في بُعْده وحياله
ومن المحال بأن يعالَج فتكُه لم يُلْف طَبٌّ يهتدي لزياله
ومن العجائب أن يذلّله الهوى بهواك، حتى العذلُ من عذّاله
فكأنما سهمُ الملام مدامةٌ قد زفّها الساقي بوفق سؤاله
أو أنه في روضةٍ أُنُفٍ بدتْ يوم الربيع زهت على إقباله
أو أنه فوق السماء محلّق يرنو إلى الدنيا بعين كماله
أو أنه أهنا العبادِ جميعِهمْ لو أنه يُشفَى بصِرْف خياله
أبداً وليس بقابلٍ من مُشفق دعواتِ خير في هلاك وباله
ولذا أشار البحتريُّ بقوله في خير يوم جاء في أقواله:
(يوم الذي يدنيك منه هاجر من وصله تبًّا له من واله)

فإذا ترينه شاكياً أو باكياً أو شائقاً متفكراً بمآله
يهذي ويهرف من لهيب غرامه متخبطاً كالصيد وسط حباله
يُكْسَى بأثواب السقام كأنه مقبور قبر جاء في تمثاله
لا تحسبيه بأنه متعمد هتْكَ الهوى، والسترُ من سرباله
لكنه رزأ الحجا فبدا الهوى قسراً، وفاض الحب من أوصاله
وكذاك سحر العين في مسحورها مثل البعير مقيَّدٌ بعقاله
يمسي يصرّفه الصغير وينبري طوعاً لأمر لا يرق لحاله
والطب محصور لديك وماله إلّاك ملجاً يهتدي لنواله
هو ميت معنىً وحيٌّ صورةً والميْتُ أحسن منه في أمثاله
فاسعَيْ لحوزِ الأجر في إحيائه وتلطفي في طبه بوصاله

* * *

ـ ٢ ـ

وقال:

يا جوَّ تونسَ، روحُ الصبِّ تهواكا كأنها لمزيد الحسن ترعاكا
أنت الحياة لها والأنس أجمعه فأيّ شطر من المشتاق يلقاكا
تظل تستنشق الأرواح منك هوى تستدرج البرء من آفاق مرعاكا
وتنشد الغزل الرقراق من ولَهٍ نعَمْ، وتشتاق في الأقطار مغناكا
لي فيك سرٌّ تراعي العينُ منظره هي المعافاة لولاه ولولاكا
عبارة أبهمت في قلب عاشقها فهل يفسّرها بالقرب معناكا
أراك بالذكر في قلبي وفي فِكَري ممثّلاً، وكأني لاثِمٌ فاكا

* * *

يا جوَّ تونسَ ما لي عنك مصطبَرٌ فهل يرى الصبُّ في الأيام مرآكا

* * *

- ٣ -

وقال:

عسى الأيام تنجز لي مرادي بجمعي للتي ملكت قيادي
أقول إذا ازدرى شوقي بلبّي وضج الصبر من طول السهاد
وفاض الدمع من عيني سيولاً وهام بيَ الهوى في كل واد
وأجّج لي التذكّرُ نار وجدي فؤادي!.. وافؤادي!.. وافؤادي!..
: لقد أبليت عمري في سليمى وما لي من طريف أو تلاد
وما حصّلتُ منها بعض وصل يبلُّ لظى جوائي واتقادي
يقول العاذلون: تهيم فيها وقد أودت بلبك بالبعاد؟..
فقلت: نعم، ولو أدى هواها وجودي للتلحّد والنفاد
وإني ما حييتُ لها محب أخو كلَفٍ إلى يوم التنادي
سليمى شمس حسن فوق غصن من البلور تلعب بالتمادي
تخيّلَ خصرُها والردفُ منها كمغتاظين قاما في جهاد
لها لحظ يغنّجه فتور يصيد من رآه من العباد
وتبسم حين تبسم عن لآلٍ منضدة وعن بَرْد الفؤاد
تخال حديثَها أقداح خمر تبهرج كلَّ قلب بالوداد
تكاد من الرشاقة حين تبدو تطير مع الرياح بكل واد

* * *

وله في الغزل:

من دقّة الخصر أم من رقة البشَرة ... أضحتْ دموعك بالأشواق منتشره
بعثت طرفك يجني وردة بسمت ... صبيحةً، فوق أغصان البها نَضِره
ولاعبتك العيون النُجل خادعة ... بسحرها تجتني من روحك الثمره
أرى التناسب في الأعضاء مشكلةً ... على العقول، فكم من عاقل قهره
تمسي الفتاة بهذا الشَّعْر داعيةً ... إلى تحيّرنا ما شوّشت طُرره
توليك عَطْفاً ولطفاً في مداعبة ... كيما ترى منك نار الوجد مستعره
تهوى بأنك تهواها، لتفهمها ... تغزلاً: أنها بالحسن منتصره
لا تحسب الحسن إحساناً تنوّله ... في غادة، بل هو الأرزاء مزدهره
والآنسات وإن لانت معاطفها ... فهن أقسى من الجلمود للبرره
أمست (مسا الخير) أُسَّ الهُلْك تُثْبته ... مليحةٌ لفتى قد عاينت غرره
تصكّ نغمتُها خدْعاً مسامعَه ... حتى ترى أن سحر اللفظ قد غدره
هناك تستأسر الأفهام منه هوى ... فعلاً، فيعلم أن الوجد قد أسره

* * *

ـ ٥ ـ

وقال:

يا سُلْمَ لا تفقديني اليوم إيناسي لا تلزمينيَ إيحاشي وإبئاسي
إن العذول يداجيني ليعلم ما مقدارُ حبكِ يبدو فيك إحساسي
فقلت ـ والحال مني فوق ترجمتي يكاد يفضحه تصعيد أنفاسي ـ:
(لو جُزَّ بالسيف رأسي في مودتها لمال يهوي سريعاً نحوها رأسي)

* * *

ـ ٦ ـ

وله أيضاً:

سألت طبيباً عن سهادي وما الذي يسببه دوماً، فقال: بك الفِكَرْ
فقلت له: أفديك، فكْري مشتّت بعشق غزال، قال: هذا هو الضَّرر
فقلت: فعالجني إذا كنت عارفاً بأسبابه ياذا، فقال ـ وقد عذَر ـ:
إذا كنت بالعينين والجيد مُشغَفاً فلا ترتج طبًّا، وداؤك محتضَر

* * *

- ٧ -

وقال متغزلاً في ١٣٣٣/٧/٥ هـ:

خليليَّ مـا لي والغـرام فـإنـه أذاب اصطباري، والفؤادَ، وقوتي
متى قلت: مهلاً. خالف الشوق مقصدي وضـاعف إذكـاءَ السقـام بمهجتي
فيا عاذلي في الحب جهلاً بحالتي إليـك فلا تُعـديك نـارُ محبتي
فتصبـح مثلي بـالصبـابـة مبتلىً وتجـزع مني إذ توافيـه دعـوتي
ولا تحسبنَّ الـوجد شيئـاً أردتـه ولا هو من حولي ولا فَرْط قوتي
بلى ذاك تقدير الذي الأمرُ أمرُه يصيب به مَنْ شَا فيُبْلَى ببلوتي
على أنني راضٍ من الحب بالرضى وبـالسخط منه لـو بـذاك منيتي
تعيّـرني بـالسقم، والسقمُ مُنيتي إذا كـان فيـه مـا يُبين صبـابتي
لئن كان فرط الوجد أخلق جِدّتي فحسْنُ الذي أهوى جدير بفتنتي

* * *

- ٨ -

وقال في الغزل:

حادت عن الرشد في ذا الظبي أفكاري حارت بذا الحسن في الأكوان أنظاري
ما حيلتي وفؤادي ذاب فيه هوى من بين صد وتعذيب وأضرار؟

* * *

- ٩ -

وقال في الغزل أيضاً:

الشوق أكبر من قولي وإكثاري والدمع أفضح من بثي لأسراري
ما بالغ القلب في إنكار لوعته إلا وعارضه سقمي بإقرار
ردت طبيعتُه دعوى تَطبُّعِه فأشعر الحب عمّا بي بأشعاري
هو الهوى، ومحالٌ سَتْر حالته لم يخف تأثير ما يأتي من النار
يا من أضرّتْ ببدر التِّم طلعتُه فما ينوِّل تنويهاً بتذكار
ما كان في أملي أني أرى أجلي ممثَّلاً بين طرف منك سحّار
تركتني من هواك اليوم في شجن مقسماً بين تسهيد وأفكار
وعاذل رام سلواني فقلت له: خلعي العذار بوجدي فيه أعذاري
يكفيه قدٌّ قويم منك يَنْشده إني أنا الغُصُن العاري من العار

* * *

- ١٠ -

وقال:

عيون عيني لسهم البين في كبدي حاكت مسيل شَظىً بالسفح من أُحُد
ومصرع الصّب في التوديع ملتزم وغير شاك له لم تلق من أَحد
شريعة لحمام العاشقين غدا ما بين منجدل منها ومتّقد

* * *

ـ ١١ ـ

وقال:

يا ذا الذي قرّحتَ قلبي في الهوى قـرحين: قـرح صبابـةٍ وتبعُّـد
أرديت بالفعلين روحيَ والحشى، بـاللحظ منك، وبـالقوام الأملد
ما كان ضـرَّك لو مننت لعـاشق بالطَّيْف في وقت الكرى، بتردُّد

* * *

ـ ١٢ ـ

وقال:

يقولون لي: في البعد إدمانُ راحة وتفريجُ حزن، واكتسابُ لصحّةِ
فقلت لهم: دائي من البعـد أصلُه فكيف تَـرَوْا أنْ قـد أتيتُم بمنحـةِ

* * *

- ١٣ -

وقال:

إن فتَّ في عضدي وجدي بما أجِد   فمثلُ حسنك لا يقوى له جلَدُ
ما زاد وجهك في الإشراق مبتهجاً   إلا وزادت بيَ الأشواقُ تتّقد
كأنما اشتُقَّ معنى النار في خَلَدي   من نوره، فغدت بالحكم تعتمد
وما دريتُ بأن الظلم منبعه   من ظلمة الشعر حتى شفّني الكمد
والغصن يرفل إعجاباً بملبسه   وما له كلّ عام غير ما يجد
هذا وتعلَقُ بالأبصار نَضْرتُه   وما عليه من الإحسان منفرد
وغصن قدّك في تعديل قامته   أثوابُه كلَّ يوم بهجةً: جُدُد
فما انزعاجك من إرسال أعيننا   في وصف من ضاق في إحسانه العدد؟
ما لين قامتك الهيفاء إنْ خطرَتْ   إلا بلاء على المشتاق مرتصد

* * *

- ١٤ -

وقال:

وَرُبَّ أحبـةٍ كـانـوا قـديمـاً إذا جَنَّ الـظلام عليّ: بَـدري
أتـانـي طيـفُهـم ليـلاً فـأوْرَى بـقـلبـي نـارَ أشـواقٍ وفـكْـر
وقالوا: قد صبرت، فقلت: مهلاً وحقكمُ عيِيت، ومـات صبـري
ولـولا ذكـركمْ عنـدي مـقيـمٌ تقضَّى العمر واستصحبتُ قبري

* * *

- ١٥ -

وقال:

ويـطول شـوقي للحبيب المبْعِـدِ الأكحـل الغصنِ النضير الأملد
هـام الفؤاد بحبـه فغـدوت في أسْـر الغـرام أسيـرَ ظبي أغيـد
بـالله يا ريـح الصَّبـا قـولي لنـا خبراً عن الغصن الرطيب الأملد

* * *

- ١٦ -

وقال:

لا والذي صيّر التسهيدَ من صفتي ما حلت عن حبه، كلًّا ولو بعُدا
ولي فؤاد لو استطلعت قرحته في العشق، أيقنت أني فيه منفردا[1]
لكن سجيّةُ نفس ليس يعجبها إفشاؤها السرَّ لو أبصرتني جلدا

* * *

- ١٧ -

وقال:

وحرمة العشق، يا من قلبه قاس ما القلب عنك ولو أضررته: ناس
كيف السلوّ وجسمي في محبتكمْ أبدَى السرائرَ في حفل من الناس
وزاده الدمع إيضاحاً لمشكلة حسبي غرامك روحي ثم إيناسي

* * *

---

(١) الصواب أني فيه منفرد، ولكن الرويّ مفتوح.

وقال:

ما قام في نادي الغرام بساقٍ أشجى وأرحمُ من فتى مشتاق
وإذا حديثُ الحب دار على الورى أمسى على العشّاق كالأطواق
إني لأعجب كيف صار فكاهةً وهو السماح يُبَثُّ في الأعراق
عدّوا نديماً من رَوَى قصص الهوى أفلا رأوه مجدّد الأحراق
وارحمتا للأغبياء وظنِّهمْ أن الهوى دعوى بلا تذواق
وإذا رأوا مَنْ ناح من ألم الجوى جعلوه سخريةً بلا أذواق
مني خذوا حكم الهوى، وبيَ اقتدُوا وتمعنوا شرحي وحسنَ سياقي
أنا مَنْ رمتْه يدُ الرزايا بالهوى وتيقظت لشجونه أحداقي
وغدوت فيه خادماً بجوارحي وبلوتُه في الأمن والإشفاق
الفنُّ فني إن أردتم أخذَه وأنا السليم وذكْرُه ترياقي
أصلُ الغرام حكايةٌ يلهو بها غِرٌّ يطابقها من الأوراق
أيضاً ويشفعها بشعر بعدها يَرْوي عذابَ مصارع العشاق
وهلمّ حتى يستطاب لذوقه وتتوق مهجته إلى الإزهاق
فيرى بأن اللطف أجمع، والبَهَا والذوقَ: صرفُ، فيه بالإطلاق
فيزاحم العشاق في دعواهمُ متشبهاً، ويديم في الإغراق
حتى يهيىء نفسه لقبوله ويجول في الأنجاد والأعراق
ويجيل في نقد المحاسن فكره ويرى الملاح بعين ذي إشفاق
فيصادف المقدور وجهاً مقبلاً يزهو كبدر التِّم في الإشراق
وإذا به انعكستْ أشعّةُ نوره في فكره وأحس بالإطباق
فهناك يشعر أنه جلب الردى لفؤاده، ويقول: هل من راق؟..

ويصيح ما سطع الغرام فؤاده   يشدو فيلهف من أذى الإطراق:
(يا قلب لِمْ عرّضت نفسك للهوى   أو ما رأيت مصارع العشاق؟..)

* * *

- ١٩ -

وقال مخمساً:

قد صيَّر الحب هذاالعقلَ مختلطاً في حب مَنْ لحظُها في العاشقين سطا
إن كنت أنسى مجال القول ما فرطا (لم أنس إذ قلت مِنْ وجدي لها غلطا
ووجهُها مشرق في حندس الظلمِ)
وقد دنت لوصالي وهي مازحـة تقول: روحك عندي. قلت: نازحةٌ
قالت: فماذا دهاها؟ قلت: جامحة (سلوت حبك، قالت وهي ضاحكةٌ
لتقرعنّ عليّ السنّ من ندمِ)

* * *

- ٢٠ -

وله أيضاً:

أظننت قلبي[1] من هـواك مفيقاً أو أنني أحســو السلوّ رحيـقـا
مـرآيَ أمسَى في الغـرام عقيقـاً (بعضٌ بنار الهَجْرِ مـات حريقـا
والبعضُ أضحى بالدموع غريقا)
أمـا الـسـلوّ فـإنـني أودعـتُـه قلبَ العـذول، وبالـرضا شيّعته
والقلب مني بـالهـوى أقنعتـه (لم يشك عشقاً عاشق فسمعته
إلاّ ظننتُك ذلك المعشوقا)

* * *

(١) في الأصل: (أظننت أني . . . الخ) ويترتب عليه رفع (مفيقاً) على الخبرية فيختل الرويّ.

- ٢١ -

وقال يشطر بيتين:

(تحمّلْ عظيم الذنب ممن تحبه) لأن حبيب النفس لا شك حاكمُ
وغالطْ إذا أبدى التجافيَ عامداً (وإن كنت مظلوماً فقل: أنا ظالم)
(فإنك إن لم تحمل الضيم في الهوى) وتصبح في كل الأمور تسالم
فثق أيها المغبون إن كنت غافلاً (يفارقك من تهوى وأنفك راغم)

* * *

- ٢٢ -

وقال مخمساً بعض أبيات النابلسي(١):

قلبي بغير جمالكمْ لا يعلق وأراه من رِقِّ الهوى لا يُعْتَق
وبكل وصف منكمُ هو يُرشَق (ما كنت أعلم والضمائر تصدق
أن المسامع كالنواظر تَعشق)
نشر النسيب جمالكمْ فطويتُكمْ وسط الفؤاد وبالضمير رأيتكمْ
قد كنت غِرًّا قطُّ ما لاقيتكمْ (حتى سمعت بذكركمْ فهويتكم
وكذاك أسبابُ المحبة تعلَق)
فنبغتُ في فن الهوى ببراعةٍ ملكت بها الآداب كل صناعةٍ
ولقد شفعت بكم بكل شفاعة (ولقد قنعت من اللقاء بساعة
إن لم يكن لي للدوام تطرُّق)

---

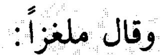
(١) النابلسي: هو عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، (١٠٥٠ - ١١٤٣ هـ)، شاعر متصوف، ولد وتوفي في دمشق، له مصنفات كثيرة جداً، منها ديوانه: (خمرة بابل، وغناء البلابل). الأعلام ٤: ٣٢.

قد يهتدي مُضنَى الجوى لطريقه   حتى يبــرّز من سنا معشــوقه
ويعـالج المخمـور رشف رحيقه   (قـد ينعش العطشـان بلّة ريقـه
ويغصّ بالماء الكثير ويشرق)

تفديك نفسي ثم ما ملكت يدي   من لي به يرضى بذا من أغيد
يـا مـالكي رفقـاً بعبـدٍ أكمـد   (فعسى عيوني أن ترى لك سيدي
وجْهاً يكاد الحسن فيه ينطق)

* * *

- ٢٣ -



وقال ملغزاً:

دمعي عليك غراماً سحَّ وابلُه ... فلبٍّ وصْلي فقد أنباك واصله
لا تقطعنَّ فؤادي، مَنْ وسائلُه ... مِنْ ريقك العذبِ مُذْكَى القلبِ سائلُه
ما ابيضَّ كأسُ رجائي فيك يا أملي ... إلّا غدا مثل دَرِّ الضرع حاصله
مزاجه زنجبيل، ليتني أبداً ... إذا الشتاء أتى دهري أواصله
أفنيت فيك مسرّاتي فوا عجباً ... قد شبتُ، والوجد لم تبرح أوائله
فأنت كالشّاهِ عندي أرتجي أبداً ... نوالَ جودك طولَ العمر سائله
يا عاشقيه تملَّوا من محاسنه ... فاللوم في مثله قد بان باطله
حلْوٌ مليح كبدر التِّمِّ طلعته ... والمسك نكهته، من ذا يماثله؟
كالشهد أخلاقه لو لم تكن أبداً ... على المشوق أسى تَغلي مراجله
لكن بهذا على عِلّاته شغفاً ... نهوى لقاه وما نسلو مُقبَّله

* * *

- ٢٤ -

وقال في الغزل:

بيني وبينك يا حسينُ نسبةٌ ... في الحب ما خفيت على المتفطِّن
لو لم توافقني هوى وطبيعة ... ما كان جسمي في المحبة قد فَنِي

* * *

ـ ٢٥ ـ

وله أيضاً:

حلاوة الحب في قلبي لها أثـر ونغمة العشق في فكري لها خطر
كبِـرتُ والحسن تُزهيني منـاظره يا قلب، أقصِرْ، فشَيبُ الرأس يستعر

* * *

ـ ٢٦ ـ

وقال مخمساً بيتين لأحد شعراء (اليتيمة):

لي آسر في الحب قلَّ له الفدا بدْرٌ على أفْقِ الملاحة قد بـدا
وأراه في معنى السياسة أوحـداً (أضحى يجـانبني مجانبـةَ العدا
ويبيت وهو إلى الصباح نديم)
حـظِّي إذا عدم الـرقـابـة حـظه في بسط أنسٍ غابَ عنه وعظه
ويخيفني وسط المجـامع غيـظه (ويمـر في وسط الوشـاة ولفظه
شتْمٌ، وحشو لحاظِه تسليم)

* * *

وله مخمساً أبياتاً لبعض الفضلاء:

أمانيك في النفس مشحونة ودنياك للهُلْك مرهونةٌ
ونفس حياتك مغبونة (همومك بالعيش مقرونة
فما تقطع العيش إلّا بِهَمْ)

وكل زمان بدا شَخْصُه لإقبال قوم شدا نقصه
أقول لمن غرَّه حرصه: (إذا تم أمر بدا نقصه
ترقّب زوالاً إذا قيل: تم)

فكم مهجة عدِمتْ رُوعَها وقد أطلقت في الهوى رَتْعها
أضاعت بشهْواتها نفعَها (إذا كنت في نعمة فارْعَها
فإن المعاصي تزيل النِّعم)

فأصغِ لنصحي ولا تغدُ لاَهْ وغلِّبْ على الغفلة الإنتباه
فليست تفيدك من بعدُ آهْ (وحامِ عليها بشكرِ الإلّه
فإن الإلّه سريع النِّقم)

فأيّ حياة لها قيمةٌ لها صبغة الطيش معلومة
ونفسك بالإثم منهومة (حلاوة دنياك مسمومة
فما تأكل الشهد إلا بسم)

أتخسِر رشدك في أكلة وتُوقع نفسك في وهلة
فويلك يا غِرُّ من غفلة (فكم قدرٍ دبَّ في مهلة
فلا يعلم الناس حتى هَجَمْ)

* * *

- ٢٨ -

وله أيضاً مضمناً بيتا للمتنبي :

ما في الغرام إذا ظهرتَ خفاءُ إن التلثّم في هواك جفاء
ليس الغريب من الكواكب أن تُرى إمّا برزتَ كأنهن هباء
والبدر بالغَ إذ أرانا وجهه يحكي خيالك ضم ذاك سماء
لكِ يا مليحةُ بهجةُ الوجه الذي في كل فكر فَجَّ منه ضياء
(لم تلق هذا الوجهَ شمسُ نهارنا إلا بوجه ليس فيه حياء)

* * *

- ٢٩ -

وله مضمناً بيتاً لبعض الفضلاء :

عدمْتُ عيونَ الكاشحين لأنها على الحب دوماً ما يزور أطلّتِ
ويا ليْت واشينا يُشَقّ لسانُه وأذْناً له تُصغي، مدى العمر صُمّت
ومَنْ لعذولي أن يرى الدهرَ أخرسا فإن به نارَ المكائد شُبَّت
وكيف التهني بالحبيب ووصْلِه وحولي جيوش من عدًى قد ألمّت
(وهيهات هيهات الصفاءُ لعاشقٍ وجنةُ عدْنٍ بالمكاره حُفّت)

* * *

- ٣٠ -

وله أيضاً:

تكـرَّمَ بـالـوصـال عليَّ حِبّي   وبُـدِّل بُـعْـدُه عنـي بـقـرب
فيـا عيْنِي لكِ البشرى، فنامي   ويـا قلبي أمِنْتَ من التـأبـي

* * *

- ٣١ -

وقال مضمناً بيتاً لبعض الأدباء:

قالت: أراك جميلَ الرأي ممتلئاً   ظَرْفاً، ولفظك بالآداب يَسبيني
فليتك اليوم قـد رافقتني أبداً   على الهوى، وبكأس الوصل تسقيني
فقلت في مهجة نحو الجمال لها   مَيْلٌ، ودِيني لما قد شئتُ يحميني:
(أهوى هدى الدِّين، واللذاتُ تعجبني   فكيف لي بهوى اللذات والدين؟..)

* * *

- ٣٢ -

وله تخميس بيتين لبعض شعراء اليتيمة:

يـا صاح، خِلُّك إن أراك ردى   وصـار بالصدّ رائمـاً رغـدا
لا تُـذهِبِ الأيـامَ فيـه سـدى   (صل مَنْ دنا، وتناس من بَعُدا
لا تكرهنَّ على الهوى أحدا)
واصرف عِنان الهوى لمن حُمِدت   فيـه خصالٌ للصفـا رشـدَتْ
لا يَحسبِ النـاسَ غيره فقـدَت   (قـد أكثـرت حـواء إذ ولـدَت
فإذا جفا ولَدٌ فخذ ولَداً)

* * *

وله تشطير قطعة من شعر أبي العلاء المعرِّي على البديهة:

(منك الصدود ومني بالصدود رضا) ترضين هذا ولا تبغين من رفضا
حكم على الصبِّ جور لا يفارقه (من ذا عليَّ بهذا في هواك قضى)
(بي منك ما لو غدا بالشمس ما طلعت) على البرية، وازدادت به مرضا
أو كان بالبدر ظل الدهرَ منكسفاً (من الكآبة، أو بالبرق ما ومضا)
(إذا الفتى ذمّ عيشاً في شبيبته) وهي اللذيذة لم يرشف بها برضا[1]
يظل فيها كئيب الفكـر منكمشاً (فما يقول إذا عصر الشباب مضى)
(وقد تعوضت من كلّ بمشبهه) أرضاه منبسطاً، أو كنتُ منقبضا
جرياً مع الدهر في أحواله أبداً (فما وجدت لأيام الصِّبا عوضا)
(وقد غرضت[2] من الدنيا فهل زمني) يرضى بغيريَ في ترشاقه غرضا[3]
يا ليته إذ رآني في الورى قلقاً (مُعطٍ حياتي لغرٍّ بعد ما غرضا)
(جرَّبت دهري وأهليه فما تركت) ليَ الليالي مبيتاً غيرَ جمر غضى
فعشتُ والصحبُ دائي حينما ادّخرتْ (ليَ التجارب في ودٍّ امرىء غَرَضا)

* * *

(١) برضا: رشفة من الماء ونحوه.
(٢) غرِض: ضجر.
(٣) غرضاً: هدفاً.

- ٣٤ -

وقال في الغزل:

أغصنَ النَّقا؟ . لا، بَلْ، قوامُك أعدل وشمسَ الضحى؟ لا، بل محيّاك أجمل
لك الله ما هذي الشمائل؟ إنها يَضِل بها الهادي، وذو اللبِّ يذهَل
سموتَ بها حتى على البدر فانثنى بنقصٍ يُرَى فيه، وأنت مكمَّل

* * *

- ٣٥ -

وله أيضاً تخميس أبيات هبة الله الشيرازي:

كم فيك يا ظبْيُ أربابُ الهوى هلكوا! وكم عـزاءٍ بهذا الـظرف منهتك
حويت بالحسن ما لم يحوه ملك (خدّاك[1] . . . السبع العلا الفلك
ومقلتاك شهابٌ، والهوى فَلَك)

تكـون طوراً بقـدّ عادلاً حكَماً وتـارة مـائـلاً بـالجـور متّسمـا
تسي، تواسي، مع الضدين منتظماً (وفيك نفعٌ وخيـرٌ يجريـان كما
يجري بما يحتوي في وسْطه الفلك)

تقسّم الوصل ضِيزَى بين مرتهن وخـالي القلب من همّ وممتهن
وتمنح السقم صَبًّا في هواك فنِي (فالضر أجمع مخصوص به بدني
والنفع بيني وبين الناس مشترك)

* * *

---

(١) بياض في الأصل.

وله أيضاً تخميس أبيات لبعض الشعراء:

لما برى جسمي الهوى شوقاً وعلْ   وسقى الأسى قلبي به صرفاً وعلْ
ورأيت لا تجدي (عليّ)[1] عسى وعل   (خاطبت معسول الرضاب فقلت: هل
لك في حياة النفس قبل فنائها؟ . .)

أعْيَ الأواسي دائماً أن يعلما   لمّا غدا كمدى عليك مكتّما
لم يستطع في مطلبي أن يفهما   (ظمئي إلى ذاك اللَّمى دائي، أما
من رشفة تشفي الحيا بشفائها)

إن تمنعنْ طبي فإنك آثم   ولأنت لو أحييتَ نفسي غانم
رفقاً فإني لاصطباريَ عادم   (فأجابني والثغر منه باسم
شرط المحبّة أن تموت بدائها)

فسألته لو فيه قتل المسلم   فأجابني: أغراك لينُ تكلّمي
أو أشعب تغدو بحرّ المغنم   (لا تغترر بشعاع لامع مبسمي
ما كل بارقة تجود بمائها)

* * *

(١) عليّ: ليست في الأصل. وعل: الأولى من العلة: (المرض)، والثانية من العلّ: (الشرب مرة بعد مرة)، والثالثة حرف دال على الرجاء: (لعلّ)، فبينها جناس تام.

- ٣٧ -

وله أيضاً تخميس بيتين لبعض الأدباء:

أحبَّةَ قلبي ذاب صبري لبعدكمْ وكيف ورِقِّي لم يزل تحت رِقّكمْ
ولِي نفسُ حرٍّ لا ترى غير قربكمْ (إذا جنَّ ليلي همّ قلبي بذكركم
أنوح كما ناح الحمام المطوّق)

أعلّل نفسي طول عمري بهل، عسى يكون تلاق في الصباح أو المسا
ولولاكمُ ما بت بالشوق محبساً (وفوقي سحاب يمطر الهمَّ والأسى
وتحتي بحارٌ موجُها يتدفق)

* * *

- ٣٨ -

وله تخميس بيتين للشاعر الشيخ إبراهيم الأسكوبي[١]:

كيف السلو وروحي مـا يثبتها غيرُ الغرام، فحب الغيد بغيتُها
وعذرها أنْ بـدَتْ للناس فتنتها (حسناء تُزري بشمس الأفق طلعتُها
من رام تشبيهها بالبدر ما صدقا)

فهاكَ تفصيلَ مـا أوردته جُمَـلاً واعذر محبًّا عليها عاد مختبلا
فما ترى مثلها في الحسن مكتملاً (تصاغرَ البدرُ لما أن بدت خجلا
فانقضّ محترقاً بالخدّ فالتصقا)

* * *

(١) الأسكوبي: هو إبراهيم بن حسن بن حسين (١٢٦٤ - ١٣٣١ هـ) من كبار شعراء المدينة، ولد وتوفي فيها، له ديوان شعر مخطوط. الأعلام ١: ٣٥.

- ٣٩ -

وله أيضاً تخميس أبيات لابن الزيات في ١٥/٧/١٣٤٢ هـ:

خذو حكم الغرام العدل عني وَعُوا قولي فإن الفن فني
ولا تدَعُوا اليقين بسوء ظن (سماعاً يا عبادَ الله مني
وكفُّوا عن مغازلة الملاح)

متى فحص الغرام فتى مزايا تمثّل أمره صرفاً رزايا
فلا تقرأ له أبداً قضايا (فإن الحب آخره المنايا
وأوله شبيه بالمزاح)

وقال العاذلون: سهرت غيّاً!.. فقلت لهم: لوَجْدٍ قد تهيّا
فزادوا بالملام القلب كيّا (وقالوا: دع مراقبة الثريا
ونم فالليل مسودّ الجناح)

أتنحتُ بالغرام الجسم نحتاً وتفتقد الرشاد وأنت أنتا
وتصرف في خراف العشق وقتاً (فقلت: وهل أفاق القلبُ حتى
أفرّق بين ليلي والصباح)

* * *

٤٠

وقال مشطراً:

(أيها الرائح المجدّ تحمّل) من محبٍّ أمانة العشاق
واخفها في الفؤاد منك ففيها (حاجة للمتيَّم المشتاق)
(اقْرَ مني السلام أهلَ المصلّى) واحكني في الخضوع والإشفاق
علَّ رُوحي يحفُّها بعضُ رَوْحٍ (فبلاغ السلام بعضُ التلاقي)

* * *

- ٤١ -

ثم خمس البيتين بعد تشطيرهما فقال:

أزْمَنَ البُعْـدُ بـالمحب وطـوَّلْ   وأعـاد الأخيـر في الشـوق أوّل
من لصبرٍ عن الحشاشـة حـوَّلْ   (أيّهـا الـرائـح المجـدّ تحمّــل
من محبٍّ أمانةَ العشاق)

لا تُـريها[1] من الـوشاة سفيهـاً   سـوف يمضي وراءهـا يقتفيهــا
كن حريصاً في حفظها مصطفيها!..   (واخفهـا في الفؤاد منك ففيهـا
حاجة للمتيّم المشتاق)

دَقّ مـا بي على الغـرام وجـلّاً   واشتبـاكُ الأفكـار لم يُبْقِ عقـلا
إن تكن لي على الصبابة خـلّاً   (اقْرَ مني السلام أهـلَ المصلّى
واحْكني في الخضوع والإشفاق)

وتمثّـلْ بـحـالتـي ثم نَــوْحي   واشتكـائي دومـاً نكـايةَ قَـرْحي
فعسى أن تجي بـأعـظم ربـح   (عـلّ رُوحي يحفّها بعضُ رَوْح
فبلاغُ السلام بعضُ التلاقي)

* * *

---

(١) الصواب: (لا تُرِها) بالجزم.

- ٤٢ -

وله تضمين للبيتين المذكورين:

مَنْ معيني على الصبابة يوماً ومُعيري أسماعه باشتياق؟..
عاذراً إن رأى تغالِيَ دعْوايَ بوجْدٍ ترفَضُّ منه المآقي
علّني أستريح من حَرٍّ سفع للهيبِ أذكتْه أيدي الفراق
كم أداري جوىً أذاب اصطباري وأُنادي ما لاح حادي نياق:
(أيها الرائح المجدُّ تحمّلْ حاجةً للمتيَّم المشتاق
اِقْرَ مني السلام أهلَ المصلَّى فبلاغُ السلام بعضُ التلاقي)

* * *

- ٤٣ -

وقال في الغزل:

ولقد أقول لمن يروم غوايتي في حب من أنا في هواه متيّمُ
سدِّد سهامك نحو غيري إنني غرضٌ لسهم الغانيات مقوّم

* * *

- ٤٤ -

وقال مطرزاً:

هام الفؤاد ببدرٍ فاق إشراقاً بدرَ السماء، وفاق الظبْيَ أحداقا
أين الردينيُّ من قدٍّ يقدُّ به صبري، ويعلق بالأحشاء أعلاقا
شتان بين لآلي البحر لو نظمت وبين نظم غدا بالثغر برّاقا
ما كنت أعلم غيري في محبته حتى وجدت جميع الناس عشاقا

* * *

- ٤٥ -

وقال مطرّزاً:

حسبي الله من عيوني وقلبي كم غدوا بي في كل واد وشعْب
ما استراح الفؤاد إلا تبدّى ما يذكّي الشجون من وجه حِبٍّ
زاد قسطُ الغرام عنديَ حتى دقَّ عقلي، وجلَّ في الحب كرْبي
هي عيني ترتاد هلكي قسراً لامتحاني، فالحب منها وقلبي

* * *

- ٤٦ -

وقال مطرزاً /في ١٣٤١/١١/٧ هـ:

أبهى من الشمس إشراقاً على الزهَرِ   إذا تبدّى محيّا منك يا قمري
حارت بحسنك أفكارٌ وأفئدة   حاربْتها بسيوف الغنج والحَوَر
ما تفعل الخمر بالألباب لو عتقت   ما يفعل الحب بالمشتاق في نظري
دعني فمن نعْتِ حسنٍ منك يا أملي   دَمُ المحبين موقوفٌ على خطرِ

* * *

- ٤٧ -

وقال مطرزاً في ١٣٣٩/٢/١٣ هـ:

عيناك؟ فخّاك؟ أم سهماك في كبدي؟   أم السقام الذي تَبْري به جسدي
بغُنج جفنيهما شوّشتَ معرفتي   كما بسحرهما أضللتَ لي رشَدي
أزدادُ وجْداً إذا ما كنت حاضرنا   كالنقص إن غبت عن صبري وعن جلَدي

* * *

وقال مطرزاً، وكان ذلك في دار عابدين بري في ١٣٣٨/٤/٧ هـ:

عهدُ الصبا وملاعبُ الغزلان	آبا إليَّ بحسنه الفتّان
بَعُدا زماناً عن معاهد فتنتي	وتقرُّباً أنساً بمن أبلاني
أَفلا وقد طلعا بوجه معذّبي	كطلوع بدر التمِّ في الأكوان
سيان عندي والصبابة ديدني	موتي بلحظٍ أو بحدِّ سنان
راضَ الهوى قلبي وكلَّ جوارحي	فلذذت حين ذللت للحسّان
إني وإن أصدقتُ في البيض الهوى	ما زلت أعشق جنة السُّمْران
زوجان سارا في البرية كلها	مثَلاً، كبيض الهند والمرَّان
قف يا غرام بأسمرٍ يختال في	حلل الْبَها سحباً على الأغصان
يعطيك ما يرضيك من أوصافه	حسناً تُقرّ به مدى الأزمان

* * *

وقال مطرزاً في اسم حَمّادي الحُوكي في ١٣٢٧/٧/٢٣ هـ:

حرب النفوس بسيف الأعين النُّجُل　　أدهى سلاحاً بقلب الفارس البطل
ما نزهةُ العين من ورد تفتّحه　　أيدي الربيع كوردٍ صيغ من خجل
إني وإن كنتُ مغرىً بالحسان فلي　　من بينهمْ قمر ضاقت به سُبُلي
دعا بناظره قلبي فجاوبه　　مفارقاً صبره من شدة الوجل
يكاد يعلق بالأرواح من رفَهٍ　　ويستجيش النُّهى بالغنج والكحل
حلو مليح كبدر التمّ طلعتُه　　والظبْيِ لفتَتُه، والغصنِ في المثل
وزاده رونقاً في عقد مبسمه　　سِنٌّ من التبر لم يخطر على أملي
كأنه خاف من تفريط جوهره　　فراح يحفظه بالنهل والعَلَلِ
يا عاذلي في هواه لو فطنت لما　　فيه من اللطف لم تُهْدِ الملامة لي

* * *

\- ٥٠ -

وقال في الغزل:

شوقي عليك مدى الزمان يزيد　　وفراق من أهوى عليَّ شديد
أما الحياة ففي يديك رهينة　　والوصل إلا من جنابك عيد
جار الزمان على تفرُّقِ شملنا　　إن الزمان لذي الغرام حسود

* * *

\- ٥١ -

وقال مطرزاً في ١٣٣١/١/١٨ هـ:

أوجهك أم بدرٌ من الحسن يبرق　　فديتك خبِّرني فقد كدت أفْرَق
حكيتَ أخاك الظبْيَ جيداً ولفتةً　　وأربيتَ حتى خلتُ أنك أنزَقُ
ملكتَ بسيف اللحظ كلَّ قلوبنا　　لهذا نراها حين تُذكَر تخفق
درَيْنا بأن السم في العضو كامن　　سرى فأصاب الجمع منا مرفق
رحيماك يا هذا فإن قلوبنا　　تأجّج ناراً، من صدودك تحرق
ضننت ولم تسعف بردٍّ تحية　　فمهلاً أخا التمنيع لا بد تعشق

* * *

وقال مشجراً في ١٣٣٠/١٠/٢٥ هـ:

الحسن دائي فهل طَبٌّ يداويه ... هيهات عمت على المُضنَى أواسيه
لا درَّ دَرُّ الهوى لولاه ما هوِيتْ ... أفكارُ ذي اللب في إحدى مهاويه
سام التصبّر قلبي يوم جدَّ به ... جِدُّ الغرام، ولكن أين يلفيه
يا شادنا صيغ من لطف ومن صَيَدٍ ... وغصنَ بانٍ تهادَى في تثنّيه
دعوت حسنك والأشواقُ قد لعبتْ ... نيرانُها ففؤادي فيه ما فيه
حتى جُفوني بصافي الدرِّمذ ضحكت ... مباسمُ الودّ لا تنفك تُذريه
مهلاً فكلّ جمالٍ لو غدا مثَلاً ... في عصرنا، أنت واليه وراعيه
زيادة البدر في أيام صبوته ... مكسوة من محيًا منك تبديه
هذي عيونك لو ترنو لصمٍّ صفا ... لأثّرت فيه، قلبي كيف تبقيه؟
أبهى جمالاً يرى بالنفس ممتزجاً ... ما زاد فيه عيار الظَّرف والتِّيه
سعد السعود غرامي كان طالعَهُ ... في عشق مثلك لا نحْسٌ يدانيه
على محاسنك اللاتي زهوْنَ سناً ... سالمتُ دهري ولو زادت مساويه
دعي العذول يداجي في عبارته ... هو الحسود، وإمساكي يؤاذيه
أما الغرام فما قامت قوائمه ... إلا بفكري وأشواقي تساقيه
فكيف أهدم بالسلوان حصنَ هوى ... أفنيتُ عُمْر شبابي في ترقّيه؟
نعيمُ ذوقِ الهوى في قلب ذائقه ... جحيمُ قلب عذولي في تعاميه
دعا فأسمع داعي العشق زمرته ... وصمّ قومٌ فأخطتهمْ مراميه
يا قوم هذا اختياري في محبّته ... فشاهِدُوا قدْرَ عشقي من معانيه

* * *

ـ ٥٣ ـ

وقال مطرزاً في ١٣٣٩/٢/٣ هـ:

أصمى فؤادي بسهميْ لحظه ولَها ... ظبيٌ من الغيد أورى مهجتي ولَهاً
لا والذي بهواه اليوم جللني ... ما حال عن حبه قلبي الشجِي، وسها
سلطان حسنٍ أهاب البدرَ منظرُه ... وما المَها حين يرنو نحوها بمها
يختال تيهاً ويثني قدَّه عُجُباً ... فأيُّ غصن على كل الغصون زها! . .
دُرّيّ ثغرٍ ولفظٍ ما اكتفى بِهِما ... حتى يَرَى لهما من أدمعي شَبَها
عجبت منه يُرى صاحٍ[1]، ومرشفُه ... بالصرف عن صفوة الصهباء قد نَكَها
يضارع الشمس إشراقاً فلو كسفت ... لما رأيت لها في الكون مشتبها
دلائل الحسن في خديه واضحةٌ ... فمن يحاكيه حسناً قد سما وبَهَا[2]
ما لاح مرآه إلا زادني شغفاً ... يرى التسلِّيَ عن أمثاله سَفَها
دع زخرف القول وانظره ترى بِدَعاً ... تُقِرّ بالرق أرواحُ العباد لها
نسيج ديباجِ شعري في محاسنه ... تطريزه يستبي من ناظريه نهى
يظل رائيه من إفراط رونقه ... يقلب الطرف في أردانه ولها

* * *

ـ ٥٤ ـ

وقال:

كتبتُ ولي حالٌ من الهجر والضنى ... يبكّي ويُشجي كلَّ قلب منبّه
ولو أنني أسطيع وصفاً وصفتُه ... ولكنْ طلابُ المستحيل بحبّه

* * *

---

(١) صاح: الصواب (صاحياً). وبعد هذا البيت: بيت غير مقروء، وهو مبدوء بالباء.

(٢) إذا كانت (من) شرطية، وجب جزم فعل الشرط، واقتران الجواب بالفاء (فقد. . .).

- ٥٥ -

وقال مشجراً في ١٣٣٨/٣/١٥ هـ:

أوَذا غـزيِّـلُ قـد نـضـر أم ذا بُـديْـر قـد بـدَر؟
بـالـله يـا بـدرَ الـسـمـا لا تـحـك هـذاك الـقـمـر
والله لـو عـايـنـتـه مـا كنتَ تـلمـح بـالـنـظر
إن كـنـت تـكـبـر مـا أقـو ل، سـلْ حسن ثغرٍ كـالدُّرر
لا، بـل بـلحظٍ صـائـر مـنـه الأنـامُ عـلى خـطر
هـل عـنـد فـيـه جـنّـة ورديّـة قـطرتْ خـمـر
دعـنـي وكُـلْفـتـك الـتـي تـحكي التعَمُّش في البـصـر
الـحُـور لـو عـايَـنَّـه قـبّـلن مـوضـع مـا خـطر
روحـي فـداه مـن مـلـيح صـاد ألـبـاب الـبـشـر
فـاق الـحـسـان جـمـيعَهـمْ حـتـى تـسـلْطن وانـتـصـر
إن مـاس فـالأغـصـانُ سـا جـدةٌ عـلى ذاك الأثـر
عـيـنـاه تـفـتـك بـالـسـيـو ف وخـدّه يـرمـي شـرر
يـا جـمـعـنـا مـا انفـكّ مِنْـ ـه امـرؤ إلا سُـحِـر

* * *

- ٥٦ -

وقال مشطراً بيتين لأمير الشعراء أحمد شوقي، في محرم ١٣٤٠ هـ:

(خـدعـوهـا بقـولهم حسنـاء) بين أتـرابهـا فسَـرّوا وسـاؤوا
إن في حكمـة التفـاضـل معنى (والـغـواني يـغـرُّهن الـثـنـاء)

* * *

- ٥٧ -

ثم خمّس التشطير فقال:

جدَّ وجدي وبان مني الرياء في فتاة تغار منها ذُكاء
إن بلوا بي عندها شعراء (خدعوها بقولهم حسناء
بين أترابها فسرّوا وساؤوا)
تيّهوها وغادروا الصبَّ مضنى هدموا لي على التواصل مبنى
أي قول به التعطف يُجْنى (إن في حكمة التفاضل معنى
والغواني يغرهن الثناء)

* * *

- ٥٨ -

وشطر التخميس:

(جدَّ وجدي وبان مني الرياء) واستوى لي الصباح والإمساء
ما لقلبي على العذول دواء (في فتاة تغار منها ذُكاء)
(إن بلواي عندها شعراء) شخّصوها بأنها حوراء
فزهت بالجمال، والعُجْبُ داء (خدعوها بقولهم حسناء
بين أترابها فسرُّوا وساؤوا)
(تيّهوها وغادروا الصب مضنى) بعدما كان لِلّقا يتمنى
كم له منطق لويلي تمنَّى (هدموا لي على التواصل مبنى)
(أي قول به التعطف يُجْنى) غادروها بصدّها تتجنى
هو سحر يهيج للكبر فنّا (إن في حكمة التفاضل معنى
والغواني يغرهن الثناء)

* * *

- ٥٩ -

وقال:

من ذا يـرد على المشوق فؤاده ويعيـر جفني نـوْمَـه وسُهـاده؟
يا ملبسي ثوبَ الضنى رُحماك في صبٍّ، وسـاوسُـه ألِفْنَ وسـاده
شرَبَ الأسى لما تملّى بـالهوى وغـدا زعافُ الصبـر قسـراً زادَه

* * *

- ٦٠ -

وقال ملغزاً:

سمع العواذل ذات يوم من فمي بـيتـاً أردّده لـمعـنى أكْـمِـه[1]
(اللحظ أبـلاني بصائبِ رجْسِـه وجَوايَ كَلَّ عن الغرام وزَحْمِه)
قالوا: بمن تهذي؟ فقلت: بمن غدا منـزوعُـه من قلبكمْ لم يعْمِـه
ولعكس قلبي شـوّشوه وصحّفـوا كي يظفروا فنّاً بظاهـرِ إسمه[2]
من بعد ما أخذوا الذي سمعوا ولا نـظروا إلى تلميحـه من رقمـه
وتفكـروا زمنـاً لحـل رمـوزه أو مـا هداهم قَسْمُـه من قسمه
قالوا: يطير، فقلت: بعض صفاتكمْ قـاربتمُ في عكس ظاهـرِ رسمه
كم ألغزوا لي في المحافل ما سرى بيتـاً غـدا ظَـرْفـاً يعـدُّ لِضمـه
هم يخدعوني كي أبوح لعجزهمْ لا، والذي أجرى النعيم بجسمه
لم يعلموا أني أغار على اسمه حتى ومن لفـظيْ أبيـه وأمِّـه

* * *

(١) أكمه: أخفيه.

(٢) إسمه: قطع الهمزة للضرورة الشعرية.

وقال في أسلوب شجرة:

حلو التثني، جميل الوجه، ناظره يبث، سحراً له، مهجتي في أثر

خبر

أسْدُ الشرى نفروا

سُقْماً على العشاق إن نظروا

سيف له بين أرباب الهوى خطر

مشرقة كل البدور إذا يجلَى لها بدروا

كغصن البان معتدل ما شأنه في البها
طول ولا قصر

شرر

العشاق قد عذروا

غنجاً تهاوت نحوه الفكر

هو القنا والشفا والصفور والكدر

ناضره به تفتّح عن أكمامه الزهر

ثنا قلبي عليه هوى
وشتّ فكري، فما لي عنه مصطبر

وقال موشحاً:

حاكمُ الحب إزائي ما عدلْ   لو قضى لي لكسا جسمي علل

* * *

إنما العَذْب عذابي في الهوى   ونعيمُ الوجْد إيقادُ الجوى
من تشكى الحب فينا قد غوى   هو منا نفسه ظلماً نصل
ليس يدري أنه من لذَّ ذل
أيها المُزري بنور النيِّريْنْ   والمضاهي الظبْيَ في جيد وعَيْنْ
والمسمَّى في الورى باسم الحسين   ما لفكري كلما لحتَ اختبل
وفؤادي كلما غبت اشتعل؟
أعدم الحبُّ اصطباري والقُوَى   وتساوى القربُ عندي والنَّوى
عزَّ دائي أن يُرَى فيه دوا   ويل هذا الحب، كم مُضْنىً قَتَل!
كم سبا قلباً! وكم عقلاً عَقَلْ!
أنا إمَّا قد تراني ذا جزَعْ   أُوقع الفهم الذي ليس يقع
وأرِي عيني مَحلّات البدع   فالهوى قد يلبس الفكر علل
يحمل[1] الأفهام ما لم يحتمل
فالشجي في شرعة الحب صبي   وأخو الفطنة فيه كالغبي
هو يرضى بجمال طيِّب   عنده أهلاً وسهلاً كالعسل
وبلين القول يعلوه الجذل

* * *

---

(١) يقصد: يحمّل.

وقال مشطراً بعض أبيات[1] لبعض الشعراء:

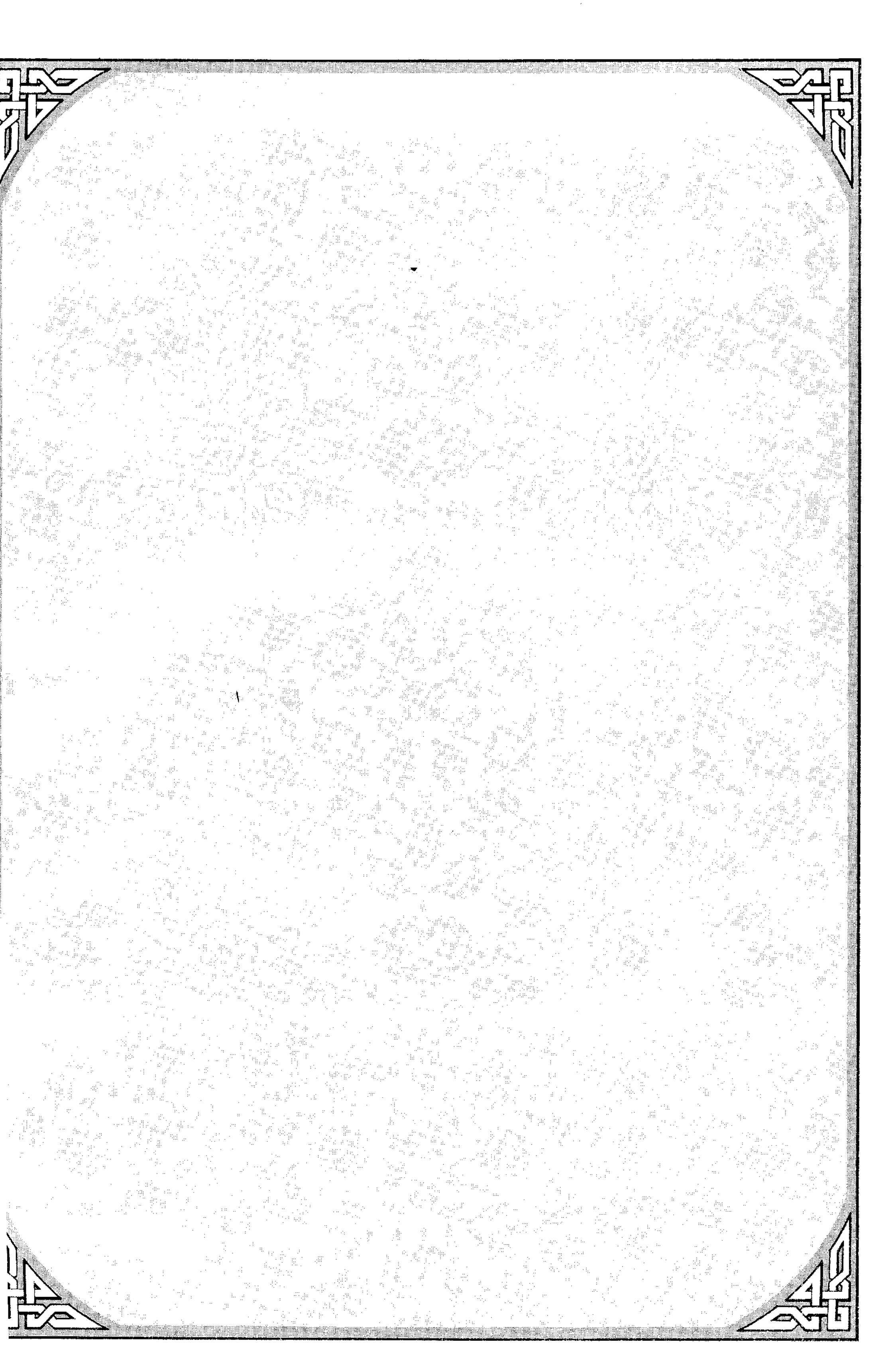
(بات ساجي الطرف والشوق يلحّ) يلهب النار وما للدمع شح
بت أشكو جور وجدي والضنى (والدجى إن يمض جُنح يأت جُنح)
(فكأن الشرق باب الدجى) محكم الإغلاق عن أن يبدو نُجح
ودراريه جنود عنده (ما له خوفَ هجومِ الصبح فتح)
(يقدح النجم لعيني شرراً) ليريني أنه خصم ملحّ
كم أعاني منه شكلاً مفظعاً (ولزِندِ الشوق في الأحشاء قدح)
(لا تسل عن حال أرباب الهوى) لذّةٌ في ضمنها للرشد قبح
اقتنعْ مِنْ مخبري عن خَبَري (يا ابنَ ودّي ما لهذا الحال شرح)
(لست أشكو حرب جفني والكرى) لو بدا لي أنه هلْك وفضح
سوف أُبدي منه قولاً مفصحاً (إن يكن بيني وبين النوم صلح)
(إنما حَلْيُ المحبين البكا) حجة فيها لدى العشاق رِبْح
دمعة تكسب حظّاً في الهوى (أيُّ فضلٍ لسحاب لا يسحّ)

* * *

(١) الأبيات لابن النحاس، وهو شاعر مدني، عاش في حلب، ثم جاور بالمدينة، وتوفي بها سنة ١٠٥٢ هـ.



المحتويات



صدر للمحقق

١ - شعراء من أرض عبقر - جزآن - نادي المدينة المنورة الأدبي.
٢ - الرائد في علم الفرائض - الطبعة الرابعة - مكتبة دار التراث بالمدينة المنورة.
٣ - شعر الحرب في الجاهلية بين الأوس والخزرج - الطبعة الثانية - مؤسسة علوم القرآن - (دمشق - بيروت).
٤ - عارف حكمة: حياته ومآثره - وهو شهي النغم في ترجمة شيخ الإسلام عارف الحكم - لأبي الثناء الألوسي (تحقيق) الطبعة الأولى - مكتبة دار التراث بالمدينة.
٥ - المدينة المنورة في العصر الجاهلي (الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية) الطبعة الثانية.
٦ - المدينة المنورة في العصر الجاهلي (الحياة الأدبية) - الطبعة الأولى.
٧ - المدينة في صدر الإسلام (الحياة الأدبية الاجتماعية والسياسية والثقافية) الطبعة الأولى.
٨ - المدينة في صدر الإسلام (الحياة الأدبية) الطبعة الأولى.
٩ - الفصول في سيرة الرسول - للحافظ ابن كثير - الطبعة الرابعة - تقديم وتحقيق بالاشتراك مع الأستاذ محيي الدين مستو - دار التراث بالمدينة - دار ابن كثير بدمشق.
١٠ - المقاصد السنية في الأحاديث الإلهية - للحافظ علي بن بلبان

المقدسي ـ الطبعة الأولى ـ تقديم وتحقيق بالاشتراك مع الأستاذ محيي الدين مستو.

١١ ـ أمجاد الرياض (ملحمة شعرية) الطبعة الأولى ـ دمشق.

١٢ ـ غناء الجرح (ديوان شعر) الطبعة الأولى ـ نادي المدينة المنورة الأدبي.

١٣ ـ همسات في أذن الليل (ديوان شعر) ـ الطبعة الأولى ـ نادي المدينة المنورة الأدبي.

١٤ ـ ديوان محمد أمين الزللي ـ تقديم وتحقيق ـ الطبعة الأولى ـ دار التراث بالمدينة.

١٥ ـ ديوان عمر بري ـ تقديم وتحقيق ـ الطبعة الأولى ـ دار التراث بالمدينة.

